الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية
Faculté des sciences humaines et des sciences islamiques
جامعة وهران 1
Université d'Oran 1
أحمد بن بلة

قسم الحضارة الإسلامية

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في الدراسات القرآنية

الاختيار اللفظي وأثره في بيان معاني القرآن الكريم

إعداد الطالب:

- ياسين عزيزو

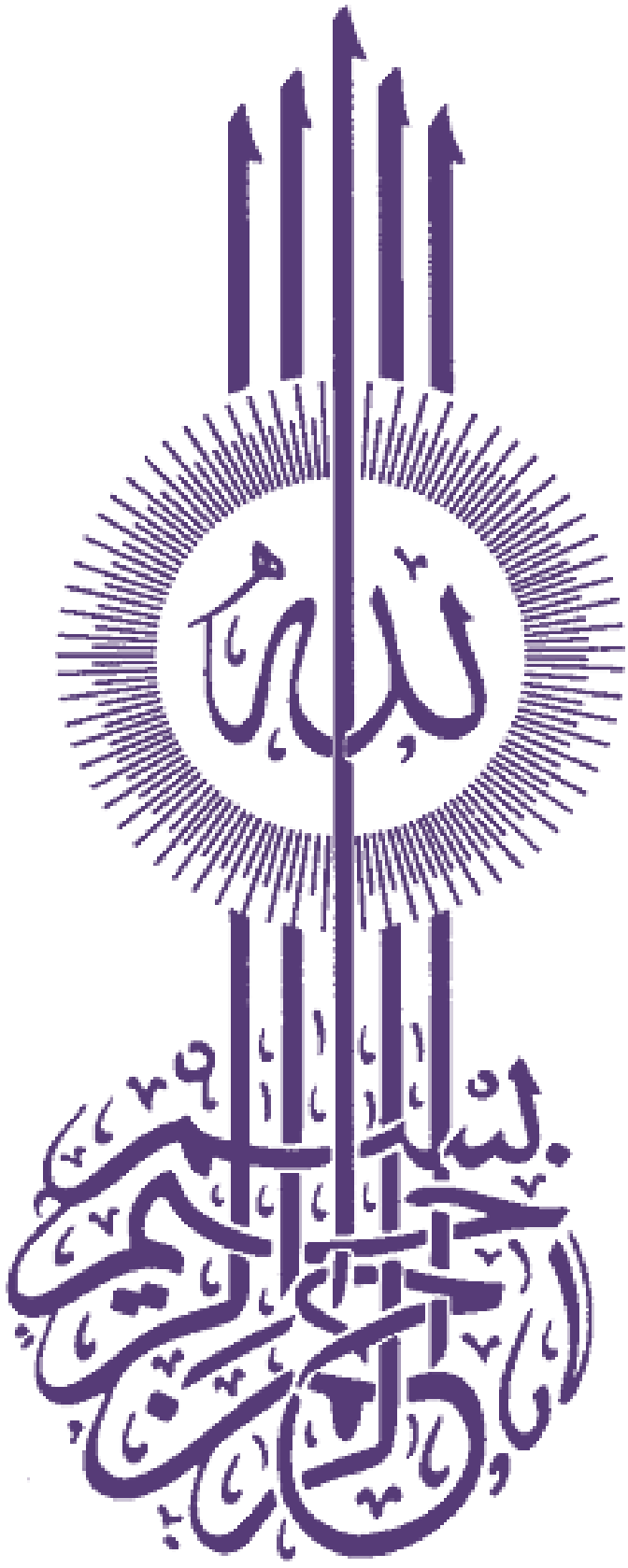
إشراف الأستاذ الدكتور:

- العربي قلايلية

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
زعراط محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا	جامعة وهران 1
العربي قلايلية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	جامعة وهران 1
عبد الغفار بن نعمية	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة وهران 1
عرابي أحمد	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	جامعة تيارت
مقدم محمد	أستاذ محاضر قسم . أ .	عضوا مناقشا	المركز الجامعي غليزان

السنة الجامعية: 1441هـ– 1442هـ/ 2019م- 2020م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَداً ﴾

(الكهف: 104)

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره أولا على كل نعمة أنعم بها علي في قديم أو حديث في سر أو علانية خاصة أو عامة ...

وأثني بالشكر والتقدير لكل من كان عونا لي في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد وأخص بالذكر:المشرف على المذكرة: الأستاذ الدكتور: العربي قلايلية الذي شرفني بتوجيه هذا العمل وكان له الفضل بعد الله عز وجل في إتمامه فله مني جزيل الشكر

وأثني بالشكر على الأساتذة الدكاترة أعضاء اللجنة المناقشة الذين قبلوا مناقشة هذه المذكرة.

والأستاذ الدكتور: عبد المجيد بن نعمية مدير مخبر مخطوطات شمال إفريقيا

والأساتذة والدكاترة الذين تعلمنا على أيديهم خلال مرحلة الطلب

وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور: عبد الغفار بن نعمية

كافة أعضاء الكلية كل باسمه

كل زملاء الدراسة

إلى كل هؤلاء أقول جزاكم الله عني أفضل الجزاء وأحسن إليكم وأكرمكم ورفع قدركم ...

الباحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين

أما بعد

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم، وجعله خاتمة الكتب، وثمرة الشرائع، وحجة على العالمين، فأخذ إعجازه بلب العقلاء، وشد بيانُه البلغاء، وكانت واسطة كل ذلك لغة عربية فصيحة، وأدلة عقلية صريحة، وهذا لما امتازت به هذه اللغة من قدرة على التعبير، ودقة في التصوير، وثراء لغوي، بكثرة الترادف وتعدد الاشتقاقات، وتنوع التضاد، واشتراك المفردات، وتعدد لهجات قبائلها، واختلاف ألفاظها، كلهجة تميم وربيعة، ومضر، وقيس، وهذيل وغيرها، فوحدها القرآن الكريم وحفظها من الضياع، إذ هي وسيلة خطاب الله، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر9) .

لقد تمكنت هذه اللغة من استيعاب دلالات القرآن الكريم، الذي صفى كدرها، وصقل لفظها، وانتفت شوائبها حتى ثبت بها الإعجاز القرآني، فكانت أشبه شيء بالنور الذي أضاء الطريق إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، مع روعة البيان، وجمال الأسلوب، وقد جاء القرآن الكريم في ذروة من البلاغة والفصاحة، بحيث شد إليه الأنظار والعقول، فأعجز البلغاء بروعة بيانه، ودقة تصويره، وحسن ألفاظه المعبرة عن معان لا قبل لهم بها، كالحديث عن التوحيد، وعن يوم القيامة، وعن الحساب والعقاب، والجنة والنار، وعن أخبار الأولين، وكل ذلك في أسلوب لا يضاهى ودقة لا تجارى، بحيث أعطى لألفاظ اللغة معاني ودلالات لم تكن معروفة من قبل، وفتق عبقرية هذه اللغة، فاستوعبت معاني لم تحملها، ولا نطق بها أهلها قبل نزول القرآن الكريم.

تبيانا لأثر القرآن الكريم على اللغة العربية وفضله عليها، والتعامل المستمر مع القرآن الكريم، كان يشد انتباهنا دائما، وبالخصوص استعمالات ألفاظه، وطرق سبكها، وما تحققه من جمال في النطق، وهذا ما جعلنا دائمي الاهتمام به، وحبنا له، وتذوقنا لألفاظه ومعانيه، لذلك وقع اختيار الباحث على

دراسة موضوع: "**الاختيار اللفظي وأثره في بيان معاني القرآن الكريم**" مع الإشارة أن فريق التكوين عرض مجموعة من المواضيع وتم اختيار الموضوع السالف الذكر.

تتجلى أهمية هذا الموضوع في شرفه وتعلقه بالقرآن الكريم، وإبراز أثره على اللغة العربية، وإظهار إعجازه البياني سواء في تناسق الحروف أو المفردات، وتلاؤمها مع المعاني فحروف الشدة غير حروف الرخاوة، وخطاب التهديد للكافرين غير خطاب التبشير للمؤمنين ومستويات الخطاب، و مقاماته واختيار الحروف بين الخطابين متغايرة، كل ذلك مع جزالة في اللفظ وإشباع في المعنى.

إن الاختيار اللفظي في القرآن الكريم هو اختيار للمعاني بالضرورة، وهذا ما يمثله عمق هذا الموضوع، فببيان الأطر والوسائل التي اتخذها القرآن الكريم في الاختيار اللفظي تصبح المعاني طوع الدارس أو الباحث مما يؤهله للجمع بين المعاني أو الترجيح بينها.

لئن كانت اللفظة القرآنية بهذا الشكل من الإيحاء والتّصوير، فإن موضوعاً مثل هذا له الأهلية كي يوقف الدارس على كثير من المفاهيم القرآنية المؤسسة لما يسمى بـ: "المصطلح القرآني، لأن الاستقراء الجامع للمعاني المختلفة للفظة القرآنية الواحدة بمختلف السياقات التي وضعت فيها يجعل إحكام "المصطلح القرآني" أمراً يسيراً.

وتهدف الدراسة إلى الوقوف على الأساليب الجمالية للقرآن الكريم، وكيف يؤثر اختلاف الأسلوب القرآني على المعاني، فأسلوب الحذف يختلف من حيث المعنى مع أسلوب الذكر، وأسلوب التقديم يختلف من حيث الدلالة على أسلوب التأخير،كما تقصد الدراسة إبراز جمالية اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم حروفها وكلماتها وأصواتها وأثر ذلك على المعاني، ويسهم الموضوع في رد الشبهات التي تثار حول أسلوب القرآن الكريم.

واتبع البحث المنهج الاستقرائي التّحليلي، الملائم للدراسة بتتبع الأساليب القرآنية التي لها صلة بالموضوع، واستقراء خصائصها ومميزاتها، ثم تحليلها والوقوف عند الفروق التركيبية و الدلالية لها، موضحا ذلك بشواهد من القرآن الكريم، مع عزو الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني، معتمدا على رواية ورش، وتوثيق الأقوال والنصوص من مصادرها.

يبحث الموضوع في إشكالية معرفة أثر الألفاظ في بيان المعاني القرآنية،

ودورها في فض الخلاف بين المفسرين والترجيح بين الأقوال المختلفة في التفسير، وأهميتها في تأسيس نظرية الإعجاز البياني في القرآن الكريم؟

وتحت هذه الإشكالية تتجلى الأسئلة التالية:

ما هو الاختيار اللفظي في القرآن الكريم؟ ما طبيعة اللفظة القرآنية؟ وما هي أنواعها وخصائصها؟ وطبيعة مواطن الجمال والإعجاز في القرآن الكريم؟

يجدر التنبيه أن هذا الموضوع قد تطرقت له العديد من الدراسات، فألفت فيه الكتب، وحُررت فيه الدراسات، وتناولته المقالات العلمية في مجلات أكاديمية مختلفة، ومن أبرز ما ألف فيه كتاب "**إعجاز القرآن**" لأبي بكر الباقلاني(ت: 403هـ)، و"**دلائل الإعجاز**" لعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، و"**القول في إعجاز القرآن**" للخطابي، غير أن الذي جاء في هذه الكتب كان عن عجيب نظم القرآن، ووجوه بلاغته.

تظهر أيضا بعض فروع هذا الموضوع ضمن بعض المصنفات في علوم القرآن "**كالبرهان في علوم القرآن**" للزركشي(ت: 794هـ)، "**ومناهل العرفان**" للزرقاني(ت1367هـ)، والتي تناولت في مجموعها حديثا عن خصائص الأسلوب القرآني، وغير بعيد عن هذا يتجلى هذا الموضوع في الدراسات الحديثة لأسلوب القرآن، ككتاب:"**دراسات لأسلوب القرآن**" لعبد الخالق عظيمة، غير أن أسلوبه في الطرح والمنهج كان أشبه بالمعجم في النحو والصرف، ولعل من أبين الدراسات في هذا المجال كتاب "**لمسات بيانية**" لفاضل السامرائي، الذي يعتبر خطوة دقيقة في إبراز معاني الألفاظ وفروقها اللغوية.

قد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع، منها ما تعلق بكتب التفسير "**كالكشاف**" للزّمخشري(ت538هـ)، و"**المحرر الوجيز**" لابن عطية(ت542هـ)، **والجامع لأحكام القرآن** للقرطبي(ت67هـ)، و"**التّحرير والتنوير**" للشيخ ابن عاشور (ت1393هـ)، و"**الظلال**"

لسيد قطب، و"**تفسير الشعراوي**" لمحمد متولي الشعراوي(ت1418هـ)، كما اعمدت على المعاجم اللغوية من أبرزها "**لسان العرب**" لابن منظور(ت711هـ)، و"**معجم مقاييس اللغة**" لابن فارس(ت395هـ)، و"**القاموس المحيط**" للفيروز أبادي(ت817هـ)، إضافة إلى الكتب التي عرضت للإعجاز القرآني "**كإعجاز القرآن**" لأبي بكر الباقلاني(ت 403هـ)، ، و"**دلائل الإعجاز**" لعبد القاهر الجرجاني(ت471هـ)، وبعض كتب علوم القرآن : "**كالإتقان في علوم القرآن**" للسيوطي(ت911هـ)، و"**مناهل العرفان**" للزرقاني، وكتب فاضل السامرائي "**كأسرار التعبير القرآني، ولمسات بيانية**".

وفقاً لما سبق: اتَّبعَت الدراسةُ خطةً اشتملت على مدخل وثلاثة فصول، وخاتمة، عالج المدخل قضية "موقعية الإختيار في اللفظ والمعنى في القرآن الكريم"، أما **الفصل الأول فتطرق إلى** موضوع "الثراء اللغوي والعناية بالألفاظ"، واستقل مبحثه الأول بالحديث عن إثراء القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي وفيه مطلبين الأول تكلم عن إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتقدمين، والثاني عن إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتأخرين، والمبحث الثاني تناول اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى، وجاء على ثلاثة مطالب عالجت على التوالي: الترادف، والإشتراك اللفظي، والتضاد.

في حين تعرض المبحث الثالث إلى "عوامل التوسع اللغوي" عالج ثلاثة مطالب متوالية مواضيعها على النحو التالي: "الحقيقة والمجاز"، "التقديم والتأخير" "الإثبات والحذف في القرآن الكريم".

جاء الفصل الثاني متناسبا مع سابقه حول موضوع: خصائص اللفظة القرآنية وحسن اختيارها، وتمّ تفريغ مادته العلمية على ثلاث مباحث، خُصص الأول منها لقضية: خصائص الكلمة القرآنية، والتي تمت معالجتها بين مطالب ثلاثة تتعلق كلها بمسالة الدقة على النحو التالي: الدقة في الإختيار، والدقة في المعنى وجمال اللفظ، والدقة في التصوير، أما المبحث الثاني منها فاستقل بالحديث

عن: جمالية اللفظ القرآني، والذي بدوره عالج مسألة الاختيار على ثلاثة مطالب متوالية على النحو التالي: جمالية اختيار اللفظ القرآنية من حيث تلائم الحروف، وجمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلائم الكلمات، وجمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلائم الصوت، أما المبحث الثالث فخُصص للحديث عن: مناسبة المفردة للبيئة والسياق، وجاء على مطلبين فقط: الأول حول الدلالة الصوتية للألفاظ الدالة على يوم القيامة، والثاني حول قوة الألفاظ ودلالاتها.

تناول الفصل الثالث مسألة "الثراء وأثر معاني القرآن الكريم"، وجاء على ثلاثة مباحث، عالج المبحث الأول: تعدد المعاني في اللفظ القرآني، وضم ثلاثة مطالب، كان المطلب الأول حول احتمال اللفظ لأكثر من معنى، والثاني: حول إحتمال السياق لأكثر من معنى، والثالث: حول التكرار في القرآن الكريم، أما المبحث الثاني: فخصص للاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية، وشمل مطلبين، كان المطلب الأول مُخصصا للحديث: عن الإيحاء الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية، والمطلب الثاني: عن أثر دلالة الصوت على المعنى في اللفظة القرآنية، أما المبحث الثالث: فخصص لأثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معاني اللفظة القرآنية، وضم أربعة مطالب تحدث المطلب الأول: عن أثر اختلاف معاني اللفظ بين الزيادة والنقصان، والمطلب الثاني عن أثر اختلاف المعاني بالإفراد والتثنية والجمع، والثالث عن أثر تعدد معاني اللفظ القرآني، أما المطلب الرابع: فعالج أثر حروف الجر في اختلاف معاني الألفاظ.

مـــدخل

مـن المناسـب تحديـد بعـض المفـاهيم المسـاعدة في تحليـل الموضـوع، إذ يتنـازل المـدخل تحديـدا لمفهـوم الاختيـار اللفظـي وتحديـد بعـض المعـاني عنـد المتخصصـين مـن أهـل اللغـة والبلاغة على النحو التالي:

مفهوم الاختيار اللفظي

الاختيـار اللفظـي مصـطلح مركـب مـن كلمتـين، الاختيـار واللفـظ وسـنعرف كـلا منهمـا لغة واصطلاحا .

تعريف الاختيار:

لغـة: عـرف علمـاء اللغـة الخيـار بمـا يلـي قـال **ابـن فـارس**:"خَيَـرَ" الْخَـاءُ وَالْيَـاءُ وَالـرَّاءُ أَصْـلُهُ الْعَطْفُ وَالْمَيْلُ"[1].

وعرفـه **ابـن منظـور** فقـال: "والخيـار: الاسـم مـن الاختيـار. وخـايره فخـاره خـيرا: كـان خـيرا منـه، ومـا أخـيره ومـا خـيره؛ الأخـيرة نـادرة. ويقـال: مـا أخـيره وخـيره وأشـره وشـره، وهـذا خير منه وأخير منه... والاختيار: الاصطفاء، وكذلك التخير"[2].

وعرفـه **الراغـب** بقولـه:" والاختيـارُ: طلـب مـا هـو خـير وفعلـه، وقـد يقـال لمـا يـراه الإنسـان خـيرا، وإن لم يكـن خـيرا، وقولـه سـبحانه وتعـالى: وَلَقَـدِ اخْتَرْنـاهُمْ عَلـى عِلْـمٍ عَلَـى الْعالَمِينَ"[3] .

وعرفـه **الكفـوي** بقولـه: "الاختيـار: هـو طلـب مـا هـو خـير وفعلـه، وقـد يقـال لمـا يـراه الإنسـان خـيرا وإن لم يكـن خـيرا، وقـال بعضـهم: الاختيـار: الإرادة مـع ملاحظـة مـا للطـرف

---

[1] - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ): معجم مقاييس اللغة، محق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م. ج2 ص232.

[2] - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى(ت:711هـ): لسان العرب، دار صادر – بيروت،ط:3 - 1414 هـ. ج4، ص276.

[3] - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، محق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،ط:1 - 1412 هـ، ج1ص301..

الآخـر، كـأن المختـار ينظـر إلى الطـرفين ويميـل إلى أحـدهما والمريـد ينظـر إلى الطـرف الـذي يريـده، والمختـار في عـرف المتكلمـين: يقـال لكـل فعـل يفعلـه الإنسـان لا علـى سـبيل الإكـراه فقـولهم (هـو مختـار في كـذا) فليس يريـدون بـه مـا يـراد بقـولهم: (فـلان لـه اختيـار) فـإن الاختيـار أخذ ما يراه خيرا"[1].

ومـن هنـا فـإن الاختيـار يطلـق علـى الإصـفاء، ولا يكـون إلا بـين شـيئين ينتقـى أحسـنهما، ومـن خـلال هـذا يمكـن أن نعـرف الاختيـار: بأنـه الإنتقـاء مـن متعـدد، سـواءا كانـا حسيين أو معنويين.

تعريف الاختيار اصطلاحا:

يقصـد بالاختيـار عنـد البلاغيـين، إنتقـاء المفـردات بصـيغها وفـق دقـة سـياقها،ودلالتها وجماليتها.

يقـول **كمـال بشـر**: "ونعـني بـه أن يختـار المنشـئ –متكلمـا أو كاتبـا– كلماتـه أو صـيغه بحيـث تكـون صـالحة للتعبـير عـن معانيـه في مواقفهـا الاجتماعيـة المعينـة، وبحيـث يصـح ربطـه بعضـها بـبعض بطريـق مخصوصـة، أو علـى وفـق قواعـد الـربط والتعليـق المتعـارف عليهـا في اللغـة المدروسـة. والاختيـار بهـذا المعـنى يـرتبط بالموقعيـة أشـد ارتباطـا وأوثقـه، إذ لـيس يقبـل مجـرد رص الكلمـات أو الصـيغ بعضـها بجـوار بعـض بـدون أن تقـع كـل واحـدة منهـا في موقـع يناسـبها في التركيـب، وذلـك بـالنظر إلى سـوابقها ولواحقهـا، حـتى يصـير البنـاء كلـه وحـدة متكاملـة متماسكة الأطراف"[2].

المقصود بالاختيار في اللفظ هو ان يتم انتخاب اللفظ المناسب لتأدية المعنى المراد وفي ذلك تفاوت بين البلغاء والفصحاء قديما وحديثا ولم يتحقق الكمال في ذلك إلا في أساليب القران الكريم

[1] . أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، محق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ص62.

[2] - كمال بشر، دراسات في علم اللغة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص277.

كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾(يوسف3) ولا شك أن الحسن الموصوف به القصص له جانبان، جانب متصل بمحتوى القصة، وجانب متصل بمعاني ألفاظها وكلماتها، فإن القصة تؤدي وضيفتها الكاملة في القرآن الكريم انطلاقا من ألفاظها المختارة، وكلماتها المترابطة ومن تناسق أجزائها، واكتمال معانيها، وكل ذلك مترتب على حسن اللفظ، ودقة اختياره للمعنى المراد.

تعريف اللفظ لغة:

اللفـظ هـو الصـورة الـتي تخـرج مـن حـد اللسـان لإفـادة معـنى في الاصـطلاح اللغـوي، قـال **ابـن فـارس**:"(لفـظ) الـلام والفـاء والظـاء كلمـة صـحيحة تـدل علـى طـرح الشـيء ؛ وغالـب ذلك أن يكون من الفم، تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي"[1].

وجـاء في **لسـان العـرب** أن: "اللفـظ أن ترمـي بشـيء كـان في فيـك، والفعـل لفـظ الشـيء. يقـال: لفظـت الشـيء مـن فمـي ألفظـه لفظـا رميتـه، وذلـك الشـيء لفاظـة، واسـم ذلـك الملفـوظ لفاظـة ولفـاظ ولفـيظ ولفـظ، لفـظ الشـيء وبالشـيء يلفـظ لفظـا، فهـو ملفـوظ ولفـيظ: رمـى. والـدنيا لافظـة تلفـظ بمـن فيهـا إلى الآخـرة أي ترمـي بهـم. والأرض تلفـظ الميـت إذا لم تقبلـه ورمـت بـه. والبحـر يلفـظ الشـيء: يرمـي بـه إلى السـاحل، والبحـر يلفـظ بمـا في جوفـه إلى الشطوط"[2].

والحاصـل: أن معـاني كلمـة " اللفظـة" تـدور حـول الرمـي والطـرح مـن الفـم سـواءا كـان هـذا المطـروح ماديـا كالأكـل أو معنويـا كـالكلام، كمـا يلاحـظ مـن خـلال هـذه التعريفـات أنهـا تتفـق في مفهـوم عـام ثابـت للفـظ وهـو انحصـاره في المنطـوق أو الملفـوظ، كمـا أن مصـطلح

[1] - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج5 ص259.

[2] – ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص461.

اللفـظ يتصـل بمصـطلحات أخـرى تحـيط بـه وهـي: القـول والكلـم والجملـة والكـلام والكلمـة و يتميز عنها اللفظ بأنه أصغر ملفوظ يؤدي معنى لغويا.

تعريف اللفظ اصطلاحا:

يجـب أن نعـرج علـى اصـطلاح النحـاة في هـذا السـياق، حيـث بـين **الكفـوي** أن اللفـظ عنـدهم هـو: "مـا مـن شـأنه أن يصـدر مـن الفـم مـن الحـرف، واحـدا أو أكثـر، أو يجـري عليـه أحكامـه كـالعطف والإبـدال فينـدرج فيـه حينئـذ كلمـات الله، وكـذا الضـمائر الـتي يجـب استتارها، وهذا المعنى أعم عن الأول"[1].

وقـرر أن أحسـن تعـاريف اللفـظ هـو : "صـوت معتمـد علـى مقطـع، حقيقـة أو حكمـا، فـالأول كزيـد، والثـاني كالضـمير المسـتتر في (قـم) المقـدر بأنـت، واللفـظ علـى مصـطلح أربـاب المعاني: عبارة عن صورة المعنى الأول الدال على المعنى الثاني"[2].

فقـد تطـرق **أبـو البقـاء الحنفـي** في الكليـات إلى مسـألة عقديـة في البـاب حيـث قـرر أنـه لا يجـوز أن يقـال: لفـظ الله سـبحانه وتعـالى، بـل يقـال كلمـة الله، ولعلـه اسـتند في ذلـك علـى قولـه سـبحانه وتعـالى: ﴿ **وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(التوبـة40) ففضـل المصـطلح القـرآني ابتـداء ، ثم أرشـد إلى الحكـم العقـدي في المسألة.

وأشـار **خالـد الأزهـري** أن المـراد بـاللفظ في اصـطلاح النحـويين هـو "الملفـوظ بـه وهـو الصـوت مـن الفـم المشـتمل علـى بعـض الحـروف الهجائيـة تحقيقـا كزيـد، أو تقـديرا كألفـاظ

[1] . أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، محق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت،ص795

[2] - ينظر المرجع نفسه ص 795.

الضـمائر المسـترة، وسمـي الصـوت لفظـا لكونـه يحـدث بسـبب رمـي الهـواء مـن داخـل الرئـة إلى خارجها، إطلاقا لاسم السبب على المسبب"[1].

وخلاصـــة القـول: أن اللفـظ مـا لفظـه جهـاز النطـق الإنسـاني بحيـث يفيـد معـنى إلى المسـتمع أو المخاطـب وهـذا الـذي يصـطلح عليـه بـاللفظ اللغـوي وهـو يختلـف عـن اللفـظ الفيزيائي كقعقعة الرعد وصوت الزلزال.

موقعية اللفظ والمعنى:

إن ارتبـاط الألفـاظ بالمعـاني مـن المواضـع اللغويـة الهامـة الـتي اسـتحوذت علـى تفكـير العلمـاء قـديما وحـديثا فأولوهـا عنايـة فائقـة، ولكـنهم اختلفـوا في تفسـيراتها وأوجـه صـحتها، فالألفـاظ ومـا تتكـون منـه مـن حـروف ومـا تتعلـق بـه مـن روابـط هـي الوسـائل الدالـة علـى المعـاني، والمعـاني غايـات، وكلمـا كانـت الألفـاظ معـبرة موحيـة دلـت علـى المعـاني المقصـودة منهـا، وأوصـلت إلى الغايـات بأقصـر الطـرق وأسـهلها ، إئـتلاف الحـروف ببعضـها ينـتج عنـه آثـار دلاليـة تزيـد مـن توضـيح المعـاني وملائمتهـا للمنطـوق مـن الحـروف، كمـا أن تـرابط الجمـل وتتابعهـا في السـياقات اللفظيـة يكسـبها معـاني ضـافية زيـادة علـى معـاني الألفـاظ الحقيقيـة عنـدما تكـون خـارج السـياق، وهـذه الظـاهرة ملحوظـة بكثـرة في القـرآن الكـريم وعليهـا مـدار الفهـم، واسـتنباط المعـاني، فكـل حـرف في اللفـظ لـه أثـر علـى المعـنى ، وكـل رابـط أو متعلـق باللفظ يزيد في المعنى بقدر صلته وتعلقه .

اللفـظ والمعـنى بينهمـا تناسـب وائـتلاف ،وقـد تعـددت أقـوال أهـل العلـم في بيـان التـآلف بـين اللفـظ والمعـنى مـا بـين مؤسـس ومؤصـل لهـذه النظريـة ومبـين لهـا مـن خـلال الـروابط والعلائق التي تحكم أنظمة التراكيب اللغوية في القرآن الكريم.

[1] - ينظر: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (ت: 905هـ): شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الناشر:دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان،ط:1 ،1421هـ- 2000م،ج1ص15.

ألمـح **ابـن جنـي** إلى أن هـذا البـاب "موضـع شـريف لطيـف"[1]، نبـه عليـه الخليـل وسـيبويه وتلقـاه المتخصصـون بـالقبول والاعـتراف بصـحته ، وهـذا البـاب عنـده :"مـن أشـرف فصـول العربيـة وأكرمهـا وأعلاهـا وأنزهها ، بـل إن المتأمـل فيـه إذا عـرف منـه وبـه مـا يؤنقـه ويـذهب في الاستحسـان لـه كـل مـذهب وذلـك أن العـرب كمـا تعـنى بألفاظهـا فتصـلحها وتهـذبها وتراعيهـا، وتلاحـظ أحكامهـا بالشـعر تـارة وبالخطـب أخـرى وبالأسـجاع الـتي تلتزمهـا وتتكلـف اسـتمرارها فـإن المعـاني أقـوى عنـدها وأكـرم عليهـا وأفخـم قـدرًا في نفوسـها. فـأول ذلـك عنايتهـا بألفاظهـا. فإنهـا لمـا كانـت عنـوان معانيهـا وطريقًـا إلى إظهـار أغراضـها ومراميهـا أصـلحوها ورتبوهـا وبـالغوا في تحبيرها وتحسينها؛ ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب بها في الدلالة"[2] .

لقـد وصـف **ابـن جنـي** هـذا الموضـوع " ائـتلاف اللفـظ والمعـنى" وصـفا دقيقـا واعتـبره موضـوعا شـريفا، اعتـنى بـه السـابقون كالخليـل وسـبويه، كمـا بـين أن العـرب تناولتـه في كلامهـا وحافظـت علـى الصـلة بـين الألفـاظ ومعانيهـا، وتخـيرت مـن الألفـاظ مـا يناسـب المعـاني الماثلـة في الصدور ووصفه.

وأمـا **ابـن القـيم** فيأكـد "أن الألفـاظ مشـاكلة للمعـاني الـتي هـي أرواحهـا ، فيتفـرس الفطـن فيهـا حقيقـة المعـنى بطبعـه وحسـه، كمـا يتعـرف الصـادق الفراسـة صـفات الأرواح في الأجساد من قالبها بفطنته"[3].

يبـدوا أن ابـن القـيم يرجـع العلاقـة بـين اللفـظ والمعـنى إلى أمـور فكريـة تأمليـة إذ أنـه يتصور أن العلاقة بينهما نتيجة توقد فكري، وتأمل عقلي.

---

[1]- ينظر: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ) الخصائص ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: 4، ج2 ص 154.

[2]- ينظر: المصدر نفس ج1 ص 216.

[3]- ينظر:محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم الجوزية (ت751): بدائع الفوائد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ج1ص95.

ويصـف العلاقـة بـين اللفـظ والمعـنى فيقـول :" أعلـم أن الأصـل هـو المعـنى المفـرد وأن يكـون اللفـظ الـدال عليـه مفـردا ، لأن اللفـظ قالـب المعـنى ولباسـه يحـذو حـذوه والمناسـبة الحقيقيـة معتـبرة بـين اللفـظ والمعـنى طـولا وقصـرا ، وخفـة وثقـلا ، وكثـرة وقلـة وحركـة وسـكونا وشـدة ولينـا ، فـإن كـان المعـنى مفـردا أفـردوا لفظـه ، وإن كـان مركبـا ركبـوا لفظـه وإن كـان طـويلا طولوه"[1].

كمـا تحـدث **ابـن القـيم** عـن عنايـة العـرب بالاختيـار الألفـاظ ومـدى ملائمتهـا للمعـاني القائمـة في الصـدور، وأنهـم أولوهـا عنايـة فائقـة، واتخـذوا لهـا طرقـا معلومـة، وأسـاليب مخصوصـة والأثار المنقولة التي وصلتنا دالة على ذلك.

لقـد اهتـدى **ابـن جنـي** بعبقريتـه الفـذة وفلسـفته اللغويـة، إلا أن ألفـاظ اللغـة العربيـة تحتـوي علـى حكمـة بالغـة تتجلـى في كيفيـة ارتبـاط أصـواتها وتعبيرهـا عـن المعـاني المقصـودة، لذلك أولى عناية للأصوات اللغوية في حالة تآلفها وانتظامها في الكلام.

الأصـل في اللغـة أن يقابـل كـل لفـظ معـنى خاصـا بـه ولمـا كانـت المعـاني تتزايـد باسـتمرار ويتولـد بعضـها عـن بعـض حسـب الأشـياء الـتي تشـير إليهـا، فإنهـا تتزايـد باسـتمرار بحـث لا تفـي ألفـاظ اللغـة بجميـع المعـاني الـتي تتـوارد علـى الأفكـار، إمـا عـن طريـق الحسـن والمشـاهدة أو عـن طريـق التصـورات العقليـة، ومـن هنـا تعـددت المعـاني للفـظ الواحـد بحسـب مـا يتوجـه إليـه الـذهن أثنـاء رصـد المعـاني، وإطـلاق المسـميات عليهـا لـذلك فـإن موضـوع العلاقـة بـين اللفـظ والمعـنى أو موقعيـة اللفـظ والمعـنى موضـوع قـديم تناولـه الفلاسـفة وعلمـاء الـنفس وعلمـاء الاجتمـاع والمفكـرون، كـل مـن زاويـة تخصصـه ومجـال معرفتـه، كمـا تناولـه اللغويـون والبلاغيـون، وهـذا هـو المقصود.

أ ـ اللفظ والمعنى عند اللغويين:

[1]- المصدر السابق ج1ص 108.

لعـل اللغـويين كـانوا أكثـر اهتمامـا بهـذا الموضـوع لكونـه في مجـال تخصصـهم بـل في لـب دراسـتهم اللغويـة فهـم المعنـون بالدرجـة الأولى بمعرفـة دقـائق اللغـة ودلالات ألفاظهـا، خاصـة الـذين اشـتغلوا مـنهم بالدراسـات القرآنيـة واللغويـة عمومـا، مـن بيـنهم **الزركشـي** الـذي أشـار إلى شـرف هـذا العلـم بقولـه: "اعلـم أن هـذا علـم شـريف المحـل عظـيم المكـان قليـل الطـلاب ضـعيف الأصـحاب ليسـت لـه عشـيرة تحميـه، ولا ذوو بصـيرة تستقصـيه، وهـو أرق مـن الشـعر، وأهـول مـن البحـر، وأعجـب مـن السـحر، وكيـف لا يكـون وهـو المطلـع علـى أسـرار القـرآن العظـيم الكافـل بـإبراز إعجـاز الـنظم المبـين مـا أودع مـن حسـن التـأليف، وبراعـة التركيـب ومـا تضـمنه في الحـلاوة وجللـه في رونـق الطـلاوة، مـع سـهولة كلمـه وجزالتهـا وعـذوبتها وسلاسـتها ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى".[1]

أشار **الزركشي** إلى شرف هذا العلم، وبعد غوره وقلة المشتغلين به، ولا غرو فإن من يطلع على أسرار القرآن الكريم ، فإنه يقف على العجب العجاب فيما يتعلق بدلالات ألفاظ القرآن الكريم وتجاذب بعضها لبعض، وذلك باعتبار السياقات التي ترد فيها، ولقد بز القرآن الكريم الفصحاء والبلغاء من العرب، وتحداهم فيما كانوا يفتخرون به من رونق القول، وحسن المقال وعذوبة اللفظ واختيار المعنى، فلم يكن منهم إلا أن أذعنوا لفصاحة لفظه وجمال معناه.

أما **عبد القاهر الجرجاني** فقد تلقف موضوع علاقة اللفظ والمعنى من خلال كتابه:" أسرار البلاغة"، حيث نحى منحا متميزا فجمع بين البلاغة والنحو والدلالة في دراسته لكلام العرب، وأساليب القرآن الكريم، إذ قال:"اعلم أن الكلام هو الذي يُعطي العلومَ منازلها، ويبيّن مراتبها، ويكشفُ عن صُوَرها، ويجني صنوفَ ثَمَرها، ويدلُّ على سرائرها ويُبْرِزُ مكنون وضمائرها وبه أبان الله سبحانه تعالى الإنسان من سائر الحيوان ونبّه فيه على عِظَم الامتنان"[2].

---

[1] - أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن،محق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط: 1، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ج2،ص382.

[2] . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ): أسرار البلاغة، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، ص5.

وهذا معنى قوله الله سبحانه و تعالى : ﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ**﴾(الرحمن 4)، **قال ابن عاشور**: "البيان هو الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض، وهو النطق وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان وفيه الإشارة إلى أن نعمة البيان أجل النعم على الإنسان"[1] .

فبحسب **الجرجاني** لولا البيان ما عرفت المتوافقات ولا فرق بين المتناقضات، حيث قال مبينا فوائد العلم بالبيان بقوله:"فلولاه لم تكن لتتعدَّى فوائدُ العلمِ عالِمَه، ولا صحَّ من العاقل أن يَفْتُق عن أزاهير العقلِ كمائمه، ولتعطَّلَت قُوَى الخواطر والأفكار من معانيها، واستوَتِ القضيّة في مَوْجدَها وفانيها... ، ولوقع الحيُّ الحسَّاس في مرتبةِ الجماد ولا كان الإدراك كالذي ينافيه من الأضداد ولبقيتِ القلوب مُقْفَلةً تَتَصَوَّنُ على ودائعها، والمعاني مَسْجُونَةً في مواضعها، ولصارت القرائح عن تصرُّفها معقولةً، والأذْهان عن سلطانها معزولةً، ولما عُرف كفرٌ من إيمان، وإساءة من إحسان، ولما ظهر فرقٌ بين مدح وتزيين، وذمّ وتهجين"[2]

ثم عرج **الجرجاني** ممهدا لقوله الفاصل في ثنائية اللفظ والمعنى بذكر أهمية البيان في الوقوف على الدلالة الحاصلة بين اللفظ والمعنى فقال:"إنّ الوصف الخاصَّ به، والمعنى المثبِتَ لنسبه، أنه يريك المعلومات بأوصافها التي وجدها العلم عليها، ويقرِّر كيفياتها التي تتناولها المعرفةُ إذا سَمَتْ إليها، وإذا كان هذا الوصفُ مقوِّمَ ذاته وأخصَّ صِفاته، كان أشرف أنواعه ما كان فيه أجلى وأظهر، وبه أولى وأجدر، ومن ها هنا يبيّن للمحصل، ويتقرّر في نفس المتأمِّل، كيف ينبغي أن يَحْكُم في تفاضُل الأقوال إذا أراد أن يقسّم بينها حظوظها من الاستحسان، ويعدّل القسمةَ بصائب القِسطاس والميزان"[3].

[1] . ينظر الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج24، ص233.

[2] . عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص5.

[3] . المصدر نفسه، ص6.

إن فضيلة البيان ومنقبة النطق به لحرية أن توقفنا على العلاقة الموجودة بين اللفظ والمعنى، حيث إن المقال العلي الذي حازه البيان لا يمكن أن يكون باللفظ فقط ولا بالمعنى فقط، وإنما هما متلازمان عند التعبير وإخراج ما في الظمير من المكنونات وهذا ما أشار إليه **الجرجاني** بقوله:"ومن البيّن الجليّ أن التبايُنَ في هذه الفضيلة، والتباعد عنها إلى ما ينافيها من الرذيلة، ليس بمجرَّد اللفظ، كيف والألفاظ لا تُفيد حتى تُؤلَّف ضرباً خاصّاً من التأليف، ويُعْمَد بها إلى وجه دونِ وجهٍ من التركيب والترتيب، فلو أنك عَمَدت إلى بيت شعرٍ أو فَصْل نثرٍ فعددت كلماته عَدّاً كيف جاء واتَّفق، وأبطلت نضدَهُ ونظامه الذي عليه بني، وفيه أفرغ المعنى وأجري، وغيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنَسَقِه المخصوص أبان المراد"[1].

تبين من كلام **الجرجاني** أنه عمق موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى وأعطاه أهمية كبرى في التفريق بين المعاني التي يتم بها الإفهام ويحصل بها التخاطب ويرتفع بها اللبس وتتضح المقاصد، والقرآن الكريم انما احتوى على فيض غزير من المعاني التي تؤدى عن طريق ألفاظ متشابهة تحتاج إلى خبير بوضع الألفاظ للتفريق بين الألفاظ المتقاربة التي تهتم بها الشريعة، حيث إن هذه الألفاظ أصبحت مناط التكليف الذي عليه التدين، ويحصل بكل هذا الإعجاز الذي حصل التحدي به، لاشتماله على تفرد الألفاظ التي يتركب منها الكلام مع ما تضمنه من المعاني مع ملائمته التي هي نظم تأليفه.

قال **الزركشي**:"معرفة الألفاظ هو أمر نقلي يؤخذ عن أرباب التفسير ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ قوله سبحانه وتعالى ﴿**وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا**﴾(عبس31) فلا يعرفه فيراجع نفسه ويقول: ما الأب ويقول: إن هذا منك تكلف، وكان ابن عباس وهو ترجمان القرآن يقول: لا أعرف {حنانا} ولا {غسلين} ولا {الرقيم}، وأما المعاني التي تحتملها الألفاظ فالأمر في معاناتها أشد لأنها نتائج العقول، وأما رسوم النظم فالحاجة إلى

[1] المصدر السابق، ص6.

الثقافة والحذق فيها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه يتصل أجزاء الكلام ويتسم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان فليس المفرد بذرب اللسان وطلاقته كافيا لهذا الشأن ولا كل من أوتي خطاب بديهة ناهضة بحمله ما لم يجمع إليها سائر الشروط"[1].

أشار **الزركشي** إلى أن بعض ألفاظ القرآن الكريم قد تغيب معانيها عن بعض الناس وإن كانوا من فصحاء وبلغاء، كعمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس، فنجدهم يتوقفون عند بعض الألفاظ فلا يجدون لها معنى، كما كان الأمر مع الألفاظ المذكورة سابقا.

أما الشق الثاني من هذه القضية فهي المعاني التي يتوصل إليها الدارس عن طريق ثقافته الواسعة ومعرفته الكافية باللغة وبأساليبها، لأنها تتعلق بدلالة الألفاظ من خلال ما ترد فيه من أساليبها"[2].

وعليه حاز القرآن الكريم السبق في توظيف ثنائية اللفظ والمعنى من خلال تحديه للعرب في القرآن الكريم، وهذا ما قرره **الجرجاني** بأن المعارض للكلام معارض له من الجهة التي منها يوصف بأنه فصيح وبليغ، ومتخير اللفظ جيد السبك، ونحو ذلك من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ. وإذا كان هذا هكذا، فبنا أن ننظر فيما إذا أتي به كان معارضا ما هو؟ أهو أن يجيء بلفظ فيضعه مكان لفظ آخر، نحو أن يقول بدل "أسد" "ليث"، وبدل "بعد" "نأى"، ومكان "قرب" "دنا"، أم ذلك ما لا يذهب إليه عاقل"[3] .

ومما ذهب إليه **الجرجاني** في هذه المسألة أنه لو كان الذي سبق ذكره معارضة لكان الناس لا يفصلون بين الترجمة والمعارضة، ولكان كل من فسر هو معارضا له. وإذا

---

[1] – ينظر أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، محق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية ط:1، 1376 هـ – 1957 م، ج3 ص 174.

[2] . الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3ص 174.

[3] . ينظر الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص159.

بطـل أن يكـون جهـة للمعارضـة، وأن يكـون الواضـع نفسـه في هـذه المنزلـة معارضـا علـى وجـه مـن الوجـوه، علمـت أن الفصـاحة والبلاغـة وسـائر مـا يجـري في طريقهمـا أوصـاف راجعـة إلى المعـاني، وإلى مـا يـدل عليـه بالألفـاظ، دون الألفـاظ أنفسـها، لأنـه إذا لم يكـن في القسـمة إلا المعـاني والألفـاظ، وكـان لا يعقـل تعـارض في الألفـاظ المجـردة، إلا مـا ذكـرت، لم يبـق إلا أن تكـون المعارضـة معارضـة مـن جهـة ترجـع إلى معـاني الكـلام المعقولـة، دون ألفاظـه المسـموعة. وإذا عـادت المعارضـة إلى جهـة المعـنى، وكـان الكـلام يعـارض مـن حيـث هـو فصـيح وبليـغ ومتخـير اللفـظ، حصـل مـن ذلـك "الفصـاحة" و"البلاغـة" و"تخـير اللفـظ" عبـارة عـن خصـائص ووجـوه تكـون معـاني الكـلام عليهـا، وعـن زيـادات تحـدث في أصـول المعـاني، كالـذي أريتـك فيمـا بـين "زيـد كالأسـد" و "كـأن زيـدا الأسـد"، وبـأن لا نصـيب للألفـاظ مـن حيـث هـي ألفاظ فيها بوجه من الوجوه"[1].

عـبر **الجرجـاني** عـن العلاقـة بـين اللفـظ والمعـنى بأنـه لاخـلاف بـين العلمـاء في أن الإعجـاز القـرآني يتمثـل في أسـلوب القـرآن، ودقـة ألفاظـه، وذلـك التوافـق والانسـجام بـين اللفـظ والمعـنى المـراد، بحيـث يصـور اللفـظ المعـاني أدق تصـوير، بحيـث تـبرز عظمـة القـرآن في روعـة ألفاظـه وجمالهـا، وذلـك التناسـق العجيـب بـين اللفـظ والمعـنى، والتكامـل والـترابط بـين الألفـاظ، بحيـث تكـون اللفظـة اللغويـة معـبرة أدق تعبـير عـن المعـنى المـراد، ولـو وقـع أي إبـدال أو تغيـير في الألفـاظ المترادفـة لاختلـت المعـاني واضـطرب الأسـلوب فقـال:" إن كـل لفظـة في القـرآن الكـريم تعـبر عـن الإعجـاز وتمثـل جانبـا مـن جوانبـه وتصـور عظمـة الأسـلوب القـرآني، ولا مجـال لإبـدال كلمـة بـأخرى أو لفظـة بمـا يماثلهـا، إذ لكـل لفظـة موسـيقاها الخاصـة بهـا مـن حيـث موقعهـا مـن الكـلام، ومـن حيـث دقـة تعبيرهـا عـن المعـنى المـراد، وإبـدال لفظـة بـأخرى ولـو كانـت مماثلـة للمعـنى، تخـل بـالمعنى العـام، وتوجـد حالـة مـن التوقـف في ذلـك النسـق القـرآني،

[1] – المصدر السابق، ص260.

وكـأن الآيـة ليسـت هـي الآيـة، وكـأن المعـنى لـيس هـو المعـنى، فـالقرآن الكـريم وحـدة متكاملـة، من حيث ألفاظه ومعانيه ورسمه وأداؤه"[1].

ومـن المحـدثين الـذين درسـوا أقـوال القـدماء في ثنائيـة اللفـظ والمعـنى **محمـد فـاروق النبهـان** في كتابـه: "المـدخل إلى علـوم القـرآن" حيـث يـرى أن الإعجـاز نتـاج الصـور البيانيـة الـتي احتـوى عليهـا القـرآن الكريم،فبحسـبه : "لا يوجـد شـك في أن مـا أعجـز العـرب هـو تلاقـي اللفـظ والمعـنى معـا، فـلا مجـال للإعجـاز في لفـظ دون معنـاه، ولا مجـال للإعجـاز في معـنى دون لفـظ، فالإعجـاز هـو نتـاج علاقـة تكامليـة بـين اللفـظ والمعـنى، ولا يمكـن تصـور الفصـاحة في إطـار لفـظ دون معـنى، فالصـورة البيانيـة هـي نتـاج لفـظ معـبر ومعـنى يجسـد الصـورة، ويعطـي للألفـاظ أبعادهـا وصـورها وجمالهـا، فاللفظـة المفـردة لا يمكـن أن تكـون معجـزة، لأنهـا تظـل قاتمـة صـامتة لا تنطـق والمعـنى العظـيم هـو الـذي ينطـق اللفـظ ويجعـل لـه لسـانا معـبرا، وعنـد مـا يتحـدث أهـل البيـان عـن الألفـاظ الجميلـة والألفـاظ القلقـة والمسـتكرهة، فـإنهم لا يقصـدون علـى وجـه التأكيـد مجـرد اللفـظ، فـاللفظ لا يمكـن وصـفه بدقـة إلا في إطـار ملاءمتـه لمعنـاه المـراد، وحسـن انسـجامه مـع الألفـاظ الأخـرى في الجملـة الواحـدة بحيـث يصـبح الكـلام معـبرا أحسـن تعبير عن معنى مراد"[2].

وعليـه يـرى **النبهـان** أن الإعجـاز هـو تلاقـي اللفـظ مـع المعـنى في تراكيـب القـرآن الكـريم وأسـاليبه، فلـم تجـد في ذلـك لفظـة نابيـة ولا قلقـة ولا مسـتكرهة في ألفـاظ القـرآن الكـريم، كمـا قد تجد ذلك في كلام العرب.

نخلـص ممـا سـبق أن اللغـويين نظـروا إلى اللفـظ القـرآني مـن حيـث موقعـه ودلالتـه وأثـره في السـياق القـرآني، وكـذا مـن حيـث مـا يعتريـه مـن تقـديم وتـأخير، فيـؤثر ذلـك في المعـنى بطريـق

[1] -ينظر المصدر السابق، ص80.

[2] – محمد فاروق النبهان: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن – حلب،ط:1، 1426 هـ - 2005 م، ص243.

أو بـأخرى، لـذلك ربطـوا أحيانـا بـين الوظيفـة النحويـة للفظـة القرآنيـة في التركيـب اللغـوي، وبـين وظيفتها الدلالية، ولعل القراءات القرآنية التي يعتد بها أكبر دليل في هذا المجال.

ب ـ اللفظ والمعنى عند البلاغيين

تطرق علماء البلاغة إلى مصطلح "الفصاحة" ومبيِّنين المكانة التي تبوأها في الدراسات البلاغية والنقدية، حيث قال **أحمد الرفاعي** في هذا الصدد: "حينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية والنقدية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صِنْوَهَا، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما، بل لم يروا بأسا من أن يستعملوا إحداهما مكان الأخرى"[1].

1) مفهوم الفصاحة:

جاء في **مقاييس اللغة** أنَّ: "الفاء والصاد والحاء أصل يدل على خلوص في شيء ونقاء من الشوب"[2]، ثم قال بعد ذلك: "وتحت الرغوة اللبن الفصيح، ويقولون: أفصح الصبح، إذا بدا ضوءه. قالوا: وكل واضح مفصِح. ويقال إن الأعجم: ما لا ينطق، والفصيح: ما ينطق، ومما ليس من هذا الباب الفِصح: عيد النصارى، يقال: أفصحوا: جاء فِصحهم"[3].

وعليه فإن معاني "الفصاحة" في اللغة تدور حول: البيان والإظهار والوضوح، والتكلم بالعربية، والنطق مطلقاً، وحسن اللفظ، والخلوص والنقاء، وعيد النصارى، وهذه المعاني تبين أن الوضع اللغوي الأول للفظ الفصاحة يتوسل به لغاية ما حسب السياق، فإن المعاني التي في الباب من البيان والوضوح والإظهار معان تنم عن قرب شديد للمعنى الاصطلاحي الذي يدل على إبراز الألفاظ وبنائها في نسق واحد ثم الحكم عليها بالجمال أو القبح، وهو بدوره يتوسل به في البراهين والحجج للانتصار إلى قضية ما.

---

[1] ـ أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980 م، ص 12

[2] – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج4، ص 506

[3] – المرجع نفسه، ج 4، ص 506

قرر **القزويني** بأنَّ: "فصاحة المتكلم ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح"[1]، والتعبير بالمقصود ها هنا مؤذن بأن اللغة والبلاغة فيها ما هي إلا وسيلة لهدف، قد يختلف هدف بين القيمة الجمالية والقيمة الإقناعية الحجاجية، لكن الذي عليه طبيعة اللغة البليغة والألفاظ الفصيحة أنها وسيلة إلى أحدهما أو إليهما معاً، فالملكة قسم من مقولة الكيف التي هي هيئة قارة لا تقتضي قسمة ولا نسبة، وهو مختص بذوات الأنفس راسخ في موضوعه، فهي إذن من الثوابت في عملية الفصاحة التي لا تنفك عنها بأي حال من الأحوال، ولذلك عُبِّر بالملكة ولم يُعبَّر بالصفة، للإشعار بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة في النفس، حتى لا يكون المُعبر عن مقصوده بلفظ فصيح فصيحًا إلا إذا كانت الصفة التي اقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح راسخة فيه، وهذا الاقتدار يستلزم حرية المتكلم في النطق وعدمه، ويستلزم أن المقصود من إفصاح الكلام قيمة معينة يراد إبرازها جمالية كانت أم حجاجية"[2].

الفصاحة مصطلح بلاغي يتحقق بتحقق شروط حددها البلاغيون في مصنفاتهم، ووصف الفصاحة يكون للمتكلم، كما يطلق على المفرد والمركب من الكلام، قال **السيوطي**: "كلمة فصيحة وتركيب فصيح، والمركب يعم الكلام والجملة التي ليست بكلام كجملة الصلة والجزاء والتركيب الإضافي، وكل ذلك يوصف بالفصاحة"[3]، وكي يوصف اللفظ المفرد بالفصاحة يجب أن يسلم من أمور هي:

01 – تنافر الحروف: وهو ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل وعسر النطق بها، كما في كلمة: "هُعْخُع" من قول الأعرابي وقد سئل عن ناقته قال: تركتها ترعى "الهعخع"، فالهاء والعين لا يكادان يجتمعان من غير فصل، وقد يكون الثقل في الحروف أخف بعض الشيء مما سبق ذكره،

[1]– الخطيب القزويني، الإيضاح في البلاغة، ج1، ص40

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص40

[3]– ينظر: جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبار، ص 45

كقولهم: "اسْتَشْنزر"، أي: ارتفع، والتنافر في هذه الكلمة حاصل في توسط الشين وهي مهموسة رخوة بين التاء وهو مهموسة شديدية والزاي"[1]، وهذا التنافر الذي قد يصيب الكلمة يعيق مهمة اللغة الرامية إلى إذكاء القيمة الجمالة في نفس الإنسان، والقيام بمهامها الحجاجية في حياته.

02 – مخالفة القواعد العربية: فمخالفة قواعد اللغة يبعد الكلام عن القياس الذي عهده أهل اللسان في استعمالهم، ففكُّ ما يجب إدغامه وإدغام ما يجب فكه مثلاً يحدث نفرة في السمع، ومَجَّاً في الذوق، ووحشة في النفس، وانكسارا في هيئة الكلمة، فلفظ "أجلٍّ" بالإدغام أفصح من قولهم "أجْلَلِ" بفكِّ الإدغام، وذلك لأن قواعد اللغة والنطق السليم يقتضي إدغام المتماثلين لا فكَّهما"[2].

واحترام هذه القواعد يحافظ على رونق اللغة ويساعد في الوصول إلى الغاية من استعمالها، كما يختصر طريق الإفهام على المتكلم ويطوي مسافة الفهم على المتلقي.

03 – الغرابة: وهي أن تكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال[3]، فالغرابة توجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة: لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة، ويحصل ذلك كثيراً في الألفاظ المشتركة "كمسّرج"[4]،

ففي قول رؤبة بن العجاج[5]:

ومُقْلةً وحاجبا ومزجَّجا ***** وفاحماً ومِرْسَناً مسرَّجَا

04 – الكراهة في السمع: فهو كون الكلمة وحشية، تأنفها الطباع وتَمُجُّها الأسماع، وتنبو عنها كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة[1]كقول المتنبي:

---

[1]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط3، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، ص 22

[2]– جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان، ص 46

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 46

[4]– ينظر: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 21

[5]– المقصود: رؤبة بن العجاج وهو شاعر إسلامي من أبرز شعراء الدولة الأموية.

مُبارَكُ الاسمِ أغرُّ اللقب كريم الجِرْشي شريف النسبْ

فإن السمع يمج لفظ "الجرشي" وهي: النفس، ولقد قرر جلال الدين السيوطي أن في هذا الشرط نظر، لأنَّ الكراهة إن كانت لاستغرابه فقد دخلت في الغرابة، أو من جهة الصوت فلا تعلق لها بالفصاحة، لأن السمع قد يستلذ بغير الفصيح لحسن الصوت وبالعكس"[2].

يؤَكدُّ علماء البلاغة أن الحكم على الكلام بالفصاحة يجب أن تتوفر فيه شروطٌ اخْتُلف في عدَّها، **فالخطيب القزويني** في الإيضاح جعلها ثلاثة شروط، حيث يقول: "فصاحة الكلام هي: "خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها"[3]، ووافقه على هذه العدَّةِ **جلال الدين السيوطي** في عقود الجمان، حيث بيَّن أن الفصاحة في الكلام" أن يخلص من ثلاثة أمور بعد رعاية الفصاحة في مفرداته"[4].

ولكن من المتأخرين من أكد أن تحقق الفصاحة في الكلام يوجب سلامته من ستة عيوب، وهي: "تنافر الكلمات مجتمعة، ضعف التأليف، التعقيد اللفظي، التعقيد المعنوي، كثرة التكرار، تتابُع الإضافات"[5]، ففي هذا كلام نوع تفصيل مع عدم ذكر شرط فصاحة الكلمات الذي ذكره المتقدمون، ولعله لم ير من بأس من عدم ذكره لأن الكلام الفصيح مستصحب بالضرورة في هذا السياق، وعليه: فإن الكلام لا يصح أن يوصف بالفصاحة إلاَّ إذا انتفت عنه عيوبٌ هي:

05 – تنافر الكلمات مُجتمعة: وهو: "أن تكون الكلمات ثقيلة على السمع من تركيبها مع بعضها، عَسِرَةَ النُّطق بها مُجتمعةً على اللّسان"[6]، وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً، فإن فصاحة المفردات لا تعني فصاحة التركيب إذا كانت المفردات غير متناسقة فيما بينها"[1].

---

[1]– ينظر: أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 25

[2]– جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ص 46

[3]– الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص 28

[4]– ينظر: جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ص 47

[5]– أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 32

[6]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص 30

أمَّا التنافر الحاصل بين الكلمات والموجب لعدم فصاحة الكلام فيتحقق بأمرين هما: تجاوُز كلمات متقاربة الحروف أو بتكرير كلمة واحدة، وهذا التنافر إمّا أن يكون ثقيلاً، وإمَّا أن يكون خفيفاً، الثقل والخفة في التنافر يكونان بحسب درجة شدته بين الكلمات، مع استصحاب الاعتبارين المذكورين آنفاً، ومن أمثلة التنافر بين الكلمات المورث للثقل قول الشاعر:

وَقبرُ حرب بمكان قفرٌ *** وَليس قَرب قبر حربٍ قبرُ

ومثال خفته في قول أبي تمام:

كريمٌ متى أمدَحهُ والورى معي *** وإذا ما لمته لمته وحدي [2].

06 . ضعف التأليف: وهو: "أن لا يجري على المطرد من قواعد العربية"[3]، أي: أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشُتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء كوصل الضميرين، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف مع أنه يجب الفصل في تلك الحالة كقول المتنبي:

خَلتِ البلادُ من الغزالةِ ليلَهَا ***** فأعاضهَاكَ اللهُ كي لا تحزنا

07 . التعقيد: وهو: أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به، وله سببان:

أحدهما: ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام، ولا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه.

والثاني: ما يرجع إلى المعنى، وهو ألا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني –الذي هو لازمه والمراد به– ظاهرًا.

والمثال الذي يتحقق فيه السبب الأول قول الشاعر:

---

[1]– المرجع السابق، ص 32

[2]– المرجع نفسه، ص 32

[3]– جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، ص 47

وما مثله في الناس إلا مملكًا ***** أبو أمه حي أبوه يقاربه

والمثال الذي يتحقق في السبب الثاني قول الشاعر:

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا ***** وتسكب عيناي الدموع لتجمدا"[1]

يمس التعقيد – المذكور آنفاً – مستويي الكلام لفظاً ومعنىً، ومنه قسم علماء البلاغة التعقيد بهذا الاعتبار إلى قسمين اثنين:

أحدهما: التعقيد اللفظي: وهو "كون الكلام خفيّ الدّلالة على المعنى المراد به بحيث تكون الألفاظ غير مُرتبة على وفق ترتيب المعاني، وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض، وهو مذموم، لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه في غير المواضع اللّائقة به" [2]، وبالتالي تختل وظيفة اللغة في إبلاغ المعاني وتزال الصبغة الجمالية عنها.

ثانيهما: التعقيد المعنوي: ويكون في الألفاظ المشتركة، التي تعرف بأنها: "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختَلِفَيْن أو أكثر دلالةً على السواء عند أهل اللغة، سواء أكانت الدلالتان مستفادتين من الوضع الأول، أو من كثرة الاستعمال، أو كانت إحداهما مستفادة من الوضع و الأخرى من كثرة الاستعمال"[3]، وكثرة المعاني التي يدل عليها اللفظ المشترك تستوجب قرينة تبين المعنى المقصود الذي يريده المتكلم، وإن لم تكن ثمة قرينة حاد الكلام عن معنى الفصاحة.

08 – كثرة التكرار: كثرة تكرار تعني أنَّ: للفظ الواحد اسما كان أو فعلا أو حرفاً، كان الاسم ظاهرا أو ضميراً، وإنما شرط هذا القائل الكثرة؛ لأن التكرار بلا كثرة لا يخل بالفصاحة، وإلا

[1]– ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص 31

[2]– ينظر: أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 33

[3]– علي بن عبد الكافي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1424 هـ / 2004 م، ج3، ص 637

لقبح التوكيد اللفظي[1]، تعدّد مرَّة بعد أخرى بغير فائدة، فهذا التكرار بهذه الصفة المذكورة يُعدُّ خارماً من خوارم فصاحة التركيب الكلامي، كما في قول الشاعر:

إنّي وأسطارٍ سُطرنَ سَطراً ***** لَقائلٌ يا نصرُ نصرُ نصراَ[2]

09 – تتابعُ الإضَافات: وهي: كون الاسم مضافا إضافةً مُتداخلة غالباً، وهذا ما يحدث ثقلا واضحاً في التركيب الجملي، وهذا ما ينافي معنى الفصاحة لغة واصطلاحاً، ومثاله كقول الشاعر:

حمامَةَ جَرعا حَومةِ الجَندَلِ لسجَعِي ***** فأنتِ بمرأى من سُعادَ ومَسمع[3]

3) العلاقة بين البلاغة والفصاحة:

قرر أهل المعاني أن: البلاغة أخص من الفصاحة، والفرق بينهما أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط، فيقال: كلمة فصيحة، ولا يقال بليغة".[4]

وأوضح **أبو هلال العسكري** أن هذه المسألة تدور حول قولين مختلفين:"أن الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلهما، لأن كل واحد منهما إنما هو بيان عن المعنى وإعراب عنه فقال على لسان أصحاب هذا القول: "الفصاحة تمام آلة البيان، فلهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فصيحا؛ إذ كانت الفصاحة تتضمّن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة؛ ويوصف كلامه بالفصاحة؛ لما يتضمّن من تمام البيان"[5].

شغلت قضية " اللفظ والمعنى" البلاغيين منذ القديم ولعل الفرق بينهم وبين اللغويين يكمن في أن اللغويين انطلقوا في الوظيفة النحوية والدلالية للفظة في التركيب اللغوي، أما البلاغيون فقد انطلقوا

1– محمد بن عرفة الدسوقي، حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ومختصر السعد هو شرح تلخيص مفتاح العلوم لجلال الدين القزويني، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ص 205

2– ينظر: أحمد مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 35

3– ينظر: المرجع نفسه، ص 36

4– أبو البقاء الحنفي، الكليات، ص 236

5– أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 8

من غرض التركيب اللغوي برمته لذلك ارتبطت دراسة البلاغيين بالصور البيانية في القرآن الكريم، والبيان عندهم اشتمل على كل أنواع البلاغة من حقيقة ومجاز وكناية واستعارة وتشبيه ...، مستنبطين هذا من سورة الرحمان من قوله سبحانه وتعالى:﴿**ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ**﴾(الرحمن2)، فالبيان ما يتم به المعنى وتحصل به الإفادة من أيسر طريق وأسلس تعبير وألطف لفظ، فالمجاز مثلا هو كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، فهي مجاز أو هو: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، ومعنى «الملاحظة»: هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن، إلا أنّ هذا الاستناد يقوى ويضعف. بيانه ما مضى من أنّك إذا قلت: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شبيها بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر في حاجة الثاني إلى الأوّل[1].

قال **أبي هلال العسكري**: " وينبغي أن تعرف أقدار المعاني، فتوازن بينها وبين أوزان المستمعين، وبين أقدار الحالات؛ فتجعل لكلّ طبقة كلاما، ولكلّ حال مقاما، حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات.[2]"

والذي يستفاد من كلام (أبي هلال العسكري) وغيره من البلاغيين في هذا الصدد، أن مطابقة الكلام لمقتضى الحال لا تتم إلا إذا وضع المتكلم أو الشاعر في حسبانه الموضوع أو الغرض الذي يتكلم فيه، بحيث يأتي كلامه متلائما معه مسايرا له، كما يضع في حسبانه المخاطب الذي يتوجه إليه بكلامه، فيكيف تعبيره اللغوي وفق الحال التي عليها هذا المخاطب، من علم بالموضوع أو جهل به أو إنكار له، ومن بين الأوصاف التي حددها البلاغيون للفظ، الجزالة والاستقامة ومشاكلة اللفظ للمعنى.

---

[1] ـ **ينظر**: الجرجاني أسرار البلاغة ج1، ص249.

[2] ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) الصناعتين،المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، عام النشر: 1419 هـ، ج1 ص 125.

يقصـد البلاغيـون بجزالـة اللفـظ أن لا يكـون غريبـا نابيـا، ولا سـوقيا مبتـذلا، ومعيـاره أن يكـون بحيـث تعرفـه العامـة إذا سمعتـه، ولا تسـتعمله في محاوراتهـا، أمـا الاسـتقامة، فـأن يكـون اللفـظ مسـتقيما مـن ناحيـة الجـرس أو الدلالـة أو التجـانس مـع قرائنـه مـن الألفـاظ، فـيلائم اللفـظ مـا يجـاوره، ويتسـق مـع الألفـاظ الـتي تحـيط بـه مـن حيـث الجـرس الموسـيقي، ومـن حيـث مطابقة معناه لمعاني ما حوله من الألفاظ، فيقرن الغريب بمثله، والمتداول بمثله.

كـان بحـث الحقيقـة والمجـاز مـن البحـوث الـتي اعتـنى بهـا البلاغيـون حـتى إن أكثـر اللغـة مجـاز ولقـد تـأتى المجـاز مـن كـون الألفـاظ دالـة علـى عـدة معـاني، مـع ان اللفـظ قـد يكـون لـه معـنى واحـد مـن حيـث الوضـع، والإصـطلاح لـذلك مهمـا حـاول بعـض البـاحثين أن ينفـي المجـاز عـن القـرآن الكـريم فإنـه لا يسـتطيع أن يتصـور نصـا لغويـا في قمـة الفصـاحة خاليـا مـن التراكيـب المجازيـة لـذلك فـإن الـذين أنكـروا المجـاز في القـرآن الكـريم حـاولوا أن يعطـوا للمجـاز تفسـيرات ومصـطلحات أخـرى، أمـا الحقيقـة فالمجـاز موجـود في القـرآن الكـريم لأنـه جـار مـن سنن العرب في كلامها.

الفصل الأول: الثراء اللغوي والعناية بالألفاظ في التراث العربي

المبحث الأول : إثراء القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي

المطلب الأول:إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتقدمين

المطلب الثاني: إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتأخرين

المبحث الثاني: اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى

المطلب الأول: الترادف

المطلب الثاني: الاشتراك اللفظي

المطلب الثالث: التضاد

المبحث الثالث: عوامل التوسع اللغوي

المطلب الأول: الحقيقة والمجاز

المطلب الثاني: التقديم والتأخير

المطلب الثالث: الإثبات والحذف في القرآن الكريم

المبحث الأول : إثراء القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي

المطلب الأول:إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتقدمين

المطلب الثاني: إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتأخرين

المبحث الأول : إثراء القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي والغربي

تمتاز كل اللغات الإنسانية بخصائص تميزها عن غيرها وبصفات استأثرت بها لنفسها، وعلى هذا النحو كانت اللغة العربية سارية وبهذا الوصف متصفة حيث إن المتكلمين بها والمنتسبين إليها يشعرون بأنها نعمة توجب الشكر، لأن الله سبحانه وتعالى اختارها لغة للقرآن الكريم المتعبد بتلاوته وهذا ما يضمن لها البقاء إلى الأبد، استنادا إلى نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، فاللغة العربية لها من المفردات ما يضاهي أي لغة أخرى وفيها من المفردات ما يفضي إلى الدقة المتناهية وبالتالي فهي أفضل وسيلة لتبليغ رسالة إلهية عن طريق القرآن الكريم.

المطلب الأول: إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتقدمين

تعتبر اللغة العربية احدى اللغات السامية التي نالت اهتمام الباحثين من مختلف الأجناس والأمصار، وبذلك عرفت هذه اللغة اهتماما من أرباب الفكر العربي قديما وحديثا، فكان العرب في مختلف مراحلها التاريخية مهتمين كل الإهتمام بلسان العرب وذلك من جراء الملكة اللغوية التي كانت تسري فيهم كابرا عن كابر حيث **يقول ابن خلدون:**" وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحق الملكات وأوضحها بيانا عن المقاصد[1]".

1- أفضلية اللغة العربية في القرآن الكريم:

هذا الوضوح الذي اتسمت به اللغة العربية هو الذي جعلها مؤهلة لكي تكون لغة القرآن الكريم، فقد رآها **ابن فارس**" بأنها أفضل اللغات وأوسعها، واستدل على ذلك بأن الله عز وجل

[1] . عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج1،ص 543.

اختارها لأشرف رسله وخاتم رسالته، فأنزل بها كتابه المبين، لذلك لا يقدر أحد من التراجم أن ينقله إلى اللغات الأخرى، كما فعل مع الانجيل الذي نقل من السريانية إلى الحبشية والرومية ثم إلى اللغات الأخرى، وترجمت التوراة والزبور وسائر الكتب السماوية بالعربية الفصحى، والسبب في ذلك يعود إلى أن العجم لم تتسع لغاتهم إلى المجازات التي اتسعت لها اللغة العربية في استعمالاتها"[1].

واستدل بقوله سبحانه تعالى: ﴿**وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾(الشعراء92) فقرر أن وصَف الله جلّ ثناؤه للقرآن الكريم بأبلغ مَا يوصَف بِهِ الكلام لهو دليل على أن اللغة العربية هي أفضل ما تواصل به الإنسان على الإطلاق، وهذا التفضيل منه للغة العربية على غيرها يرجع إلى أنه مسلم ولا يصح عنده دليل كدليل النص القرآني، لكن غير المسلم لا يسلم له بذلك ولابد من الإتيان بدليل عقلي يتفق عليه بغض النظر عن الدليل النقلي الذي لا تتفق عليه جميع الملل.

أكد "**ابن فارس**" أن الميزة التي تجعل من اللغة العربية الأفضل من بين سائر اللغات هي البيان، واتكأ لبناء هذه الفكرة على قوله سبحانه وتعالى:﴿**خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ**﴾(الرحمن2) حيث قرر أن الله تعالى قدّم ذكر "البيان" عَلَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة والنشايا المتْقَنة. فلمّا خُصَّ اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه"[2].

إن الكلام الذي صرح به "ابن فارس" يحتاج إلى مزيد تمحيص، إذ أن البيان المراد من آية سورة الرحمن هو البيان العام الذي امتن الله تعالى به على الناس كلهم، والذي جعله آية من آياته وعلامة على وجود ذاته حينما قال: "ومن آياته اختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"، فالبيان المراد من آية سورة الرحمن تضمن الاعتبار بنعمة الإبانة عن المراد والامتنان بها بعد الامتنان بنعمة الإيجاد، أي علم جنس الإنسان أن يبين عما في نفسه ليفيده غيره ويستفيد هو،

[1] . ينظر: ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة، ج1ص19.

[2]. ينظر المصدر نفسه ص19.

والبيان: الإعراب عما في الضمير من المقاصد والأغراض وهو النطق وبه تميز الإنسان عن بقية أنواع الحيوان فهو من أعظم النعم"[1].

وعليه: فإن الاستدلال الذي رمى إليه ابن فارس لإبراز أفضلية اللغة العربية ضعيف من هذا المنحى، وإن تخصيصه اللسان العربي بالمعنى الحاصل من الآية هو تخصيص من غير مخصص، والآية دالة على نعمة البيان بعمومها وليس هناك ما يخصصها في الباب، كما إن بعض المفسرين نحى بالمعنى المراد من آية سورة الرحمن منحى آخر وساقها في سياق آخر يجعل من الكلام على "البيان" في باب أفضلية اللغة العربية على سائر اللغات بعيدا كل البعد، فقد أفاد ابن جرير الطبري بسنده إلى قتادة بأن البيان المراد من الآية هو : "علمه الله بيان الدنيا والآخرة بين حلاله وحرامه، ليحتجّ بذلك على خلقه"[2]، وروى عنه كذلك بأن البيان هو: تَبَيَّنَ له الخيرُ والشرّ، وما يأتي، وما يدع، وله في ذلك روايات أخرى[3]"، وأما البيان بغير النطق من إشارة وإيماء ولمح النظر فهو أيضا من مميزات الإنسان وإن كان دون بيان النطق، ومعنى تعليم الله الإنسان البيان: أنه خلق فيه الاستعداد لعلم ذلك وألهمه وضع اللغة للتعارف.

2- جهود العلماء في المحافظة على اللغة العربية:

بذل العلماء المسلمون جهوداً عظمى في سبيل المحافظة على اللسان العربي وتطويره، وإن الناظر إلى التراث اللغوي الذي تزخر به المكتبة العربية من الكتب النحوية والصرفية والبلاغية والمعجمية لأدرك كل الإدراك بأن الأمة بذلت الكثير في المحافظة على اللغة العربية، والقصد من ذلك ديني محض، لأن النية التي كانت تحذو كل واحد منهم هي خدمة اللغة التي أنزل على وفقها القرآن الكريم، حيث قرر شوقي ضيف أن القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية القرون المتطاولة السابقة، وقد حول العربي من إنسان جاهل يؤمن بالخرافات إلى إنسان محب للعلم مشغوف بالمعرفة، يطلبها أينما كانت، ولم يلبث أن فتح له الأرض، فدخلت إلى العربية أمم شاركت في لسانها وأدبها، وتعاونت في تلك النهضة الروحية والاجتماعية والأدبية والعلمية، ومن الحق أن كل ما كسبته لغتنا من آداب في

[1]. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج28ص233.

[2]. الطبري: جامع البيان، ج22ص8

[3]. المصدر نفسه ج22ص8.

الشعر والنثر، ومن علوم شرعية ولسانية وعقلية فلسفية، إنما كان بفضل القرآن، بل لقد تعدت آثاره لغته العربية إلى لغات الأمم الإسلامية التي لا تنطق بلغته، ولنتصور العرب لم يرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نزل فيهم الذكر الحكيم إذن لما فارقت لغتهم جزيرتهم، ولظلوا وثنيين في تنابذ وشقاق، وحروب طاحنة، بل لعل لغتهم كانت قد اندثرت كما اندثرت لغات قديمة كثيرة، فالقرآن هو الذي نفخ في روحها، وهو الذي أتاح لها الحياة على توالي القرون، وهو الذي نقلها من لغة بداوة إلى لغة مدنية، حتى أصبحت لغة عالمية لأمم كثيرة اتخذتها لسان ثقافتها وآدابها، ولا يوجد في تاريخ البشرية كتاب له هذه الآثار العظيمة في لغته، وتغيير أحوال من آمنوا به، بل هو يقف وحده في هذا الباب، إنه مفخرة العرب ومعجزة الإسلام، وآيته الباهرة"[1].

برع علماء الإسلام في وضع وإنشاء فنون وعلوم للغة العربية، فعلم النحو العربي من العلوم التي سبقت علوم اللغة العربية للدفاع عن القرآن الكريم وصونه من الخطأ أو التحريف، فهو يشكل عاملاً أساسياً في فهم المعنى على دلالة النصوص، هذا ما جعل العلماء يجمعون على أهميته وقيمته في تفسير كلام الله عو وجل، وقد أشار إلى ذلك أحمد جميل شامي نقلاً عن "مكي بن أبي طالب" حين قوله: "رأيت من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب في تجويده ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته...، وأفضل ما لقارئ محتاج إلى معرفة إعرابه، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على أحكام اللفظ به، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات متفهماً لما أراد الله به عباده، إذ بمعرفته حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني فتظهر الفوائد ويفهم الخطاب ويصح معرفة حقيقة المراد"[2]

مما لا شك فيه أن **الخليل الفراهيدي** ، أول من كان له الفضل في تأليف معجم كامل وجامع لمفردات اللغة العربية بأكملها، وذلك في كتاب " العين"، مستعينا بنظام التقاليب، حيث قام

[1]. ينظر: أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (ت: 1426ه): الفن ومذاهبه في النثر العربي، الناشر: دار المعارف، ط: الثالثة عشرة،ص47.

[2]. ينظر: أحمد جميل شامي: النحو العربي قضاياه ومراحل تطوره، دار الحضارة ومؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،1418ه/1997م، ص14.

بتصنيف مفردات معجمه في أبواب بعدد حروف الهجاء، مراعيا الترتيب الصوتي لها، وبعد " **العين**" توالت الكتابات، فاستطاع العلماء رصد كم هائل من المعجمات اللغوية الضخمة، عبر توالي العصور والأزمنة، ومن بين هذه الثروة اللغوية الطائلة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب الجمهرة:لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد(، 321هـ)

كتاب المقاييس: لأحمد بن فارس (ت 395هـ)

كتاب الصحاح: للجوهري (ت 400هـ)

كتاب العباب: للصغاني(650هـ)

لسان العرب: ابن منظور(711هـ)

القاموس المحيط: الفيروز أبادي(، 817هـ)

تاج العروس: الزبيدي(، 1205هـ)"[1].

يمكن أن نعد المعاجم السابقة ضمن المعاجم القديمة التراثية، وهي نتيجة اهتمام العلماء بجمع مفردات القرآن الكريم والسنة النبوية، وكلام العرب شعرا ونثرا، فاستطاعوا بذلك الحفاظ على الرصيد اللغوي العربي، والحاصل: أن علماء المسلمين اهتموا باللسان العربي أيما اهتمام، وما سبق ذكره ما هو إلا مقتطفات من الجهود المبذولة لتطوير اللغة العربية، ولا أدل على ذلك من التراث الكبير الذي ألف في علوم اللغة العربية وفنونها، ولازال المعين لم ينضب.

المطلب الثاني: إثراء القرآن الكريم للغة العربية عند المتأخرين

إذا كان القرآن الكريم حفظ اللغة العربية، وصانها وهذب مفرداتها، وكان له الفضل في توحيد لهجاتها، يقول **سعيد رمضان البوطي** في هذا الجانب:" أن اللغة العربية إنما استقام أمرها على منهج سليم موحد. بسر هذا الكتاب وتأثيره، وهي إنما ضمن لها البقاء والحفظ بسبب ذلك وحده. فقد كانت اللغة العربية من قبل عصر القرآن أمشاجا من اللهجات المختلفة المتباعدة، وكان كلما امتد

[1]. ينظر: حسن نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، مصر، 1988م، ص 316

الزمن، ازدادت هذه اللهجات نكارة وبعدا عن بعضها،وحسبك أن تعلم أنّ: المعينية، والسبئية، والقتبانية، واللحيانية والثمودية والصفوية والحضرمية، كلها كانت أسماء للهجات عربية مختلفة، ولم يكن اختلاف الواحدة منها عن الأخرى محصورا في طريقة النطق بالكلمة، من ترقيق أو تفخيم أو إمالة أو نحو ذلك، بل ازداد التخالف واشتد إلى أن انتهى إلى الاختلاف في تركيب الكلمة ذاتها وفي الحروف المركبة منها، وفي الإبدال والإعلال والبناء والإعراب"[1].

ويبين فضل القرآن على اللغة العربية ولهجاتها بقوله:" فلما نزل القرآن، وتسامعت به العرب، وائتلفت عليه قلوبهم، أخذت هذه اللهجات بالتقارب، وبدأ مظاهر ما بينها من خلاف تضمحل وتذوب، حتى تلاقت تلك اللهجات كلها في لهجة عربية واحدة، هي اللهجة القرشية التي نزل بها القرآن وأخذت ألسنة العرب على اختلافهم وتباعد قبائلهم تنطبع بطابع هذه اللغة القرآنية الجديدة. فكان ذلك سرّ هذا الشريان السحري العجيب الذي امتدّ في أجلها، فاستصلبت بعد ميعة، وقويت بعد تفكك، واتحدت بعد تناثر"[2] ، وإذا كان حال اللغة هكذا فإلى أي مدى برز تأثيره في اللغة العربية عند المتأخرين؟

لاشك أن القرآن الكريم أثر في اللغة العربية من وجوه عدة، ولعل من وجوه تأثيره في اللغة العربية وإثرائها عند المتأخرين، كونه مددا لأفكارهم واستشهاداهم، وحجة في إثبات مواقفهم في مختلف العلوم والمواضيع، ويمكن حصر أهم الوجوه المتعلقة بإثراء اللغة العربية عند المتأخرين في ثلاثة اعتبارات، (الاستعمال القرآني، وتنمية الذوق الأدبي وجمالية التصوير، ودقة التعبير)

أ- الاستعمال القرآني:

ويقصد بالاستعمال القرآني، هو توظيف القرآن الكريم للألفاظ، سواء من حيث المعنى الجديد الذي يعطيه للغة،كلفظ الصلاة والزكاة وغيرهما، أو توظيف القرآن لبعض الألفاظ وتعريبها ممن وجدت في غير اللغة العربية، ولعل كثير من العلماء خاصة في مجال الدراسات القرآنية حفلت مصنفاتهم بهذه الألفاظ،كالإمام الزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان، غير أن بعض العلماء

[1]. رمضان البوطي، من روائع القرآن ، مؤسسة الرسالة بيروت، 1420هـ، 1999م، ص 18

[2]. المرجع نفسه ، ص19

يرون أن الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ يثري العربية ويصقل هذه الألفاظ ويحولها إلى العربية، وفي هذا الصدد يقول **الشيخ الشعراوي**:" القرآن كله عربي، بمعنى أنه اذا خوطب به العرب فهموه، وهناك ألفاظ دخلت في لغة العرب قبل أن ينزل القرآن، ولكنها دارت على الألسن بحيث أصبحت عربية وألفتها الاذان العربية، فليس المراد بالعربي هو أصل اللغة العربية وحدها، وإنما المراد عنده أن القرآن الكريم نزل باللغة التي لها شيوع على ألسنة العرب، وبحسبه ما دام اللفظ قد شاع على اللسان قولا وفي الآذان سمعا، فإن الأجيال التي تستقبله لا تفرق بينه وبين غيره من الكلمات التي هي من أصل عربي، فاللفظ الجديد أصبح عربيا بالاستعمال وعند نزول القرآن كانت الكلمة شائعة شيوع الكلمة العربية، واللغة ألفاظ يصطلح على معانيها، بحيث إذا أطلق اللفظ فهم المعنى، واللغة التي نتكلمها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف"[1].

ب –تنمية الذوق وجمالية التصوير:

لعل في طليعة من اهتم بهذا الجانب وأولاه عناية كبيرة **سيد قطب** في تفسيره للقرآن الكريم، وكذا في التصوير الفني للقرآن الكريم، إذ ركز على عناية القرآن الكريم على دقة تصوير وإعطاء الحياة للجمادات وبعثها، وهو نوع من الثراء المعنوي والدلالي والبياني من حيث الأسلوب، وفي هذا الصدد يقول **سيد قطب**:" وظاهرة أخرى تتضح في تصوير القرن الكريم وهي "التجسيم" تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساما أو محسوسات على العموم، وإنه ليصل في هذا إلى مدى بعيد، حتى ليعبر به في مواضع حساسة جد الحساسية، ومن أمثلة ذلك لون من ألوان التخيل، ويمكن أن نسميه "التشخيص"ويتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والإنفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية، تشارك بها الآدميين، وتأخذ منه وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابسات، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيئ تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود ، فهذا هو الصبح يتنفس، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالصُّبْحِ إِذَا**

[1]. ينظر: محمد متولي الشعراوي، خوطر الشعراوي، مراجعة :أحمد عمر هاشم ،مطابع أخبار اليوم، القاهرة مصر 1992،ج1ص91.

﴿تَنَفَّسَ﴾(التكوير17)، فيخيل إليك هذه الحياة الوديعة الهادئة التي تنفرج عنها ثناياه، وهو يتنفس، فتتنفس معه الحياة، ويدب النشاط في الأحياء، على وجه الأرض والسماء"[1].

ويوضح **عبد الكريم الخطيب** طبيعة البيان القرآني وسموه بقوله "أفاض الله سبحانه عليها- الكلمات- هذا الفيض، ونفخ فيها من روحه، كما نفخ في عصا موسى، لكنه مع ذلك أبقى على تلك الكلمات طبيعتها التي يعرفها الناس منها، كما أبقى على عصا موسى طبيعتها كذلك"[2].

فإذا نظرنا إلى جمالية تصوير القرآن الكريم وبثه للحياة في الجامدات فغدت حية متحركة محسوسة، وقد نبه على هذا الجانب الباحثون في دراساتهم سواء المتعلقة بالأسلوب القرآني، أو بالمفردة القرآنية يقول **أحمد ياسوف** :" وهاهنا مخاطبة الخالق لما خلق، وكذلك الواقع المحسوس في تصوير جزئياته في الطبيعة الصامتة والمتحركة، والمشاهد المألوفة، وتقريب ما هو ليس بمألوف بإثارة الحواسّ والبصيرة، واستدامة صورته الفنية هي نتيجة ثبات الحواسّ وتأكيده على ربط الصورة بالحواسّ، وهكذا لم يرفض الواقع، بل نهض به ولوّنه.ولغة القرآن الكريم عربية، ولا نحبّ أن نثبت له الصّفة الدينية فقط، أو الجهة العلوية، لنقرنه بالسّموّ، فهذا لا يدحض كلام جاحد، ولا يدفع هجوم منكر، والصحيح أن هذا الكتاب العظيم استخدام المفردات العربية أحيانا في غير مجالها المعهود، ففي مجال المضمون قلّص دلالات كثيرة، وبثّ فيها المعاني المغايرة بصبغتها الدينية، والشواهد كثيرة على هذا كالمصطلحات الدينية في العقيدة والتشريع «صلاة، نفاق، صراط .. ».

وإذا كان جمال مفرداته من مصدر إلهي، فهذا يعني بالضبط سموّ الفن القرآني في مضمار الفن الأدبي، وحجّته الأولى هي اللسان العربي الفصيح، وطبيعة الفن، وليس الدافع الديني، فنحن نلمس السرّ الإلهي في الكلام المبين من خلال الآثار الجليّة التي تدلّ على وجوب الاعتراف بالبيان لمن علّم البيان"[3] .

ج دقته في التعبير:

[1] . ينظر: السيد قطب، التصوير الفني، دار الشروق، ط 17، 2004، ص73

[2] . عبد الكريم الخطيب،إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، مصر ط، 1 ،ج2ص295

[3] - أحمد ياسوف جماليات المفردة القرآنية، الناشر: دار المكتبى – دمشق، ط: 2، 1419 هـ - 1999م، ص30

كما تنبه الأدباء والبلاغيون المعاصرون إلى تنوع أساليب القرآن، ودقة القرآن الكريم في توظيف الزمان، ومن ذلك قول **سامي وديع** في تفسير سورة النحل إذ قال :" جاء التعبير ب (ينزل) بالتشديد، وليس " ينزل "؛ لأن السياق سياق إثبات للتوحيد، وإن من الأمور المثبتة لذلك هو تنزيل الملائكة بالوحي، فناسب التشديد أهمية ذكر الوحي في سياق إثبات الوحدانية لله.أو لأن المقصود بإنزال الملائكة هو نزولها من بداية البشرية إلى وفاة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو تنزيل عظيم على مدى هذه السنين الطويلة، فناسبه التشديد.

جاء التعبير بالفعل المضارع (ينزل الملائكة)؛ لأن نزول الملائكة بالرسالات كان مستمرا حتى زمن نزول الآيات"[1] .

ووضح **فاضل السمرائي** في كتابه" **التعبير القرآني**:" وأنه لا يستطيع أن ينهض ببيان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه، وإنما هو دراسة في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه، وأن هذا الكتاب وكذلك كتاب التعبير القرآني ليس في بيان الإعجاز القرآني وليس هو خطوة واحدة في هذا الطريق وإنما هو خطوة في طريق قد يُصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز،وأن إعجاز القرآن الكريم أمر متعدد النواحي متشعب الإتجاهات ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال"[2].

أما **عائشة بنت الشاطئ** فألفت كتابها المسمى:" بالتفسير البياني للقرآن الكريم"، فتجلى تأثرها بلغة القرآن الكريم أيما تجل، فأكدت أن لكل لغة روائعا من آدابها، تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل، والمثل الرفيعة لفنها القولي وقد غبرت الأجيال من الأمة تتجه إلى نصوص مختارة من شعر اللغة العربية ونثرها، تضعها بين أيدي القراء أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب، وبحسبها فإن شغل أصحاب الدرس الأدبي بالمعلقات والنقائد والمفضليات ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثي

[1] - سامي وديع، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، الناشر: دار الوضاح، الأردن – عمان، ص5

[2] . ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية،ص2.

والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، شغل الأمة بهذا عن القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب ان يتصل كل عربي به أراد ان يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التعبير والأدب"[1].

وتركز على دلالة اللفظ ودقته على المعنى، وتنكر وجود الترادف وفي هذا الصدد تقول:" شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها، أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة، لا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ.الرؤيا والحلم:في آيتي يوسف مثلاً، عن رؤيا ملك مصر من قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ**﴾(يوسف44). المعاجم تفسر الحلم بالرؤيا. فهل من العرب الخلص في عصر المبعث. بحيث يضعون أحد اللفظين بدلاً من الآخر، حين تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فيقال مثلاً: أفتوني في حلمي إن كنتم للحلم تعبرون؟

ذلك ما لا يقوله عربي يجد حسَّ لغته، سليقة وفطرة، ونستقرئ مواضع ورود اللفظين في القرآن فلا يترادفان"[2] .

كما تناول الأدباء المتأخرون ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته، وكان من بينهم **مصطفى صادق الرافعي** الذي عنون كتابه الأدبي "بوحي القلم"، وذلك تأثرا بمصطلح الوحي في القرآن الكريم، والوحي كما هو معلوم: الإشارة السريعة، وذلك بأن يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض"[3].

---

[1]. ينظر: عائشة بنت الشاطئ(1419هـ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف القاهرة، ط7، ج1ص13.

[2] ـ عائشة بنت الشاطئ الإعجاز البياني،ص 215

[3]. ينظر: مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3 1421هـ- 2000م، ص28.

حيث انتهج هذا النهج لمعالجته للمواضيع التي بثها في كتابه فكان يلمح ويرمز ويرسل رسائل خفية يكتشفها القارئ بعد وقوف وروي، ومن العناوين التي اقتبس فيها القرآن الكريم، "فوق الآدمية الإسراء والمعراج" حيث أكد أن قصة الإسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه بالنجم الإنساني العظيم؛ وهو النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية؛ فإن سماء الإنسان تظلم وتضيء من داخله بأغراضه ومعانيه، والله سبحانه وتعالى قد خلق للعالم الأرضي شمسا واحدة تنيره وتحييه وتتقلب عليه بليله ونهاره، بيد أنه ترك لكل إنسان أن يصنع لنفسه شمس قلبه وغمامها وسحائبها وما تسفر به وما تظلم فيه، ولهذا سمي القرآن الكريم نورا لعمل آدابه في النفس، واستدل بقوله سبحانه وتعالى:﴿**يَوْمَ تَرَى ٱلْمُومِنِينَ وَٱلْمُومِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ**﴾ (الحديد: 12)"[1].

وعليه فإن القرآن الكريم كان ولا زال محلا لاستمدادات الكاتبين في مختلف العلوم والفنون وكان للمتأخرين باع عظيم في تأصيل العلوم على أساس القرآن الكريم، سواء تعلق الأمر بعلم النحو وتقعيده مسائله وشواهده، أو علم البلاغة، أو علم التفسير، أو غيرها من العلوم فاعتبر القرآن مصدر، ومطورا ومثريا للغة العربية ومفرداتها سواء من حيث البناء، أو من حيث علم الأصوات خفة وشدة، أو من حيث اتساع دلالاته، ولا يمكن لمثل هذه الدراسة أن تحيط بالموضوع من كل جانبه، نظرا لتشعبه واتساعه ودقته، إذ يحتاج إلى دراسة خاصة به، فاكتفيت بالاشارة للموضوع والتمثيل له بأقوال المتأخرين،حذر الإطالة وبغية الاكتفاء ، بما يحقق الغرض من بيان أثر القرآن الكريم في إثراء اللغة العربية عند المتأخرين.

ظهر أثر القرآن الكريم في إثراء الملكة اللغوية لدى المتأخرين في عدة جوانب وباعتبارات مختلفة، حيث كان مددا لأفكارهم وسيلا للغتهم وحجة في إثبات مواقفهم في مختلف العلوم والمواضيع، ففي علم التفسير مثلا ظهر في المتأخرين من ابرى له فألف فيه بناء على الملكة اللغوية

[1]. ينظر: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ) وحي القلم، الناشر: دار الكتب العلمية، ط:1،1421هـ-2000م، ج2ص30.

القرآنية، وكان من أبرزهم **محمد متولي الشعراوي** الذي دبج تفسيره على أساس متين من اللغة العربية وعلومها، فأشعر بمرجعيته اللغوية المتبعة في علم التفسير من أول سورة في القرآن الكريم، حيث قرر أن القرآن كله عربي، بمعنى أنه اذا خوطب به العرب فهموه، وهناك الفاظ دخلت في لغة العرب قبل أن ينزل القرآن، ولكنها دارت على الألسن بحيث أصبحت عربية وألفتها الاذان العربية، فليس المراد بالعربي هو أصل اللغة العربية وحدها، وانما المراد عنده أن القرآن الكريم نزل باللغة التي لها شيوع على ألسنة العرب، وبحسبه ما دام اللفظ قد شاع على اللسان قولا وفي الآذان سمعا، فإن الأجيال التي تستقبله لا تفرق بينه وبين غيره من الكلمات التي هي من أصل عربي، فاللفظ الجديد أصبح عربيا بالاستعمال وعند نزول القرآن كانت الكلمة شائعة شيوع الكلمة العربية، واللغة ألفاظ يصطلح على معانيها، بحيث إذا أطلق اللفظ فهم المعنى، واللغة التي نتكلمها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف[1].

وممن برز في مجال التفسير البياني **فاضل السمرائي** الذي اعتمد علوم البلاغة في تفسيره لآي القرآن الكريم، حيث عدل عن عناوين اقترحت عليه غلى عنوان عن الآخر هو:" لماسات بيانية"، فاعتذر لبعض من أشار عليه بأن يعنون كتابه" التعبير القرآني" أو يعبره افعجاز القرآني، متعللا أن هذا العنوان أكبر منه، وأنه لا يستطيع أن ينهض ببيان الإعجاز القرآني ولا بشيء منه وإنما هو دراسة في بيان شيء من أسرار التعبير القرآني العظيم الذي لا تنتهي عجائبه، وأن هذا الكتاب وكذلك كتاب التعبير القرآني ليس في بيان الإعجاز القرآني وليس هو خطوة واحدة في هذا الطريق وإنما هو خطوة في طريق قد يُصل السالك إلى طريق الإعجاز أو شيء من الإعجاز،وأن إعجاز القرآن الكريم أمر متعدد النواحي متشعب الإتجاهات ومن المتعذر أن ينهض لبيان الإعجاز القرآني شخص واحد ولا حتى جماعة في زمن ما مهما كانت سَعَةُ علمهم واطلاعهم وتعدد اختصاصاتهم إنما هم يستطيعون بيان شيء من أسرار القرآن في نواح متعددة حتى زمانهم هم، ويبقى القرآن مفتوحاً للنظر لمن يأتي بعدنا في المستقبل ولما يجدّ من جديد. وسيجد فيه أجيال المستقبل من ملامح الإعجاز وإشاراته ما لم يخطر لنا على بال"[2].

[1] . ينظر: محمد متولي الشعراوي، خوطر الشعراوي، ج1ص91.

[2] . ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية،ص2.

أما **عائشة بنت الشاطئ** فألفت كتابها المسمى:" بالتفسير البياني للقرآن الكريم"، فتجلى تأثرها بلغة القرآن الكريم أيما تجل، فأكدت أن لكل لغة روائعا من آدابها، تعتبرها النماذج العالية لذوقها الأصيل، والمثل الرفيعة لفنها القولي وقد غبرت الأجيال من الأمة تتجه إلى نصوص مختارة من شعر اللغة العربية ونثرها، تضعها بين أيدي القراء أو تقدمها إلى التلاميذ والطلاب، وبحسبها فإن شغل أصحاب الدرس الأدبي بالمعلقات والنقائد والمفضليات ومشهور الخمريات والحماسيات والمراثي والمدائح والغزليات ومأثور الرسائل والأمالي والمقامات، شغل الأمة بهذا عن القرآن الكريم الذي لا جدال في أنه كتاب العربية الأكبر ومعجزتها البيانية الخالدة، ومثلها العالي الذي يجب ان يتصل كل عربي به أراد ان يكسب ذوقها ويدرك حسها ومزاجها، ويستشف أسرارها في البيان وخصائصها في التعبير والأدب"[1].

أما الأدباء المتأخرون فقد استمدوا عناوين رواياتهم ومقالاتهم وكتبهم من ألفاظ القرآن الكريم ومصطلحاته، وكان من بينهم **مصطفى صادق الرافعي** الذي عنون كتابه الأدبي "بوحي القلم"، وذلك تأثرا بمصطلح الوحي في القرآن الكريم، والوحي كما هو معلوم: الإشارة السريعة، وذلك بأن يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض[2]. حيث انتهج هذا النهج لمعالجته للمواضيع التي بثها في كتابه فكان يلمح ويرمز ويرسل رسائل خفية يكتشفها القارئ بعد وقوف وروي، ومن العناوين التي اقتبس فيها القرآن الكريم، "فوق الآدمية الإسراء والمعراج" حيث أكد أن قصة الإسراء والمعراج هي من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه بالنجم الإنساني العظيم؛ وهو النور المتجسد لهداية العالم في حيرة ظلماته النفسية؛ فإن سماء الإنسان تظلم وتضيء من داخله بأغراضه ومعانيه، والله سبحانه وتعالى قد خلق للعالم الأرضي شمسا واحدة تنيره وتحييه وتتقلب عليه بليله ونهاره، بيد أنه ترك لكل إنسان أن يصنع لنفسه شمس قلبه وغمامها وسحائبها وما تسفر به وما تظلم فيه، ولهذا سمي القرآن الكريم نورا لعمل آدابه في النفس، واستدل بقوله سبحانه وتعالى:{يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ} [الحديد: 12][3]،

[1]. ينظر: عائشة بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم ، ج1ص13.

[2]. ينظر: مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3 1421هـ- 2000م، ص28.

[3]. ينظر: الرافعي ،وحي القلم، ج2ص30.

أما في المجال الفكري فيبرز من المتأخرين **محمد سعيد رمضان البوطي** الذي استمد من القرن الكريم غالبية أطروحاته الفكرية والفلسفية كان من أبرز ما ألف كتابه" الحب في القرآن الكريم ودور الحب في حياة الإنسان "، حيث تعرض فيه إلى حديث القرآن الكريم عن الحب الكسبي من الإنسان لله سبحانه وتعالى، وجعل أصل هذه المسألة قوله سبحانه وتعالى: قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، وقوله سبحانه تعالى: فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، فبين بأن الحب المراد هنا هو الحب الكسبي لا الحب الفطري، وإنما المراد من المكلف أن يحب الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بحب كسبي أقوى من الحب الفطري"[1].

وعليه فإن القرآن الكريم كان ولا زال محلا لاستمدادات الكاتبين في مختلف العلوم والفنون وكان للمتأخرين باع عظيم في تأصيل العلوم على أساس القرآن الكريم وما ذكر ما هو إلا غيض من فيض من الذين اقتبسوا القرآن الكريم في تحديد عناوين كتبهم وتدبيج أسس أفكارهم ومواقفهم.

[1]. ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، الحب في القرآن الكريم ودوره في حياة الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 1432،2009هـ، ص44.

المبحث الثاني: اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى

المطلب الأول: الترادف

المطلب الثاني: الاشتراك اللفظي

المطلب الثالث: التضاد

المبحث الثاني: اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى

مما ترتكز عليه الفصاحة هو الاعتناء بالألفاظ وتهذيبها وحسن اختيارها، وهذا ما كانت العرب توليه عناية فائقة، ومن حسن البلاغة عندهم أن يكون اللفظ المعبر به في مستوى المعنى المراد.

قال ابن جني: "ذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها، وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلف استمرارها فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرًا في نفوسها"[1].

ومع عناية العرب بهذا التناسب بين اللفظ والمعنى في كلامهم وأشعارهم وخطبهم وبلوغهم مبلغا عظيما، فإنهم يقفون عاجزين أن يبلغوا في ذلك مبلغ الكمال، وأول ما يشهد عليهم بذلك صنيعهم، فترى أحدهم مهما بلغ حرصه على تناسب الألفاظ واختيار الحروف وتعانق المعاني، ومهما استحسن الناس كلامهم وأعجبوا به، غير أنه يستشرف الكمال، ولا يستحسن ما قدمه رجاء أن يقدم ما هو أحسن وأبلغ. وذلك لأنه ليس للبلاغة حد تنتهي إليه والناس في ذلك متفاوتون.

المطلب الأول: الترادف

الترادف ظاهرة لغوية عرفتها أغلب اللغات، ويكاد يجمع الباحثون على وجودها في كل لغات البشر، وقد عرفتها اللغة العربية بشكل أوسع حتى أصبحت تتميز عن غيرها.

الترادف لغة: الترادف والردف متقاربتان من حيث المعنى في لغة العرب، **جاء في لسان العرب**: "الردف ما تبع الشيء، وكل شيء تبع شيئا فهو رِدفُه. وإذا تتابع شيء

[1] – أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): الخصائص،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 4، ص 218.

خلف شيء فهو الترادف"[1]، **وفي المعجم الوسيط**:"ترادفا تتابعا وَركب أَحدهمَا خلف الآخر وتعاونا وترادفت الكلمتان كَانَ بَينهمَا الترادف"[2].

الترادف اصطلاحا: اصطلح فقهاء اللغة على أن الترادف هو :"ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك"[3].

لقد تميزت اللغة العربية بهذه الظاهرة اللغوية المسماة بالترادف حتى أوغل فيها الكثير من اللغويين، ونتج عن ذلك طائفتان من علماء اللغة، احداهما تؤيد الترادف، والأخرى تنكره.

قال عبد الفتاح الخالدي: "و من القائلين بالترادف في اللغة أبو زيد الأنصاري: سعيد بن أوس بن ثابت، وابن خالويه: الحسين بن أحمد، والأصمعي: عبد الملك بن قُرَيْب، وسيبويه: عمر بن عثمان، وابن جني: عثمان بن جني، والفيروزابادي: محمد بن يعقوب، وقطرب: محمد بن المستنير، وابن سيده: علي بن اسماعيل، والرماني: علي بن عيسى، والمبرد: محمد بن يزيد الأزدي"[4].

ومن الذين ألفوا فيه **الأصمعي** في كتابه المعنون "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه"[5]،وقد أفرد ابن خالويه كتابا في "أسماء الحية"، وكتابا في "أسماء الأسد[6]"، ثم تبعه الرماني بكتاب سماه "الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى"[7]،وألف فيروز أبادي كتابا سماه"الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف"لكنه مفقود.

---

[1]- لسان العرب: ج9ص 114.

[2] - المعجم الوسيط: ج1 ص 339.

[3]- ينظر التعريفات الجرجاني: ص 210.

[4] - ينظر صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،عمان، دار عمار، ط3، 1429هـ، 2008م،ص204.

[5]- عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216هـ): ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه،تحقيق:ماجد حسن الذهبي،دار الفكر،1986، ص 143.

[6]- ينظر ابن خالويه: أسماء الأسد، ،تحقيق محمود جاسم الدرويش،مؤسسة الرسالة، ط 2، ص 1989.

[7]- أبي الحسن علي بن عيسى الرماني: الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق:فتح الله المصري، دار الوفاء للطباعة والنشر،1992م، ص 265.

بناءا على وجود الترادف في اللغة عند أصحاب هذه المؤلفات، فإنه يصح في نظرهم استبدال كلمة بأخرى مرادفة لها، ومما احتجوا به على وجود الترادف هو تعدد القبائل العربية واختلاف ألسنتها فقد تسمي القبيلة الواحدة الشيء باسم معين، وتسميه قبيلة أخرى باسم آخر، وهكذا تتعدد الأسماء للمسمى الواحد، ومن الأسباب المؤيدة إلى وجود الترادف أن جامعي اللغة جمعوا كل ما استطاعوا أن يجمعوه من كلام العرب على اختلاف ألسنتهم، فاجتمع من أجل ذلك كمٌّ غزير من ألفاظ لغات هذه القبائل، فكان ذلك أساسا لوجود الترادف، كما أن الشعراء في العصر الجاهلي كانوا يحملون الكثير من الألفاظ المعاني التي يريدونها من غير مراعاة للمعنى الأصلي للفظ أحيانا، فتنتج عن ذلك كثرة من المترادفات.

وهناك ظاهرة أخرى تمتاز بها اللغة العربية وهي الدقة في التعبير مما جعل الكثير من الألفاظ تأخذ معنى عاما واحدا عند الكثير من الناس في حين أن لكل معنى لفظ خاص به، ولقد أشار إلى هذه الظاهرة منكروا الترادف.

تعرّض **ابن جني** أيضا لهذه الظاهرة اللغوية في «الخصائص»، وتحت عنوان «باب تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني» حيث نجد إقرارا بوجود الترادف نتيجة الأصل الحسي للمترادفات، فالطبيعة والغريزة والنّقيبة والنحيزة والنّحيتة والضّريبة بمعنى واحد، لأنه استنتج أن المشقّة موجودة في كنف أصولها الحسية، فالطبيعة من: طبعت الشيء، كما يطبع الدّرهم والدّينار، والنحيتة من نحتّ الشيء أي ملّسته وأقررته على ما أردت منه، والغريزة لتغريز الشيء بالآلة التي تثبت الصورة، والنقيبة من نقبت الشيء وهو نحو من الغريزة، والضريبة كذلك لأن الطّبع لا بدّ له من الضّرب، لتثبت الصورة المرادة"[1].

[1]- ينظر، ابن جنّي: الخصائص، ج2، ص114.

وقد أفاض **ابن جني** في هذه النظرية أي ترادف كلمات المعاني المجردة، لتلاقي الأصول الحسية، لكنه لم يذكر كلمة «الترادف»، ولكن يبدو أنه يقرّ به، وإن خطرت ببالنا هذه الفروق الدقيقة في المرحلة الحسية بين الضّرب والنّحت والطّبع.

أما الفريق الذي أنكر الترادف في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، فقد أوجبوا البحث عن فروق دقيقة بين الألفاظ المتقاربة، منهم: أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل، وأبو الحسين: أحمد بن فارس بن زكريا، وأبو العباس ثعلب: أحمد بن يحي بن يسار، وابن الأعرابي: محمد بن زياد، وابن دُرُسْتُوَيه: عبد الله بن جعفر"[1].

وحذا حذوهم كثير من المفسرين ودارسوا القرآن الكريم فقالوا بعدم وجود الترادف في القرآن الكريم نذكر منهم: محمد بن جرير الطبري، والراغب الأصفهاني، وابن عطية الأندلسي،والزمخشري، وابن كثير، والخطابي، والقرطبي، والزركشي"[2].

وذلك انطلاقا من أن ألفاظ القرآن الكريم لا يجوز التغيير فيها، ولا يجوز استبدال ألفاظ أخرى بها، ومع ذلك فقد جاء في بعض القراءات القرآنية تغيير لبعض ألفاظ القرآن الكريم، وعلى العموم فإن ألفاظ القرآن الكريم معبرة على المعاني الدقيقة التي وضعت من أجلها حسب أنواع السياق التي ترد فيه، ولقد حاول دارسوا القرآن الكريم قدر استطاعتهم أن يبينوا هذه المعاني من خلال السياق، وأنها غير قابلة لأن يستبدل بها غيرها، وربما جاءت بعض الألفاظ في موقف معين من القرآن الكريم للتعبير عن معنى معين، وجاءت في موضع آخر ألفاظ مقاربة من حيث المعنى للألفاظ السابقة لأنها تعبر عن معنى قريب من المعنى السابق.

[1]- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،ص204.

[2]- نفس المرجع ، ص 204.

فاختلاف الألفاظ في الموضعين عبر عن معنى المشترك بين الموضعين فيظن من لا قدرة له على التمييز بين الألفاظ والمعاني المعبرة عنها تلك الألفاظ أن هذا من باب الترادف، والحقيقة أن لا.

أما علماء اللغة المعاصرون، فيجمع أكثرهم على إنكار التطابق التام بين المترادفات، وهنالك قلّة منهم يؤيدون الترادف، ومن هؤلاء **علي عبد الواحد وافي**، فقد بين أن من أهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها الساميات ثروة في أصول الكلمات، فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها أخواتها السامية .. وتزيد عليها بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، ولا يوجد لها نظير في أية أخت من أخواتها، هذا إلى أنه قد تجمّع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال ما لم يجتمع للغة سامية أخرى".[1]

لقد نظر **علي عبد الواحد وافي** إلى اللغة العربية من حيث نشأتها وتطورها والعوامل التي طرأت عليها، والظروف التي عملت على تطورها، وهذا أمر شائع تعرضت له سائر اللغات عند ما تقطع وقتا من الزمن، ومن هنا يرى الكثير من الباحثين أن للألفاظ حياة وعمر ثم ممات واندثار، بحيث تموت اللفظة وتخلفها لفظة أخرى، وأحيانا تموت اللغة بأسرها ليتفرع منها فرع يحل محل اللغة الأم، وهذا ما حدث لكثير من اللغات على مر الأزمنة والدهور، وبقاء اللغة العربية كاملة متكاملة منذ أكثر من أربعة عشر قرن، هو الذي جعلها تتوسع هذا التوسع، وهذا ما اعتمد عليه علي عبد الواحد وافي في تمديده للغة العربية، وتعاملنا مع القرآن الكريم يعني أننا تعاملنا مع وضع معين من أوضاع اللغة العربية نزل بها الوحي على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

هكذا يرى جل علماء اللغة المحدثون أن اللغة العربية من أهم اللغات إتصالا باللغة

[1]- ينظر: علي عبد الواحد الوافي: فقه اللغة، ط/ 4، لجنة البيان العربي، القاهرة، ص 162.

السامية،كما يرون أنها احتفظت بأهم خصائص اللغة السامية سواء من حيث الأصوات أو الألفاظ والدلالات، ويؤكد هذه الفكرة **صبحي الصالح** في كتابيه: "مباحث في علوم القرآن ودراسات في فقه اللغة"، يؤكد فكرة الترادف في سياق الآيات القرآنية، وهو يعزو سبب الاختلاف إلى لهجات العرب التي ظهرت في القرآن الكريم، مما يستنتج معه أن هذه اللهجات قد تعايشت مع بعضها في فترة زمنية واحدة قبل نزول القرآن الكريم، وهذا ما أكسبها مرونة في النطق والدلالة تمهيدا لنزول القرآن الكريم فهو يقول في كتابه: "إن خفاء الواضعين حين لم يمنع اشتهار الوضعين قد زاد من ثروة اللغة المثالية حتما ... وعلى هذا الأساس نقرّ بوجود الترادف في القرآن الكريم، لأنه نزل بلغة قريش المثالية، يجري على أساليبها وطرق تعبيرها، وقد أتاح لهذه اللغة طول احتكاكها باللهجات العربية الأخرى باقتباس مفردات تمتلك أحيانا نظائرها"[1].

لئن جارينا **صبحي الصالح** في هذه الفكرة المؤيدة لوجود الترادف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فإن الوضع اللغوي الذي ظهر في القرآن الكريم تميز بالإعجاز، وعدم مجارات أسلوب البشر له، وذلك للدقة الملحوظة في ألفاظه من حيث الصوت والدلالة والسياق الذي يرد فيه، ولئن كان الترادف يبيح لنا استبدال لفظ بلفظ في كلامنا العادي فإنه يبعدنا ولئن استعملناه عن المعنى الذي يريده القرآن الكريم.

إن ظاهرة الترادف إيجابية في اللغة بحيث تدل على سعة الفكر العربي وقدرة ابتكاره، وتأقلمه مع الظروف الطبيعية التي عاشها، ولهذا نستنتج أن من أسباب الترادف أخذ الرواة للكلمات من قبائل مختلفة، وهنا تبرز أهمية اللهجات أو اللغات المتعايشة مما أدّى إلى تعدد الكلمات الدالّة على مدلول واحد، مع العلم أن هناك الكثير من الألفاظ

[1]- صبحي الصالح(ت: 1407هـ) ، دراسات في فقه اللغة، النشر دار العلم للملايين، لبنان بيروت،ط3، 2009م، ص 347.

أدخلت في باب الترادف وهي ليست منه كما في قولنا: الأرض والبطحاء والأديم والغائط وهي ليست ألفاظ مترادفة، وقد فصل في هذه القضية "ابن هلال العسكري في كتابه"[1].

من أمثلة ذلك في القرآن الكريم :**قال الشعراوي**: الفرق بين القعود والجلوس؛ فالقعود لا يكون معه لبثة أي: مُكث، وقت، أما الجلوس لا يعتبر فيه ذلك، ولذلك نقول: قواعد البيت ولا نقول: جوالس البيت؛ لأن المقصود ما فيه ثبات، ولهذا قالوا: قعد يقعد بالضم، وجلس يجلس بالكسر، فاختاروا الثقيل؛ لما هو أثبت، ومن ثم نجد الاستخدام القرآني يبين هذا الفرق، فيقول المولى –سبحانه وتعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(المجادلة:11) فجاءت المجلس ولم تأتِ المقعد؛ لأن الجلوس يكون زمانًا يسيرًا، أما مع القعود يكون الوقت والمكث الطويل، فلذلك لا يقال في الكلام: قعيد الملوك، وإنما يقال: جليس الملوك؛ لأن مجالسة الملوك تكون خفيفة، أو لا يكون فيها طول ولُبث، بعكس قولنا: القعيدة، بالنسبة للمرأة؛ لأنها تلبث في مكانها"[2].

قد يوجد الترادف في بعض كلمات اللغة العربية، لكنها كلمات قليلة جدا وليست كثيرة ، أما ألفاظ القرآن الكريم فليس بينهما ترادف، هذا ما قاله المحققون من علماء البلاغة، والبيان، والتفسير قديما وحديثا.

المطلب الثاني: الاشتراك اللفظي

الأصل في اللغة من حيث الوضع أن يكون لكل معنى لفظ خاص يعبر به عنه ويدل عليه، إلا أن المعاني تتسع وتتفرع بحيث لا يمكن للألفاظ أن تضبطها، فلذلك يجد

[1]. ينظر: ابن هلال العسكري، الفروق في اللغة، ص173.

[2]– تفسير الشعراوي ج9 ص 324.

المتكلم نفسه مرغما على التعبير باللفظ الواحد على عدة معاني، وهذا ما يسميه بعض اللغويين بالتوسع اللغوي، وللإشارة فإنه لا بد من التفريق بين المشترك اللفظي والمجاز لأن المجاز يطلق على اللفظ إذا تجاوز وضعه فدل على معنى غير المعنى الذي وضع له مع علاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي، وغالبا ما يحافظ فيها اللفظ المجازي على أصواته كاملة، كما هو الشأن في معناه الحقيقي، أما المشترك اللفظي فنلحظ فيه اختلاف بينا من حيث الأصوات بين كلمتين فصاعدا، ومع ذلك فإن اللفظة فيه تدل على معنيين فأكثر، فالمشترك اللفظي هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفتي [1].

عرف الآملي الإشتراك اللفظي بأنه: "وضع اللفظ مادة وهيئة بإزاء معنيين متغيرين أو أكثر" [2]، وقد عبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله: الألفاظ المشتركة هي الأسماء التي تطلق على مسميات مختلفة لا تشترك في الحد والحقيقة البتة،كاسم العين للعضو الباصرة، وللموضع الذي يتفجر منه الماء، وبعبارة أخرى فإن المشترك اللفظي هو تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد في لغة واحدة.

وقد تناول السيوطي هذا الموضوع تحت عنوان الأشباه والنظائر وذكر له أمثلة كثيرة: ومن ذلك: " الصلاة " تأتي على أوجه:

الصلوات الخمس: ﴿**ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ**﴾(البقرة2).

وصلاة العصر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ إِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوَ ءَاخَرَانِ مِنْ**

[1] – سميح أبو مغلي، فقه اللغة وقضايا العربية .:ص177.

[2] – أحمد مختار عمر علم الدلالة مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ،الكويت،ط1 1982،ص 158 .

غَيْرِكُمْ إِنَ آنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلاَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَـٰنِ بِاللَّهِ إِنِ إِرْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبىٰ وَلاَ نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ ٱلاَثِمِينَ ﴾ (المائدة108)

وصلاة **الجمعة** في قوله سبحانه وتعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَّوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَاسْعَوِاْ اِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الجمعة9) .

وصلاة **الجنازة** في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾(التوبة85).

والدعاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذْ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتِكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(التوبة104).

والدين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَامُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَايَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوَ اَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾(هود87).

والقراءة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ادْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلاَسْمَآءُ ٱلْحُسْنىٰ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴾(الإسراء110).

والرحمة والاستغفار في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾(الأحزاب56)، **ومواضع الصلاة** قوله سبحانه وتعالى:﴿**إِلذِين أُخْرِجُواْ مِن دِيٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلآَّ أَنْ يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلاَ دِفَاعُ ٱللَّهِ إِلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيراًۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَّنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾(الحج38)"[1].

وفي قوله سبحانه وتعالى أيضا:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اَوْ جَآءَ احَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً**﴾(النساء43).كذلك لفظ "الرحمة، والفتنة"[2]، من القرآن الكريم، وهو باب غزير في اللغة العربية يدل على دلالة قطعية على عبقرية هذه اللغة في طرق أداء المعاني.

قد أيد العلماء وجود هذا المشترك اللفظي في اللغة العربية بأنه ممكن الوقوع، من هؤلاء **سيبويه** فهو أول من ذكر المشترك في تقسيمات الكلام، إذ قال في كتابه: " اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ..... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس وذهب، واختلاف اللفظين

[1]. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص148.

[2] – المرجع السابق، ج2 ص148.

والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة"[1].

وأما المؤيدون لسيبويه فهم أغلب أهل اللغة الذين قالوا بكثرة وروده وضربوا له أمثلة كثيرة ومنهم الخليل بن أحمد الفراهدي وأبو زيد الأنصاري وابن فارس والمبرد والسيوطي وغيرهم وعللوا وقوعه إلى تعدد اللهجات، **قال السيوطي**:"أن يستعمل أحد أفراد القبيلة اللفظ لمعنى معنيين، ثم يستعمله آخر من قبيلة أخرى لمعنى آخر، فيشتهر ذلك اللفظ بين القبيلتين مع دلالته على معنيين مختلفين[2]".

الغالب أنهم أقروا بوجود الاشتراك اللفظي في اللغة العربية، فهو وجه من اوجه التوسع في الاستعمال اللغوي لأن العرب كانت تتفنن في لغتها وتختار من الأساليب ما فيه فصاحة واستغراب وجلب انتباه السامع، واستعمال أكثر من لفظ للدلالة على معنى واحد يدخل في هذا المجال، شأنه في ذلك شأن الحذف، والتقديم والتأخير.

قد أنكر بعض اللغويين القدماء وجود الاشتراك اللفظي بين الكلمات كابن درستويه، و أبي على الفارسي **فابن درستويه** ينكر وقوع المشترك اللفظي حيث قال:"وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلة، فيتوهم من لا يعرف العلل أن اللفظ وضع لمعنيين، والسماع في ذلك صحيح

[1] – جعفر السيد باقر الحسيني : المشترك اللفظي أهميته في مجال التعبير اللغوي والأدبي والبلاغي وأثره في الدراسات القرآنية ص12.

[2] – جلال الدين السيوطي المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرح وتعليق،محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم،وعلي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية ،بيروت،1992ج1ص 385.

من العرب، وإنما يجيء من لغتين، أو لحذف واختصار في الكلام حتى اشتبه اللفظان ، وخفي ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ"[1].

يظهر من كلام **ابن درستويه** أنه يريد إنكار المشترك اللفظي ولكنه لا يقطع بذلك بل يترك الباب مفتوحا، وأما قوله:" فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبانة، فيبدوا أنه لم ينتبه إلى ظاهرة السياق في اللغة العربية، وما له من أثر في توجيه المعنى وتحديده، مثل لفظة قضى في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً** ﴾(الإسراء23). وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فلما قضى زيد منها وطرا**﴾، فلفظة قضى أخذت معنى معين في كل آية يختلف عن المعنى الآخر، ولو أخذت اللفظ وقضى منفردا على السياق لما جاز أن يكون له أكثر من معنى، وأما عند اللغويين المحدثين فهو ما اتحدت صورة لفظه، واختلف معناه،أو هو "أن تتعدد المعاني للفظ الواحد"[2].

وقد أشار الشعراوي لهذا البحث،حيث قال:" وفي اللغة شيء يسمى المشترك اللفظي فيكون واحدا ومعانيه تختلف حسب السياق،فمثلا كلمة(قضى) لها معاني متعددة ولها معنى يجمع كل معانيها، مرة يأتي بها الحق بمعنى فرغ أو انتهى[3]".

من خلال هذه التعاريف نلاحظ أن الاشتراك اللفظي هو ظاهرة من الظواهر اللغوية المتجددة التي تندرج ضمن الدراسات اللغوية التي تتناول العلاقات الدلالية بين الألفاظ وأثرها في توجيه المعاني، لأن الدراسات اللغوية الحديثة إنما ترتكز بحوثها على الإستعمالات اللغوية للألفاظ الجارية على ألسنة

[1] – ابن درستويه :تصحيح الفصيح، ، تحقيق محمد بدوي المختون ومراجعة رمضان عبد التواب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1998،ج2 ص 538.

[2] – محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة، ،مكتبة الشهباء،حلب سوريا،ط2 1969ص 388.

[3] – محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي ، ج1 ص 551.

الناطقين بها محاولة أن تعلل ذلك تعليلا لغويا، ولا يهما الألفاظ من حيث الوضع ولا النزعة المعيارية التي تتشبه بها الدراسات اللغوية القديمة، ومن هنا فإن المشترك اللفظي في اللسانيات الحديثة يعتبر عاملا من عوامل التوسع اللغوي، فنجد في لفظة "العين"ثلاثة عشر وجها أوردها الراغب الأصفهاني"[1].

ومن معاني "العين" في القرآن الكريم عين الماء الجارية، في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَإِذِ إِسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا إِضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ إِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي ٱلاَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾(البقرة60)، تستخدم معان متعددة، فإذا قلنا "سقى القوم دوابهم من العين"،فالعين هنا عين الماء،وإذا قلنا:"أرسل الأمير عيونه في المدينة" يعني أرسل جنوده، وإذا قلت"اشتريته بعين"،أي بذهب، وإذا قلنا "نظر إلي بعينه شذرا"،أي ببصره، إذن كلمة عين تستخدم في أشياء متعددة، ومعناها في الآية الكريمة"عين الماء الجارية[2]".

ومن الكلمات التي تدور حول معنى واحد لفظة "الفتح"في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ (إبراهيم 15)،فمرة يكون المقصود بالكلمة أمرا حسيا وأحيانا يكون معنويا، ومرة يكون بمعنى الفصل والحكم.

والمثل على الأمر الحسي قول الله سبحانه وتعالى :﴿**وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتِ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَاذِهِۦ بِضَاعَتُنَا رُدَّتِ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَالِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ** ﴾ (يوسف 65).

[1] – ينظر الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار القلم، دمشق سوريا ،ج1ص 387.

[2] . المرجع السابق ج1ص 361.

ومرة يكون الفتح معنويا،وبمعنى سابقة الخير والعلم،كقوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُواْ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** ﴾(البقرة 76) .

أما المثل على الفتح بمعنى الفصل في الأمر،وهو قول الله سبحانه وتعالى:﴿**رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ**﴾ (الأعراف89)، وهكذا نجد للفتح معان متعددة،كما أن اللفظ المشترك يكون له أصل واحد ثم يتفرع من هذا الأصل إلى معان أخرى، نتيجة لتطور المعنى وحاجة الناس إلى مزيد من التغيرات على سبيل المجاز أو الاستعارة، ولعل مصدر هذه الكثرة هو التوسع المجازي في المعنى،وتنويع المعاني انطلاقا من دلالة واحدة.[1]"

أما صبحي الصالح فيستدل على وقوع المشترك اللفظي في اللغة العربية بسبب تطور المعاني وتباين المواقف ،يقول :" الكلمات لا تستعمل في واقع اللغة تبعا لقيمتها التاريخية، فالعقل ينسى خطوات التطور المعنوي التي مرت بها إذا سلمنا بأنه عرفها في يوم من الأيام، وللكلمات دائما معنى حضوري محدود باللحظة التي تستعمل فيها ، ومفرد خاص بالاستعمال الوقتي الذي يستعمل فيه"[2].

الدراسات اللغوية العربية ينبغي أن تسير في اتجاهين متلازمين متكاملين، فهي من جهة تراعي وضع اللفظ في اللغة وحالات تطوره، ومن جهة ثانية تراعي طرق استعمالاته المختلفة عبر الأساليب والصور، لأن اللغة العربية مرتبطة أصلا بالنص القرآني الكريم، وبفترة الفصاحة اللغوية فلا بد من استحضار هذين العاملين لمعرفة خصائص ألفاظها ومجاري معانيها وأوجه تراكيبها و تعابيرها، للوصول إلى معانيها الدقيقة.

[1] ـ حسن ظاظا :كلام العرب، ،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية ،بيروت،ط2، 1990ص90.89.

[2] – صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ص354 355.

المطلب الثالث: التضاد

من أهم الظواهر اللغوية التي لابد من الإشارة إليها التضاد وهو موجود في اللغة العربية، وله آثار في الكثير من اللغات مما يدل على أنه كان موجودا فيها ثم زال وبقي في اللغة العربية، فعرف بعض العلماء التضاد أنه:" يطلق اللفظ الواحد على المعنى وضده[1]".

وعرفه السيوطي بقوله: "هو فرع من المشترك اللفظي"[2]،إلا أن اللفظ من الأضداد له معنيان أحدهما نقيض الآخر، أي أن الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لا اختلاف تغاير، كما هي الحال في المشترك اللفظي"[3]، **وقد قال ابن فارس:** "فمن سنن العرب في كلامها أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو "الجُون " للأسود و"الجون " للأبيض"[4].

لم يقف الدارسون من الأضداد موقفا واحدا فمنذ أن وجد الحديث عنها وظهرت أوائل المصنفات التي تحاول جمع مادتها وُجد إلى جانب ذلك اختلافٌ في تفسيرها فانقسم العلماء الى مؤيد يدافع عن وجود الأضداد ويفسرها، والى منكر لها وينفي هذه الظاهرة عادّا التضاد نوع من أنواع عدم التقيد بالدلالة التي يشير إليها اللفظ، أو أنه ناتج من الجمع بين لهجتين في التعبير عن معنى واحد كأن يفيد لفظ ما معنى ما في لهجة، ويفيد نفس اللفظ معنى مضاد له في لهجة أخرى، فلما جمعت اللغة أصبح اللفظ دالا على معنيين متضادين، وهذا ما فتح باب تأويل ألفاظ الأضداد في كلام العرب أمام الباحثين، ومهما يكن فإن الأضداد في اللغة العربية ظاهرة لسانية أثبتت حضورها.

فالأضداد ظاهرة لسانية أثبتت حضورها في الحقول الدلالية للغة العربية باعتبار أن اللغة العربية استقرت في وضع لغوي معين في تلك الفترة الزمانية التي تم فيها جمع

---

[1]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة ،مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1982،1،ص191.

[2]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ج1،ص 387.

[3]- ينظر كاصد الزبيدي ، فقه اللغة العربية ، منشورات جامعة الموصل ،1987، ص125.

[4]- ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص60.

ألفاظها من ألسنة الفصحاء الناطقين بها، ومن أشهر العلماء القدامى الذين دافعوا عن وجود الأضداد **ابنُ الأنباري** حيث قال:"هذا كتاب ذِكْر الحروف التي تُوقِعُها العربُ على المعاني المتضادّة، فيكونُ الحرفُ منها مؤدِّياً عن معنييْن مختلفيْن[1]".

ويستطرد **ابن الأنباري** في الرد على الذين أنكروا التضاد ورموا اللغة العربية بالقصور على تأدية المعاني، فيرى أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره، ولا يفهم المعنى منه إلا باستفائه واستكمال جميع حروفه، ومن هنا فإنه يرى أن التضاد في اللغة يفهم من سياق العبارة والضروف التي تكتنف الكلام وما لها من أثر في تحديد معناه، ويضرب لذلك مثلا بقول الشاعر:

كلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ المَوْتَ جَلَلْ والفَتَى يَسْعَى ويُلْهِيه الأَمَلْ

فدلّ ما تقدَّم قبل جلل وتأَخَّر بعده على أَنَّ معناه: كلُّ شيءٍ ما خَلا الموت يَسيرٌ؛ ولا يتوهَّم ذو عقل وتمييز أَنَّ الجَلَلَ هاهنا معناه عظيم. وقول الآخر:

يا خَوْلَ يا خَوْلَ لا يَطْمَحْ بِكِ الأَمَلُ فقد يُكَذِّبُ ظَنَّ الآمِلِ الأَجَلُ

يا خَوْلَ كَيْفَ يَذُوقُ الخفضَ معترِفٌ بالموتِ والموتُ فيما بَعْدَهُ جَلَلُ

فدلَّ ما مضى من الكلام على أَنَّ جللا معناه يسيرٌ"[2].

يفهم من الشاهدين اللذين أوردهما ابن الأنباري أن لفظ جلل أفاد في البيت الأول معنى البسيط، ومعنى اليسير، وفي البيت الثاني أفاد معنى العظيم.

قد دافع **ابنُ فارس** بقوة وحجج كثيرة عن وجود الأضداد في العربية وقد تبعه الكثير من العلماء في عصره، وقد أصّل ابنُ فارس الأضداد بأنها من ظواهر كلام العرب

[1]. أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (ت: 328هـ): الأضداد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان: 1407 هـ - 1987 م،ج1 ص2.

[2]- ينظر المصدر السابق ص3.

الأوائل وهذا ما يتضح جليا من قوله:"إن الذين رووا أنَّ العرب تسمي السيف مهندا والفرس طرفا هم الذين رووا أنَّ العرب تسمي المتضادين باسم واحد"[1] .

ظهرت في اللغة العربية أفانين القول وطرق الأداء، وتصوير المعاني في أساليب شتى منها قضية الأضداد لأننا نرى اللفظ قد باغتنا أثناء الاستماع إليه فيذهب الذهن إلى أحد المعنيين ثم تأتي بقية الألفاظ المصاحبة له أو الممهلة له لتنبئنا بالمعنى المقصود منه الذي قد يكون مضادا للمعنى الأول الذي تبادر إلى ذهننا، ومن هنا تتذوق فيه معنى الفصاحة وروعة البيان، وتلك مرحلة من مراحل استكمال التواصل وتعدد أنواعه في اللغة العربية.

ومن العلماء المتأخرين **جلال الدين السيوطي** الذي علل سبب إنكار الأضداد في أنهم كانوا ينظرون إلى الأضداد على أنه من المشترك اللفظي فقال:" مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيض والطهر فإنهما مدلولا القرء لا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد أو يتواصلا فإما أن يكون أحدهما جزءا من الآخر كالممكن العام والخاص أو صفة كالأسود لذي السواد فيمن سمي به"[2].

الشعراوي يرى وجود التضاد في اللغة العربية وأثبت أيضا وجوده في القرآن الكريم، إذ هو ينشط الذهن، فنجد في لفظ " وراء" في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**آمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنَ آعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَاخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً**﴾ (الكهف 79)،وراءهم هنا بمعنى أمامهم"[3].

أما المنكرون للأضداد فيقف في مقدّمتهم **ابنُ درستويه**، وذلك في كتابه "إبطال الأضداد" الذي لم يصل إلينا سوى بعض النصوص التي نقلها عنه **السيوطي** في كتابه "المزهر" ومن تلك

[1]- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني:ص 310.

[2]- السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1 ص 304.

[3]- تفسير الشعراوي ،ج11 ص 6869.

النصوص قوله:" إنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جاز وضعُ لفظ واحدٍ للدلالة على مَعْنَيْين مختلفين أو أحدُهما ضدٌّ للآخر لما كان ذلك إبانة بل تَعْمِيَةً وتغْطية"[1].

ومن الذين ينكرون الأضداد أيضا **أبو العباس أحمد بن يحيى** حيث قال :" ليس في كلام العرب ضدّ قال لأنه لو كان فيه ضدّ لكان الكلام محالاً لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد مثل قولهم التلعة وهي ماعلا من الأرض وهي ما انخفض لأنها مسيل الماء إلى الوادي فالمسيل كله تلعة فمرة يصير إلى أعلاه فيكون تلعة ومرة يتحدر إلى أسفله فيكون تلعة فقد رجع الكلام إلى أصل واحد وإن اختلف اللفظ". [2]

أما المحدثون فلهم جهدٌ كبير في هذا الموضوع ومن بينهم **إبراهيم أنيس** حيث استبعد طائفة من الكلمات التي عُدت من الأضداد في العربية حيث طغى عليها طابع التكلف في اختيارها وفي رأيه لم يبقَ منها بالمعنى الدقيق إلا نحو عشرين كلمة من عامة اللغة، حيث قال:"المقدار الضئيل من كلمات اللغة لا يستحق عناية أكثر من هذا لا سيما وأن مصير كلمات التضاد إلى الإنقراض من اللغة وذلك بأن تشتهر بمعنى واحد من المعنيين مع مرور الزمن[3]" .

كان السامرائي أقل حذقا من سابقه حيث استبعد ما يقرب من مئه وخمسين مادة احتوت عليها كتب الأضداد وهذه المادة لا يكون فيها أي نوع من أنواع الضدية إلا بتكلف وتعسف وقال : "فكرة التضاد تكون نتيجة في الاستعمال ونتيجة الجديد في الدلالة[4]".

---

[1]- المصدر السابق ج1 ص303.

[2]- موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى (ت: 540هـ): شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، قدم له: مصطفى صادق الرافعي الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ج1 ، ص 182.

[3]- إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية 2003م، ص45.

[4]- إبراهيم السامرائي:التطور اللغوي التاريخي،الناشر دار الأندلس 1981م، ص107.

والحاصل: فإن الأضداد ظاهرة جلية في العربية لا ينكرها أحد ،وحتى أنه من الناحية العقلية المحض فإن الأضداد جعلت لتفي بقصد المتكلم في طريقة تصويره للمعاني،وقد تتدخل الطبيعة والعادات والتقاليد في وجود الأضداد في اللغة، ولعل ظاهرة الأضداد ارتبطت أكثر فأكثر بفترة زمانية كان التباري فيها في الفصاحة والبلاغة شائعا بين العرب، لأن جميع الشواهد الدالة على وجود التضاد تعود إلى عصر الاحتجاج اللغوي والتباهي بالفصاحة والبلاغة وإن كانت هذه الظاهرة دالة على نضج اللغة في تلك الفترة إلا أنها آخذة في الانقراض.

المبحث الثالث: عوامل التوسع اللغوي

المطلب الأول: الحقيقة والمجاز

المطلب الثاني: التقديم والتأخير

المطلب الثالث: الإثبات والحذف في القرآن الكريم

المبحث الثالث: عوامل التوسع اللغوي

تتميز اللغة العربية بالنظر إلى غيرها بثراء مفرداتها وتنوع تراكيبها بحيث ترى المعنى الواحد يتم التعبير عنه بطرق شتى وبأساليب متنوعة، وقد حاول الدارسون قديما وحديثا أن يصنفوا ظواهر هذا التوسع اللغوي في مواضيع لتسهل عليهم دراستها، فكانت هذه المواضيع مثل الحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير والحذف، والإظهار والتصريح والإضمار إلى غير ذلك.

وهذا ما وقف عليه **عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة** الميداني في كتابه " البلاغة العربية" حيث اكد أن المجاز القائم على التوسّع في اللّغة دون ضابط معين، وعرفه بأنه: "المجاز الذي يكون التوسُّع اللُغويُّ فيه بوجوه مختلفة لا يجمعها ضابط معين، كالزيادة أو الحذف في بعض الكلام، وكإطلاق الماضي على المستقبل والعكس"[1].

وعليه: فإن التوسع اللغوي له ميادين تطبيقية وسع من خلالها علماء اللغة مفردات اللغة، ومصطلحات الدخيلة بتعريبها وإخضاعها للقانون اللغوي العربي مستخدمين في ذلك الحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، والإثبات والحذف وغيرها من الآليات اللغوية.

المطلب الأول: الحقيقة والمجاز

يعرف **عبد القاهر الجرجاني** الحقيقة بقوله: "واعلم أن حد كل واحد من وصفى المجاز والحقيقة إذا كان الموصوف به المفرد، غير حده إذا كان الموصوف به الجملة، وأنا أبدأ بحدهما في المفرد، كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضع، وإن شئت قلت: في مواضعة، وقوعا لا تستند فيه إلى غيره فهي «حقيقة». وهذه عبارة تنتظم الوضع الأول وما

[1] . ينظر:عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ) : البلاغة العربية ، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط:1، 1416 هـ - 1996 م، ج2ص224.

تـأخر عنـه، كلغـة تحـدث في قبيلـة مـن العـرب، أو في جميـع العـرب، أو في جميـع النـاس مـثلا، أو تحـدث اليـوم ويـدخل فيهـا الأعـلام منقولـة كانـت كزيـد وعمـرو، أو مرتجلـة كغطفـان وكـل كلمـة استؤنف لهـا علـى الجملـة مواضـعة، أو ادعـي الاسـتئناف فيهـا، وإنمـا اشـترطت هـذا كلـه، لأن وصـف اللفظـة بأنهـا حقيقـة أو مجـاز، حكـم فيهـا مـن حيـث إن لهـا دلالـة علـى الجملـة، لا مـن حيـث هـي عربيـة أو فارسـية، أو سـابقة في الوضـع، أو محدثـة، مولـدة. فمـن حـق الحـد أن يكون بحيث يجري في جميع الألفاظ الدالة"[1].

وابـن فـارس عـرف الحقيقـة والمجـاز بقولـه: إن "الحقيقـة" مـن قولنـا: "حَـقَّ الشـيء" إذا وجـب. واشـتقاقه مـن الشـيء المحقَّـق وهـو المحْكَـم، تقـول: ثـوب محقَّـق النَّسْـج أي مُحْكَمُـه، وهـذا جـنس مـن الكـلام يُصـدِّق بعضُـه بعضـاً مـن قولنـا: "حَـقٌّ وحقيقـة. ونـصُّ الحِقـاق". فالحقيقـة: الكـلام الموضـوع موضِـعَه الـذي لـيس باسـتعارة ولا تمثيـل، ولا تقـديم فيـه ولا تأخير"[2].

وأمّا "المجاز" فمأخوذ من "جازَ، يَجُوزُ" إذا استنَّ ماضياً تقول: "جاز بنا فلان. وجازَ علينا فارِس" هذا هو الأصل. ثم تقول: "يجوز أن تفعلَ كذا" أي: يَنْفُذ ولا يُرَدُّ ولا يُمْنَع. وتقول: "عندنا دراهم وَضَح وازِنَة وأخرى تَجُوزُ جَوَازَ الوازِنَة" أي: إن هذه وإن لم تكن وازِنة فهي تجوز "مجازَها" وجوازها لِقُربِها منها. فهذا تأويل قولنا: "مجاز" أي: إن الكلام الحقيقيّ يَمْضي لِسَنَنَهِ لا يُعْتَرض عليه، وقد يكون غيره يجوز جوازه لقُربه منه، إلاّ أنّ فيه من تشبيهٍ واستعارَة وكفٍّ ما ليس في الأول، وذلك كقولك: "عطاءُ فلان مُزْنٌ واكفٌ" فهذا تشبيه وقد جاز مجاز قوله: "عطاؤه كثير وافٍ" ومن هذا في

[1] – عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ج1.ص247.

[2] . أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ):الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، ط 1، 1418هـ-1997م،ص149

كتاب الله سبحانه وتعالى: ﴿ **سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ** ﴾(القلم16) فهذا استعارة. وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَأَٰتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَالأَعْلَٰمِ**﴾(الرحمن21) فهذا تشبيه"[1].

إذا تتبعنا نشأة الكلام عن "الحقيقة والمجاز" فإننا نجد أن **الجاحظ** من أوائل من عرضوا لهذا الموضوع بالبحث، في معرض حديثه عن قضايا البيان العربي، كما أنه لا يهتم كثيرا بجعل قضية الحقيقة والمجاز في قوالب التعريفات والتحديدات على عادة رجال البلاغة الذين جاءوا بعده، وإنما نراه يسوق النماذج عليها من بليغ القول نثرا وشعرا، مع شرح بعضها أحيانا أو التعليق عليه، تاركا التعريفات والحدود والتفاصيل لمن سيأتي بعده، والحقيقة أن الجاحظ رجل موسوعي كما يظهر ذلك من خلال مؤلفيه: البيان والتبيين، والحيوان، فاعتناؤه بالمحتوى المعرفي لأي علم يطرقه الكثير من اعتنائه بالتعاريف والتقسيمات التي يخضع لها ذلك العلم على أيدي علماء متخصصين، كل في صنف من اصناف المعرفة.

ففي كلامه عن الحقيقة والمجاز يقول: "وإذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف، وإذا قالوا: أكله الأسود، فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط. وقد قال الله عز وجل:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَّاكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيِّتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**﴾ (الحجرات12)، وقال قائل لإسماعيل بن حماد: أيّ اللّحمان أطيب؟ قال: لحوم الناس، هي والله أطيب من الدجاج، ومن الفراخ، والعنوز الحمر ، ويقولون في باب آخر: فلان يأكل الناس. وإن لم يأكل من طعامهم شيئا"[2].

[1] – المرجع السابق ،ص149.

[2] – ينظر عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ، الحيوان،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، 1424 هـ، ج5 ص 14.

فالأكل في قوله: «أكله الأسد» حقيقي، أما في الأمثلة الأخرى فالأكل على اختلاف أنواعه مجازي كما ذكر.

قال **عبد العزيز عتيق:**" فمن هذه الأمثلة يتضح أن المجاز **عند الجاحظ** مقابل للحقيقة، وأن الحقيقة في مفهومه تعني :"استعمال اللفظ فيما وضع له أصلا، كما أن المجاز عنده هو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي"[1].

ومن معاصري الجاحظ الذين عرضوا لذات الموضوع **ابن قتيبة** فقال: "وأما الطاعنون على القرآن الكريم "بالمجاز" فإنهم زعموا أنه كذب، لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تسأل"[2].

علق **عبد العزيز عتيق** قائلا: "وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدلّها على سوء نظرهم، وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذبا، وكلّ فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا– كان أكثر كلامنا فاسدا، لأنا نقول: نبت البقل، وطالت الشّجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السّعر. وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا والفعل لم يكن وإنما كوّن، وتقول: كان الله. وكان بمعنى حدث، والله، جل وعز: قبل كل شيء بلا غاية، لم يحدث: فيكون بعد أن لم يكن"[3].

إن الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ **طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ** ﴾(محمد: 21)، قال الزمخشري: "عزم أي جد، والعزم والجد لأصحاب الأمر، وإنما يسندان إلى الأمر إسنادا مجازيا"[4].

---

[1] - عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ): علم البيان ، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، عام النشر: 1405 هـ - 1982 م، ص136.

[2] . أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، محق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ص75.

[3] . المرجع السابق، ص 137.

[4] . الزمخشري : الكشاف، ج4ص325.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة: 16)، **قال الحلبي**: "وأسند الربح إليها مجازً ومبالغةً"[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(يوسف18) وإنما كذّب به، ولو قلنا للمنكر لقوله سبحانه وتعالى﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف77) كيف كنت أنت قائلا في جدار رأيته على شفا انهيار: رأيت جدارا ماذا؟ لم يجد بدّا من أن يقول: جدارا يهمّ أن ينقضّ، أو يكاد أن ينقضّ، أو يقارب أن ينقضّ. وأيّا ما قال فقد جعله فاعلا، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من لغات العجم، إلا بمثل هذه الألفاظ"[2].

وعند **ابن رشيق القيرواني** قال: المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلا أنهم خصوا به أعني اسم المجاز بابا بعينه؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه سبب، كما قال **جرير ابن عطية**:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

---

[1] - أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي: عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، ط:1، 1417 هـ - 1996 م، ج1ص 257.

[2] - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 85.

أراد المطر لقربه من السماء، ويجوز أن تريد بالسماء السحاب؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء، وقال " سقط " يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال " رعيناه " والمطر لا يرعى، ولكن أراد النبت الذي يكون عنه؛ فهذا كله مجاز"[1].

وأما المجاز، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز وإن شئت قلت: «كل كلمة جزت بها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له فيوضع واضعها، فهي «مجاز».

ومعنى الملاحظة: هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده بها الآن، إلا أن هذا الاستناد يقوى ويضعف. بيانه ما مضى من أنك إذا قلت: «رأيت أسدا»، تريد رجلا شبيها بالأسد، لم يشتبه عليك الأمر في حاجة الثاني إلى الأول.

قال ابن قتيبة: "إذ لا يتصور أن يقع الأسد للرجل على هذا المعنى الذي أردته على التشبيه على حد المبالغة، وإيهام أن معنى من الأسد حصل فيه إلا بعد أن تجعل كونه اسما للسبع إزاء عينيك. فهذا إسناد تعلمه ضرورة، ولو حاولت دفعه عن وهمك حاولت محالا"[2].

وممن توسع في موضوع «الحقيقة والمجاز» **ضياء الدين بن الأثير** فقد عرفهما أولا بقوله: "أن في اللغة حقيقة ومجازًا، و"الحقيقة اللغوية"، هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني، وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء، أي: نفسه وعينه، فالحقيقة اللفظية إذًا هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره، وتقرير ذلك بأن أقول: المخلوقات كلها تفتقر إلى أسماء يستدلّ بها

[1] – ينظر: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه،محق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط: 5، 1401 هـ - 1981 م، ج1ص 266.

[2] – المرجع السابق ص 247.

عليها، ليعرف كل منها باسمه، من أجل التفاهم بين الناس، وهذا يقع ضرورة لا بُدَّ منها، فالاسم الموضوع بإزاء المسمَّى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازًا، ومثال ذلك: أنَّا إذا قلنا: "شمس" أردنا به الكوكب العظيم الكثير الضوء، وهذا الاسم له حقيقة؛ لأنه وضع بإزائه، وذلك إذا قلنا: "بحر" أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، وهذا الاسم له حقيقة؛ لأنه وضع بإزائه، فإذا نقلنا "الشمس" إلى "الوجه المليح" استعارةً، كان ذلك له مجازًا لا حقيقة، وكذلك إذا نقلنا "البحر" إلى "الرجل الجواد" استعارةً، كان ذلك له مجازًا لا حقيقة، فإن قيل: إن "الوجه المليح" يقال له: "شمس"، وهو حقيقة فيه، وكذلك البحر يقال للرجل الجواد، وهو حقيقة فيه. فالجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما نظري، والآخر: وضعي"[1].

أما النظري: فهو أن الألفاظ إنما جعلت أدلة على إفهام المعاني، ولو كان ما ذهبت إليه صحيحًا لكان "البحر" يطلق على هذا الماء العظيم الملح، وعلى الرجل الجواد، بالاشتراك، وكذلك الشمس أيضًا، فإنها كانت تطلق على هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء، وعلى الوجه المليح، بالاشتراك، وحينئذ فإذا ورد أحد هذين اللفظين مطلقًا بغير قرينة تخصصه، فلا يفهم المراد به ما هو من أحد المعنيين المشتركين المندرجين تحته، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك، فإنَّا إذا قلنا: "شمس" أو "بحر"، وأطلقنا القول، لا يفهم من ذلك وجه مليح ولا رجل جواد، وإنما يفهم منه ذلك الكوكب المعلوم وذلك الماء المعلوم لا غير، فبطل إذًا ما ذهبت إليه بما بيناه وأوضحناه، فإن قلت: إن العرف يخالف ما ذهبت إليه، فإن من الألفاظ ما إذا أطلق لم يذهب الفهم منه إلّا إلى المجاز دون الحقيقة، كقولهم: "الغائط" فإن العرب خصص ذلك بقضاء الحاجة دون غيره من المطمئن من الأرض"[2].

---

[1] - نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر:1420 هـ، ص75.

[2] – المصدر نفسه، ص 76.

يستنتج مما سبق أن الحقيقة والمجاز موجودان في لغة العرب ولا يمكن نكرانهما بأي حال من الأحوال وهذا شأن سائر اللغات، انطلاقا من كون ألفاظ اللغة عاجزة عن التعبير عن مختلف المعاني من حيث وضع هذه الألفاظ، لذلك استعين بالإستعمالات المجازية بشتى أنواعها للتعبير على المعاني المتعددة والمتنوعة، ولنا في القرآن الكريم الأمثلة العديدة والمتنوعة، مثل قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا**﴾(يوسف82) وهناك من القرآن الكريم مالا نستطيع أن نضعه في دائرة المجاز انطلاقا من النظر إلى الألفاظ، لأنه يعبر عن حقائق شرعية، أقل ما يقال عنها أننا نجهل كيفيتها، وندرك بطريقة أو بأخرى معانيها.

وبيان الترجيح بين الحقيقة والمجاز قوله تعالى:﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ**﴾(فصلت20)، قال:"فالجلود ههنا يمكن أن تكون هذه الجلود الحقيقية، ويمكن أن يراد بها الفروج مجازا، لكن المانع البلاغي منع من حمل لفظ الجلود في هذا الموضع على حقيقتها، لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه. قال: ويمكن أن يستدل على ذلك من وجه آخر استنباطا بأن يقال إما أن يراد بالجلود هذه الجلود المعروفة والجوارح التي هي ذوات الأعمال، والأول باطل؛ لأن شهادة الجلود وهي غير قابلة شهادة بطلة؛ لأن المراد الإقرار بأن تقول اليد أنا أخذت كذا، وتقول الرجل أنا مشيت إلى كذا، وكذلك بقيت الجوارح، وهو باطل؛ لأنه قد دخل تحته السمع والبصر فلا يكون لتخصيصها بالذكر فائدة، أو بعض الجوارح فيكون ذلك البعض هو الفروج؛ لأن حمله عليها أولى من وجهين:

أحدهما: أن الجوارح قد ذكرت في القرآن شاهدة على صاحبها بالمعصية ما عدا الفرج، فكان حمل الجلد عليه أولى ليستكمل ذكر جميع الأعضاء، و**الثاني**: أنه ليس في الجوارح ما يكره التصريح بذكره إلا الفرج، فكنى عنه بالجلد كراهية لذكره. ثم سأل نفسه: لم لا يجوز أن يراد كل الجوارح"[1].

قال **المؤيد بالله**: "يجب عليهما مراعاة ما يقتضيه اللفظ من الحقيقة والمجاز، واعلم أن المجاز يدخل دخولا أوليا، وله مدخل عظيم، وهو أحق بالاستعمال فى باب الفصاحة والبلاغة"[2].

المطلب الثاني: التقديم والتأخير

من الظواهر اللغوية التي تكاد تنفرد بها اللغة العربية ظاهرة التقديم والتأخير لذلك سمى بعض الدارسين موضوع التقديم والتأخير بعبقرية العربية وقد حاولوا ان يوجد له الأسباب الداعية إليه فكان أهم هذه الأسباب الإعتناء بالمقدم في الذكر والإهتمام به غير اننا نجد تحت هذا العنصر دلالات كثيرة تدعوا إلى تقديم عنصر على عنصر في الكلام.

قال **الرافعي**:"هذا الباب تتبارى فيه الأساليب وتظهر المواهب والقدرات، وهو دلالة على التمكن فى الفصاحة وحسن التصرف فى الكلام ووضعه الوضع الذى يقتضيه المعنى[3]".

وقال **عبد القاهر الجرجاني**: "وهو من أبواب البلاغة: هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة،

---

[1] ـ الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ت: 656هـ): الفلك الدائر على المثل السائرعبد ،محق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ج4ص73.

[2] ـ يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، ط: الأولى، 1423 هـ، ج2ص119.

[3] – أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي: أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني،وكالة المطبوعات – الكويت،ط:1، 1980 م، ص168.

ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[1].

ويقول **الزركشي**: "هو أحد أساليب البلاغة، فانهم أتوا به دلالة على تمكنهم فى الفصاحة وملكتهم فى الكلام وانقياده لهم، وله فى القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق"[2].

وفي الغالب أن التقديم والتأخير لا يكون إلا لأغراض بلاغية تدعوا إليه كما قد يضطر إلى تقديم عنصر على عنصر لتجميل الكلام أو للمحافظة على الوزن في الشعر أو لمراعاة القوافي أما في القرآن الكريم فالتقديم والتأخير إنما يأتي لغاية أسما ودلالة على المعنى أرقى .

قال عبد العزيز عتيق: "من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة. من أجل ذلك كان لا بد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام"[3].

وقال أيضا: " إن تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها، وقبل الشروع في بيان هذه الدواعي وتفصيلها ينبغي التنبيه إلى أن ما يدعو بلاغيا إلى تقديم جزء من الكلام هو هو ذاته ما يدعو بلاغيا إلى تأخير الجزء الآخر، وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون هناك مبرر لاختصاص كل من المسند إليه والمسند بدواع خاصة عند تقديم أحدهما

[1] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، محق: محمود محمد شاكر أبو فهر،الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط: الثالثة 1413هـ – 1992م،ص 106.

[2] – الزركشي: البرهان في علوم القرآن ج 3 ص 233.

[3] . عبد العزيز عتيق (ت: 1396 هـ):علم المعاني، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1430 هـ – 2009 م،ص 136.

أو تأخيره عن الآخر، لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان، مثل: التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة. نحو قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحا وأبو إسحق والقمر

فهنا قدم المسند إليه وهو «ثلاثة» واتصف بصفة غريبة تشوق النفس. إلى الخبر المتأخر، وهي «تشرق الدنيا ببهجتها». فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تتألق وتضيء. فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر"[1].

إن تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عديدة يقتضيها المقام وسياق القول، يجمعها قولهم: إن التقديم إنما يكون للعناية والاهتمام. فما كانت به عنايتك أكبر قدمته في الكلام. والعناية باللفظة لا تكون من حيث أنها لفظة معينه بل قد تكون العناية بحسب مقتضى الحال، ولذا كان عليك أن تقدم كلمة في موضع ثم تؤخرها في موضع آخر، لأن مراعاة مقتضى الحال تقتضي ذاك.

قال عبد الحليم محمود: "من أسباب التقديم والتأخير فى الآيات القرآنية التقدم فى اللسان تبع للتقدم فى الجنان، على ما سنين أن الألفاظ تبع للمعاني والمعاني تتقدم باعتبارات خمسة:

الاول: تقدم العلة والسببية على المعلول والسبب، كتقديم المضيء على الضوء، وليس تقدما بالزمان لأن جرم الشمس ينفك عن الضوء.

الثانى: التقدم بالذات كالواحد مع الاثنين، وليس الواحد علة لوجود الاثنين بخلاف القسم الأول.

[1] - المرجع السابق، ص 136.

الثالث: بالشرف كتقدم الأنبياء (صلّى الله عليه وسلم) على الاتباع، والعالم على الجاهل

الرابع: بالرتبة، كتقدم الإمام على المأموم، والجنس الأعلى على ما تحته إذا جعل مبدأ ..

الخامس: بالزمان، كالأبعد من الآن مع الاقرب إليه، ومنه تقدم الوالد على لولد، فإن الوالد وجد فى زمان لم يكن فيه الولد موجودا"[1] .

ومن أمثلة التقديم والتأخير في القرآن الكريم: كلمة رجل في الآيتين قال الله سبحانه وتعالى:﴿**وَجَآءَ مِنَ آقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعىٰ**﴾(يس20) وقوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ آقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعىٰ** ﴾(القصص18)، الآية الأولى في سورة يس والأخرى في سورة القصص في قصة موسى عليه السلام.

فسر **السامرائي** قوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَجَآءَ مِنَ آقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعىٰ**) يعني هو فعلاً جاء من أقصى المدينة أي من أبعد مكان فيها، وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ آقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعىٰ**) ليس بالضرورة ذلك وإنما تحتمل هذا المعنى وغيره، تحتمل أنه فعلاً جاء من أقصى المدينة وتحتمل لا هو من سكان تلك الأماكن البعيدة لكن ليس مجيئه من ذلك المكان ليس بالضرورة، كما تقول جاءني من القرية رجال تعني أن المجيء من القرية، جاءني رجال من القرية أي قرويون هذا يحتمل معنيين في اللغة، هذا يسمونه التعبير الاحتمالي"[2].

هناك نوعين من التعبير تعبير قطعي وتعبير احتمالي يحتمل أكثر من دلالة والتعبير القطعي يحتمل دلالة واحدة. لما تقول جاءني رجال من القرية تحتمل أمرين الرجال جاءوا من القرية أي مجيئهم

[1] – منيع بن عبد الحليم محمود (ت: 1430هـ)مناهج المفسرين، الناشر: دار الكتاب المصرى – القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت: 1421 هـ – 2000 م،ص137.

[2]. السامرائي: لمسات بيانية ص 504

من القرية وجاءني رجال من القرية احتمالين أن المجيء من القرية وتحتمل أنهم رجال قرويون ولكن ليس بالضرورة أن يكون المجيء من القرية"[1].

وقال الحموي أيضا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَجَآءَ مِنَ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ**﴾ وفى سورة القصص: ﴿**وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ**﴾ تقدم في القصص جوابه، ونزيد ههنا أن الرجل جاء ناصحا لهم في مخالفة دينهم فمجيئه من البعد أنسب لدفع التهمة والتواطى عنه، فقدم ذكر البعد لذلك، وفى القصص: لم يكن نصحه لترك أمر يشق تركه كالدين بل لمجرد نصيحة"[2].

وروى **ابن جرير الطبري** عن قتادة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ**﴾(التوبة: 86)، معناه: "فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال: معنى ذلك: التقديم وهو مؤخر"[3].

وروى **ابن أبي حاتمٍ** عن السدي في قوله سبحانه وتعالى :﴿ **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى**﴾ (طه 128)، معناها قَالَ:" لكان أخذ أو لكنا أخرناهم إلى

[1] – المرجع نفسه، ص 504.

[2] – أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: 733هـ): كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، تحق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء ـ المنصورة،ط: 1، 1410 هـ / 1990 م، ص304.

[3] – محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م، ج11،ص500.

يَوْم بدر وهو اللزوم وتفسيرها وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى لكان لزاما، ولكنه تقديم وتأخير في الكلام"[1].

وروى **ابن أبي حاتمٍ** عن مجاهدٍ كذلك في قوله سبحانه وتعالى:﴿**ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ قَيِّمًا**﴾(الكهف 2)، قال: "هذا من التَّقديم والتَّأخير: "أنزل على عبده الكتاب قيِّمًا، ولم يجعل له عوجًا"[2].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ**﴾(آل عمران: 55)، قال: "هذا من المقدَّم والمؤخَّر؛ أي: ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ**﴾"[3] .

وروى **ابن جرير الطبري** عن عكرمة في قوله سبحانه وتعالى :﴿**يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ**﴾(ص26)، قال: " هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا"[4].

---

[1] – أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت:327هـ): تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، محق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط:3 – 1419 هـ، ج2441.

[2] – المرجع السابق، ج7ص 195.

[3] – نفس المرجع، ج2 ص 253.

[4] – الطبري: تفسير الطبري، ج20، ص 78.

وروى **أيضا ابن جريرٍ الطبري** عن ابن زيدٍ في قوله سبحانه وتعالى :﴿**وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا**﴾ (النساء: 83)، قال: هذه الآية مقدمةٌ ومؤخره إنما هي" أذاعوا به إلا قليلًا منهم، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينجُ قليلٌ ولا كثير"[1] .

وأخرج **ابن جريرٍ الطبري** عن ابن عباسٍ في قوله تعالى :﴿**فَقَالُوَاْ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً**﴾ (النساء 15)، قال: إنهم إذا رأوا الله فقد رأوه، إنما قالوا: "جهرةً أرنا الله"، قال: هو مقدمٌ ومؤخرٌ،قال ابن جريرٍ: يعني أن سؤالهم موسى كان جهرةً"[2].

وخلاصة هذا المطلب أن التقديم والتأخير ظاهرة لغوية درج عليها المتكلمون في خطاباتهم وأولوها عناية فائقة وقد استعملها القرآن الكريم جريا على الأساليب المعتادة في اللغة العربية إلا أنه استعملها لغايات أسمى ودلالات ألطف ومعان أدق.

المطلب الثالث: الإثبات والحذف في القرآن الكريم:

شاع استعمال الحذف عند اللغويين والبلاغيين والمفسرين للدلالة على ما يسقط من عناصر الجملة، ويقوم غيره دليلا عليه وقد عرفه **ابن منظور** بقوله: "حذف الشيء يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، والحجام يحذف الشعر، من ذلك. والحذافة: ما حذف من شيء فطرح، والحذفة القطعة من الثوب، وقد احتذفه وحذف رأسه، والحذف: الرمي عن جانب والضرب عن جانب، تقول: حذف يحذف حذفا. وحذفه حذفا: ضربه عن جانب أو رماه عنه"[3].

[1] – نفس الصدر،ج7 ص 376.

[2] – نفس المصدر ج7 ص 124.

[3] – لسان العرب ج9ص 39.

وفي الصحاح: "حذف الشيء إسقاطه و حذفه بالعصا رماه بها و حذف رأسه بالسيف إذا ضربه فقطع منه قطعة"[1].

لقد اهتمَّ النحاة قديمًا بظاهرة"الحذف"، وأحْصَوا مواضعه، وأعطوا الأوْجه الممكنة فيه، وفسَّروا بعض العِلل الكامنة وراءَه، وتحدَّثوا عنه في مباحث كثيرة خصوصًا في باب "نائب الفاعل" ، وإنْ عبَّروا عن هذا الحذف بمصطلحات كثيرة، مثل: الاستتار والإضمار، والدليل على ذلك ما ذكَره صاحب"**البحر المحيط**"أثناء تعليقه على قول **ابن عطيَّة** أثناء إعرابه لقوله سبحانه وتعالى :﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾(البقرة 165)؛ حيث قال: "فقوله: مضاف إلى الفاعل المضمر، لا يعني أنَّ المصدر أُضْمِر فيه الفاعل، وإنما سمَّاه مضمرًا لِمَا قدَّره من"**كحبهم**"، أو يَعني بالمضمر المحذوف، وهو موجود في اصطلاح النحويين؛ أعني: أن يسمَّى الحذف إضمارًا"[2].

وذلك لأنَّ اللفظتَيْن كليهما نقصد الحذف والإضمار تجتمعان في مادتهما اللغويَّة في معنى الإسقاط، ومن أجْل ذلك فسنتطرَّق لبعض الفروق الموجودة بين هذه المصطلحات الثلاثة: الحذف، والإضمار، والاستتار.

أمَّا الحذف الذي سبَق تعريفه بأنه: "إسقاط وطرْح جزءٍ من الكلام، أو الاستغناء عنه لدليل دلَّ عليه، أو للعِلم به وكونه معروفًا"، وهذا المعنى ذاته يَستعمله النحاة في أبواب كثيرة من المباحث النحويَّة المهمَّة، ويُعلِّلون ذلك بمجموعة من العِلل التي يَختارونها ويقدِّرونها حسب ما تَقتضيه الضرورة والعِلة النحويَّة[3].

---

[1] - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: 666هـ): مختار الصحاح، محق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط: 5، 1420هـ / 1999م،ص69.

[2] - أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، محق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، ط: 1420 هـ، ج2ص86.

[3] – ينظر: الزجاج غعراب القرآن الكريم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، القسم الثاني ص 743.

وقال اهل البلاغة: الحذف من الأبواب اللطيفة والبديعة عند أهل اللغة العربية؛ حيث اعتبروه من المسائل التي تُكسب الكلام جمالاً وروعة، وتَمنحه جودة وبلاغة، بل إنه من الأساليب التي لا يُحسنها إلا المتمكِّنون في اللغة والبارعون في أساليبها، حتى إنَّ **عبدالقاهر الجرجاني** قال عن هذا الباب: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1].

ليس للحذف مواطن معينة يجب فيها إلا ما كان من بعض القواعد النحوية التي لا بد فيها من حذف، أما في الجوانب البلاغية فالحذف جائز متى كانت فائدته أعم وأعظم من الذكر، وليس للحذف دواعي محددة ومعينة يجب التقيد بها، وإنما ظروف الكلام والسياق الذي يرد فيه هما اللذان يتحكمان في ظاهرة الحذف، وأما عن أغراضه عند البلاغيين، خصوصًا ما يتعلَّق بالمسند إليه، والتي تُعَدُّ من لطائف هذا الباب أمور، منها :

أ – **أن يكون الحذف لأجل كثرة الإستعمال**: نحو قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾(البقرة222)، **قال ابن عاشور**: " وتعلق الجعل بالذات هنا هو على معنى التعلق بالإسم، فالتقدير: ولا تجعلوا اسم الله عرضة، وحذف لكثرة الإستعمال في مثله عند قيام القرينة، وتعليق الفعل الذي هو "لا تجعلوا" يقوم قرينة على أن المراد تقدير المضاف محذوف لعدم إستقامة المعنى إلا به"[2]

[1] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ): دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة،ط:3 ،1413هـ – 1992م، ص146.

[2] . محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ،ج6 ص245.

وكذلك أن يحذف المتعلق بصيغة اسم الفاعل، وهو الجار والمجرور لظهور القرينة على تقديره، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ**﴾(المائدة62)، **قال ابن عاشور**: " والمثوبة مشتقة من ثاب يثوب، أي رجع، فهي بوزن مفعولة، سمي بها الشيء الذي يثوب به المرء إلى منزله إذا ناله جزاء عن عمل عمله أو سعي سعاه، وأصلها مثوب بها، اعتبروا فيها التأنيث على تأويلها بالعطية أو الجائزة ثم حذف المتعلق لكثرة الاستعمال. والمثوبة مشتقة من ثاب يثوب، أي رجع، فهي بوزن مفعولة، سمي بها الشيء الذي يثوب به المرء إلى منزله إذا ناله جزاء عن عمل عمله أو سعي سعاه، وأصلها مثوب بها، اعتبروا فيها التأنيث على تأويلها بالعطية أو الجائزة ثم حذف المتعلق لكثرة الاستعمال"[1].

فصيغة "مثوبة" مصدر ميمي، متعلق بها جار ومجرور محذوف تقديره " بها"، وهذا يدل على أن اللغة العربية ذاتها تميل إلى الو جازة وإطراح ما يمكن الإستغناء عنه لقيام القرينة عليه، ولو كان في جانب آخر غير جانب التركيب، وكذلك لكثرة دورانه في كلامهم كحذف النداء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ**﴾ (يوسف 29)فأصلها: " يا يوسف".

ب . العموم: الذي يقوم فيه الحذف بإفادة ما تفيده صيغ العموم في الذكر وهو سبيل من سبل دقة هذا اللسان العربي المبين وأسراره التي تتحلى بصورة أشد وضوحا في الأية القرآنية، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾(البقرة194) فإن صيغة الأمر " أحسنوا" قد حذف منها المتعلق سواء

[1]. المصدر السابق، ج6 ص245.

كان مفعولا، نحو أحسنوا الظن بالله، أو كان مجرورا نحو: أحسنوا في أعمالكم، قال ابن عاشور: وفي حذف متعلق أحسنوا تنبيه على أن الإحسان مطلوب في كل حال، وفي الأمر بالإحسان بعد ذكر الأمر بالاعتداء على المعتدي والإنفاق في سبيل الله والنهي عن الإلقاء باليد إلى التهلكة إشارة إلى أن كل هاته الأحوال يلابسها الإحسان ويحف بها، ففي الاعتداء يكون الإحسان بالوقوف عند الحدود والاقتصاد في الاعتداء والاقتناع بما يحصل به الصلاح المطلوب، وفي الجهاد في سبيل الله يكون الإحسان بالرفق بالأسير".[1]

ج ـ **التشويق مع الإيجاز:** قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوَ ٱمْضِيَ حُقُبًا**﴾(الكهف59)، فسرها **ابن عاشور بقوله:** "وحذف ذكر الغرض الذي سار لأجله موسى- عليه السلام- لأنه سيذكر بعد، وهو حذف إيجاز وتشويق، له موقع عظيم في حكاية القصة، لإخراجها عن مطروق القصص إلى أسلوب بديع الحكم والأمثال قضاء لحق بلاغة الإعجاز"[2].

وافتتاح القصة بالسفر إلى مجمع البحرين أو السير سنوات عديدة دون ذكر الغرض من هذا السفر للتشويق مع ما فيه من الإيجاز، والغرض المحذوف في هذا الموضع هو ما ذكر بعد ذلك في أحداث القصة من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا**﴾(الكهف64) ، والسبب الدافع لمقابلة سيدنا موسى عليه السلام لهذا العبد الذي هو الخضر والتعلم منه ما ورد في صحيح البخاري من توضيح للقصة يجلي لنا سر ابتداء القرآن الكريم لهذه القصة من خلال

[1]. نفس المصدر ج2 ص 216.

[2]. نفس المصدر ج15 ص 361.

إفتتاحها بهذه الآية القرآنية في إنشاء سفر دون ذكر الغرض منه حتى عد ابن عاشور هذا الإبتداء والإطراح اخراجا لها عن مطروق القصص إلى بديع الحكم والأمثال.

د . **تجنب الإطالة بسبب المحذوف: قال الزمخشري** في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَالذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾(البقرة210)، المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في أعينهم بوساوسه وحببها إليهم فلا يريدون غيرها، ويجوز أن يكون الله قد زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسنوها وأحبوها، أو جعل إمهال المزين له تزيينا"[1].

وقال الخفاجي: "التزيين هو التحسين المدرك بالحس دون المدرك بالعقل ولهذا جاء في بعض أوصاف الدنيا وأوصاف الآخرة والمزين في الحقيقة هو الشيطان فإنه حسن الدنيا في أعينهم وحببها إليهم، وقراءة زين معلوما على الإسناد دلّه والقاضي أخطأ في المدعي وما أصاب في الدليل، أمّا الأوّل فلأن التزيين صفة تقوم بالشيطان والفاعل الحقيقي لصفة ما تقوم به تلك الصفة وليت شعري ما يقول هذا القائل في الكفر والضلالة وأمّا الثاني فلأنّ مبناه عدم لفرق بين الفاعل النحوي الذي كلا منافيه والفاعل الكلامي الذي بمعزل عن هذا المقام وهذا كله من عدم التأمل لأن الله تعالى نسب التزيين إلى نفسه في مواضع كقوله:﴿ **إِنَّ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ**﴾(النمل4)، وفي مواضع الشيطان كقوله سبحانه وتعالى:﴿**تَاللَّهِ لَقَدَ**

[1] . أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،ط: 3 - 1407 هـ، ج1ص254.

آرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(النحل63)"[1].

بالإضافة إلى هذه الأغراض هناك أغراض أخرى بلاغيَّة ذكَرها النحاة وأهل البلاغة، منها: العِلم به، أو الخوف عليه، وكذا التحقير والإعظام، كما أنَّ الحذف قد يَرِدُ عند البلاغين في مواطن أخرى، مثل: "باب المجاز"؛ كقوله تعالى في سورة يوسف :﴿**وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ** ﴾ (يوسف 82)؛ إذ الحذف عند بعضهم نوعٌ من أنواع المجاز، وهو ما ذهَب إليه سيبويه وغيره من أهل النظر، والحذف هنا لا يُنسب إلى الكلمة والمجاورة وإنما إلى الجملة ككل، وإلاَّ كان ذلك لا يُفيد الكلام شيئًا؛ كما **قال الإمام الجرجاني**: " أن من حق المحذوف أن المزيد أن ينسب إلى جملة الكلام، لا إلى الكلمة المجاورة له، فأنت تقول إذا سئلت عن: "اسأل القرية":لافي الكلام حذف، والأصل: "أهل القرية"، ثم حذف "الأهل"، تعني حذف من بين الكلام"[2].

ليس للحذف ضوابط معينة يتم التقي دبها ولا قواعد مضبوطة يتم اللجوء إليها وإحصاؤها اللهم إلا بعض المواطن التي أحصاها النحاة والبلاغيين وما ذالك إلا لأن الحذف ظاهرة بلاغية تقوم في ذهن المتكلم متى ما بلغ شأوا في اللغة يخوله تلك القدرة العجيبة على التصرف في الكلام بالتقديم والتأخير والإضمار وخير ذلك فهو ملكة لغوية راقية تقوم على المران والممارسة اللغوية التي تمد المتكلم بالقدرة على البلاغة والتعبير عن الظواهر الحسية والمعنوية وفي القرآن الكريم لا تحصى مواطن الحذف فهي كثيرة وقد لا يتنبه

[1] - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار النشر: دار صادر – بيروت، ج2ص297.

[2] – أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471 هـ): أسرار البلاغة فى علم البيان، محق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1422 هـ - 2001 م،ص420.

غليها الدارس إلا حينما تتوسع دراسته لتشمل كما عظيما من القرآن الكريم لذلك قالوا القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا .

الفصل الثاني: خصائص اللفظة القرآنية وحسن اختيارها

المبحث الأول: خصائص الكلمة القرآنية

- **المطلب الأول**: الدقة في الاختيار
- **المطلب الثاني**: الدقة في المعنى وجمال اللفظ
- **المطلب الثالث**: الدقة في التصوير

المبحث الثاني: جمالية اللفظ القرآني

- **المطلب الأول**: جمالية اللفظ القرآني من حيث تلاؤم الحروف

المطلب الثاني: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الكلمات

- **المطلب الثالث**: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الصوت

المبحث الثالث: مناسبة المفردة للبيئة والسياق

- **المطلب الأول**: الدلالة الصوتية للألفاظ الدالة على يوم القيامة
- **المطلب الثاني**: قوة الألفاظ.

المبحث الأول: خصائص الكلمة القرآنية

- **المطلب الأول**: الدقة في الاختيار
- **المطلب الثاني**: الدقة في المعنى وجمال اللفظ
- **المطلب الثالث**: الدقة في التصوير

المبحث الأول: خصائص الكلمة القرآنية

من خصائص اللفظة القرآنية أنها تناسب المقام، وتؤدي المعنى المراد من الحال، والحال والمقام عنصران أساسيان في البلاغة، لذلك اشترطوا في الكلام البليغ أن يكون الحال فيه متحدا مع المقام، وأن يكون المقام ترجمان لهما، وتلك خاصة لا نجدها مستوفية شروطها إلا في القرآن الكريم الذي يعتبر في الذروة من حيث بلاغته وفصاحته، ولقد تميزت الكلمة القرآنية بخصائص فنية جمالية كبيرة، فصورة الإبداع تنشأ منها، وظلال المشاهد الحية تتجسد فيها، وما ذلك إلا لدقة إحكامها وعظيم إعجازها، مثل قوله سبحانه وتعالى:الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت .

ونعتقد أنه مهما حاول الدارسون الإلمام بخصائص الكلمة القرآنية فستبقى أكبرمن أن يحاط بها بحيث تظهر فيكل مرة يرجع إليها جديدة، وأكثر خصوبة وثراء، فما تملكه هذه الكلمة من مقدرة على تحريك النفس والوجدان والعقل والمخيلة يشهد لخصائص.

المطلب الأول: الدقة في الاختيار

لقد استخدم القرآن الكريم اللغة العربية بكل ما تزخر به من عادات وسلوكات لغوية في ألفاظها وتراكيبها، وأصواتها، التي يستخدمها البشر في التعبير عن المعاني التي تدور بخواطرهم، ولكن تميزت تراكيبه بدقة متناهية في اختيار الألفاظ التي يستخدمها في التعبير عن المعاني المرادة، وما ذلك إلا لأن قائله هو الله سبحانه وتعالى الذي خلق البشر والكون كله، وكانت بلاغة البشر على قدر علمهم بمقتضى حال المخاطب، وعلم البشر بأحوال المخاطبين محدود أما علم الله سبحانه وتعالى بخلقه فلا حد له، ومن هنا استمد القرآن الكريم بلاغته، تلك البلاغة التي أعجزت أساطين الكلام، وفصحاء اللسان من العرب، إذ وجدوا معانيه فوق ما يعرفون، وأقوى مما يتصورون، كما وجدوا ألفاظه مبهرة لهم من حيث انسجامها في الآيات والأصوات، إلى الحد الذي وقفوا عاجزين عنده

يدركون فصاحته، ولا يستطيعون مجاراتها في القول تشعر نفوسهم وعقولهم بغزارة معانيه، وجمال تراكيبه مع أنهم لا يستطيعون أن ياتوا بمثلها، ومن هنا حصل لهم الإعجاز.

إن الدقة في الاختيار تعني احتلال الكلمة القرآنية موضعها في الآية مختارة من بين مجموعة من الكلمات لتؤدي غرضها الكامل في المعنى مع صعوبة أو استحالة استبدالها بكلمة أخرى. ففي قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّيَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً** ﴾(النساء71)، **يقول السيد قطب:** "ولفظة "**لَّيُبَطِّيَنَّ**" مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر، وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها، حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شدا، وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويرا كاملا بهذا التعثر والتثاقل في جرسها، وذلك من بدائع التصوير الفني في القرآن الكريم، الذي يرسم حالة كاملة بلفظة واحدة"[1].

وقال الطنطاوي في تفسيره: والتعبير بقوله سبحانه وتعالى:﴿لَيُبَطِّئَنَّ﴾ تعبير في أسمى درجات البلاغة والروعة، لأنه يصور الحركة النفسية للمنافقين وضعاف الإيمان وهم يشدون أنفسهم شدا، ويقدمون رجلا ويؤخرون أخرى عند ما يدعوهم داعي الجهاد إلى الخروج من أجل إعلاء كلمة الله"[2]، وانظر إلى المتنبي مع علو منزلته ورسوخ قدمه في اللغة العربية والشعر ومع ذلك فقد أخطأ إذ جعل المروؤة تؤذي في قوله:

تلذ المروؤة وهي تؤذي ... من يعشق يلذ له الغرام

أما القرآن الكريم وهو يستعمل كلمة تؤذي، في قوله سبحانه وتعالى:﴿فإذا طعمتم فانتشروا﴾، وفرق بين الإستعمالين فهي في القرآن الكريم في محلها مناسبة لمقامها في الآية الكريمة،

[1] سيد قطب، في ظلال القران،ج2ص706.

[2] ـ محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط:1، ج3 ص213.

ونابية قلقة في قول الشاعر، وقوله سبحانه وتعالى:﴿**وَلَوَ أَنَّمَا فِي ٱلأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(لقمان26) فإن قلنا: لم قيل: من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو الشجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا تبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاما، هذا هو سر بقاء الكلمة حية على عظمة ما لحقها من أهوال، لتخلف أبنائها من فترات متعاقبة وهذا ما يجعلها هدفا للدراسات الجمالية والبلاغية على الدوام دون النظر إلى تأخر أهلها، أو تراجعهم تراجعا مؤقتا، كما ورد لفظ (شجرة) نكرة غير معرفة، لأن النكرة إذا عمة عرفت، وكأن كل شجرة في الكون أصبحت أقلاما.

وقال السمرائي: "ثم انظر إلى التنسيق الجميل في إختيار خواتم الآي، فإن خاتمة كل آية اختيرت لتجمع عدة معان في آن واحد. فاختيرت (الأمين) لتجمع معنيي الأمن والأمانة، و (أسفل سافلين) لتجمع معنى غير منقطع ولا منغّص بالمِنّة عليهم، وكلمة (الدين) لتجمع الجزاء والدين، و (أحكم الحاكمين) لنجمع الحكمة والقضاء، فانظر إلى هذا الدقة في الإختيار وهذا الحسن في التنسيق. أليس الذي قال بأحكم الحاكمين"[1].

وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا نرى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الكريم الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتَ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾(النحل112)، **قال الجاحظ**: "المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب

[1] – السامرائي: لمسات بيانية، ج1ص 435.

ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن الكريم يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الكريم الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال. وقد زعم بعض القراء أنه لم يجد ذكر لفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج"[1].

ومثله لفظ: ريح، ورياح، فلا يستعمل لفظ الجمع رياح إلا في مواطن الخير، والنعم، ولا يستعمل المفرد إلا في مواطن النقمة قال الله سبحانه وتعالى:﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِيۤ أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ**﴾(فصلت15)، **قال السامرائي**: "من عجيب ذلك أنك ترى لفظتين تدلان على معنى واحد، وكلاهما حسن في الاستعمال، وهما على وزن واحد وعدة واحدة، إلا أنه لا يحسن استعمال هذه في كل موضع تستعمل فيه هذه، بل يفرق بينهما في مواضع السبك، وهذا لا يدركه إلا من دقَّ فهمه وجلَّ نظره[2].

فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰۤئِي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ**﴾(الأحزاب4)،وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً**

[1] - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ): البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ،ج1 ص41.

[2] . السمرائي: لمسات بيانية، ص 45.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(آل عمران 35)، **قال ابن الأثير**: "فاستعمل "الجوف" في الأولى، و"البطن" في الثانية، ولم يستعمل "الجوف" موضع "البطن"، ولا "البطن" موضع "الجوف"، واللفظتان سواء في الدلالة، وهما ثلاثيتان في عددٍ واحد، ووزنهما واحد أيضًا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل، ومما يجري هذا المجرى قوله سبحانه وتعالى:﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾(النجم11) وقوله سبحانه وتعالى:﴿إِن فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق38) فالقلب والفؤاد سواء في الدلالة، وإن كانا مختلفين في الوزن، ولم يستعمل القرآن الكريم أحدهما في موضع الآخر"[1].

إن للقرآن الكريم منهجا خاصا، وطريقة معينة في اختيار الألفاظ وتحميلها المعاني والدلالات لذلك ترى ألفاظ في كلام العرب دلت على نفس المعنى، ولا يستعمل القرآن الكريم إحداهما في موضع أخرى بل لكل منهما موضع خاص تصلح فيه احداهما من دون الأخرى، والمعروف عند البلغاء أن الألفاظ إذا تكررت سئمت منها الأذواق وسمجت، وفقدت رونقها وبهائها في حيث أنك تجد اللفظة الواحدة في القرآن الكريم قد تتكرر في تراكيب قريبة من بعضها، فلا يزيدها ذلك التكرار إلا جمالا، فيزداد العقل تعلقا بها.

المطلب الثاني: الدقة في المعنى وجمال اللفظ

يوازن الأسلوب القرآني في تراكيبه بين جمال اللفظ ودقة المعنى، والمقصود بجمال اللفظ هو أن يكون خفيفا في النطق منسجم الحروف غير مستكره ولا معقد، أما دقة المعنى فتتمثل في ذلك التصوير الرائع الذي تنسجم فيه الآيات لتعطي مشهدا يأخذ بالألباب ويستولي على القلوب كان

[1] - ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،محق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، ج1 ص 164.

يكون في وصف النعيم، أو الجحيم، أوفي تصوير آيات كونية تدعوا إلى التأمل العقلي، او الوجداني في جميع هذه الحالات يأخذ الأسلوب القرآني بتلابيب النفس البشرية، فيملؤها اعجابا، أو خشية، أو رغبة، أو رهبة، وذلك طبق ما تهدف إليه الصورة القرنية، وأن كل لفظ في القرآن الكريم له دلالته الذي لا يؤدى إلا به.

قال البقلاني:" العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها، حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة، أو وجه قصيدة أو فقرة.فإذا ألفت ازدادت به حسنا وإحسانا ، وزادتنا إذا تأملنا معرفة وإيمانا، ثم تأمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ** ﴾(يس38)، هل تجد كل لفظة، وهل تعلم كل كلمة، تستقل بالاشتمال على نهاية البديع، وتتضمن شرط القول البليغ؟ فإذا كانت الآية تنتظم من البديع، وتتألف من البلاغات، فكيف لا تفوت حد المعهود، ولا تجوز شأو المألوف؟ وكيف لا تحوز قصب السبق، ولا تتعالى عن كلام الخلق"[1] .

وجمال اللفظ لا يكمل حتى تقف على جمال المعنى وفي ذلك **يقول الطبري:** "إنّي لأعجبُ مَنْ قرأ القرآن ولم يعلَم تأويلَه، كيف يلتذُّ بقراءته"[2].

يعني بذلك أن فهم القرآن الكريم متوقف على فهم بلاغته، ومكونات أسلوبه، فالبليغ أحق بهم القرآن الكريم من غيره، وأولا من غيره بتخريج آيه وفهم مرامه، فإن الكلمة القرآنية دقيقة المعنى.

ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلاَ**

[1] – الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 188.

[2] – الطبري: جامع البيان: ج1 ص 10.

﴿تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(التوبة36)، **قال الشعراوي:**"فالعدة تشير إلى المقدار والتهيؤ للعملية الإحصائية، ولكنها في الوقت نفسه ارتبطت ببلاغة التصميم للكون من بدء التكوين، ثم اتفقت بالدلالة مع ما تواضع عليه الخلق في عدة الشهور، فانتظم التهيؤ الكيفي التركيبي للكلمة مع الدلالة في تطورها منذ تصميم الكون حتى خلق البشرية. وفي القرآن الكريم أمثلة كثيرة من حيث الدقة في المعنى"[1]

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ (طه71)، هل كان فرعون سيصلب السحرة في داخل الجذوع أم على الجذوع؟ وإن كان أهل اللغة قد قالوا: إن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض. فإننا لا نرضى هذا الجواب؛ لأننا إن رضيناه في أساليب البشر، لا يمكن أن نقبله في أساليب كلام الله؛ لأن هناك معنى «في» الظرفية؛ ومعنى آخر في استخدام حرف «على» . ولو قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ معناه: أن عملية الصَّلْب ستتم بقوة بحيث تدخل أجزاء من جسم المصلوب في المصلوب فيه، أي: أن جنود فرعون كانوا سَيَدقُّون على أجساد السحرة حتى تدخل في جذوع النخل، وتصبح هذه الأجساد وجذوع النخل وكأنها قطعو واحدة، هذه صورة لقسوة الصلب وقوته، لكن إذا قلنا: على جذوع النخل لكان المعنى أخفَّ، ولكان الصَّلْب أقل قسوة، فكأن القرآن الكريم، قد استعمل ما يعطينا دقة المعنى"[2].

[1] . الشعراوي تفسير الشعراوي ج9، ص5163.

[2] . المرج نفسه،ج9 ص5164.

بحيث إذا تغيَّر حرف اختل المعنى. ونجد الحق سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر من القرآن الكريم:﴿ سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(آل عمران: 133)، أي: أن سرعتنا في العمل الصالح تنتهي بنا إلى المغفرة، إذن: فنحن قبل أن نسرع إلى الصالح من الأعمال لم نكن في المغفرة، وعندما نسارع نصل إليها، ثم نجد قول الحق سبحانه وتعالى أيضاً:﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾(الأنبياء90)، ولم يقل: يسارعون إلى الخيرات؛ لأن عمله م الآن خير، وهم سيسارعون فيه؛ أي سيزيدونه؛ إذن: إنْ سارعتَ إلى شيء كأنه لم يكن في بالك، ولكنك ستسرع إليه، ولكن سارعتَ في الخير، فكأنك في الخير أولاً ثم تزيد في فعل الخير"[1].

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(سبأ24)، **قال الزمخشري**:"لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدرى أين يتوجه"[2].

فتفسير **الزمخشري** يبين لنا في هذه الآية معاني الحروف فلفظة" لعلى" تدل على الراحة والإطمئنان، وأما لفظة:" في" تفيد السير في ظلمة والخوف ولا تعلم بأي اتجاه أنت متجه.

قال الباقلاني: "وكيف لا يكون كذلك: وأنت تحسب أن وضع " الصبح " في موضع " الفجر " يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً؟ وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها

[1] - المرجع السابق،ص5164.

[2] – الزمخشري، الكشاف ج3، ص582.

في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار"[1].

إن هذا الوصف دقيق للفظة القرآنية ينبئ عن فكر ثاقب ورأي سديد، لا يصدر إلا عن من أكثر من التأمل في القرآن الكريم، من أمثال هؤلاء، فما أجدر أن يتعمق الدارس في مجال الدراسات اللغوية، والدلالية والبلاغية، ليقف على خصائص اللفظة القرآنية، وما تؤديه من وظائف دلالية وجمالية في الآية القرآنية.

وأما الدقة في الوصف: في قوله الله عز وجل:﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ**﴾(فاطر32) ، وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٱلذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ**﴾(فاطر35)، **قال الثعلبي**: فأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين أقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابًا يسيرًا، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر، ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته"[2].

وقال أيضا السابق: الذي أسلم قبل الهجرة، والمقتصد: الذي أسلم بعد الهجرة، والظالم: نحن. وقال بكر بن سهل الدمياطي: الظالم لنفسه: الذي مات على كبيرة ولم يتب منها، والمقتصد: الذي لم يصب كبيرة، والسابق بالخيرات: الذي لم يعص الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له. وعن الحسن أيضا قال: السابق: من رجحت حسناته، والمقتصد: من استوى حسناته وسيئاته،

[1] – الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 184.

[2] – أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:1 1422، هـ - 2002 م، ج7ص109.

والظالم: الذي ترجح سيئاته على حسناته. سهل بن عبد الله: السابق: العالم، والمقتصد: المتعلم، والظالم: الجاهل، وعنه أيضا: السابق: الذي اشتغل بمعاده، والمقتصد: الذي اشتغل بمعاده عن معاشه، والظالم: الذي اشتغل بمعاشه عن معاده. وقيل: الظالم: طالب الدنيا، والمقتصد: طالب العقبى، والسابق، طالب المولى"[1].

اللفظ القرآني في الآية السابقة يحتمل كل هذه الدلالات، وكل تفسير من التفاسير السابقة يواطئ الحقيقة والصواب، في جانب من جوانبه، ويمكن أن ننظر إلى معاني هذه الآية إنطلاقا من عموم اللفظ، فالناس ثلاثة فرق، فرقة مؤمنة تستحق عند الله سبحانه وتعالى الجنة، وفرقة أقل إيمانا، وهي التي يسميها (مقتصد) تستحق الجنة، بعد أن تنالها مغفرة الله سبحانه وتعالى، وفرقة ثالثة ظالمة مآلها النار.

أما قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَأَغْطَسَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيهَا**﴾(النازعات29):أي جعل الله ليلها مظلمًا؛ لأَنه يقال: أَغطش الليل، كما يقال: أَظلم، ونسبة الليل إِلى السماء لأَنه يكون بمغيب كوكبها وهو الشمس (**وَأَخْرَجَ ضُحَيهَا**) أَي: وأَبرز نهارها، والضحى في الأَصل على ما يفهم منه بأن: انبساط الشمس، وامتداد النهار، ثم سمى به الوقت المعروف، وشاع في ذلك وتجوز به عن النهار بقرينة المقابلة بالليل، وعبر عن النهار بالضحى لأَنه أَشرف أَوقاته وأَطيبها وفيه من انتعاش الأَرواح ما ليس في سائرها فكان أوفق لمقام تذكير الحجة على منكري البعث، وإِعادة الأَرواح إِلى أَبدانها، وإِضافة الضحى إِلى السماء لأَنه يحدث بسبب طلوع الشمس"[2].

فاستعمال اللفظين (أغطس، و أخرج)، ينبئ عن دلالة دقيقة لهذين اللفظين، واستعمال عجيب لهما لا يتبادر إلى ذهن أي بليغ مهما أوتي من قدرة على الإبانة والإفصاح، بحيث استعمل

---

[1] - المصدر نفسه: الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج7ص110.

[2] - مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط:1، (1393 هـ = 1973 م)،ج10ص1773.

لفظ (أغطس) لليل حين يغمر الظلام البسطة كله، واستعمل لفظ(أخرج) للضحى (الضوء)، ليدل على انحصار الظلام وانتشار الضوء، وكأن هذا الضوء يطرد الظلام ويبدده، لأنه يندفع من أعماقه فيضيئ الكون كله، وقابل الليل بالضحى،ولم يقابله بالنهار لأن وقت الضحى هو الوقت الذي ترتفع فيه الشمس، وتتغلغل أشعتها في البسيطة كلها، حتى تصل إلى أفواه المغارات والكهوف.

إن الدقة في الوصف تقريب المعاني القرآنية إلى مداركنا، كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ**﴾(فصلت50) لفظة (مَسَّه)لفظة حسية تقع على الأجسام وقد وصف بها الدعاء ليفيد دقة الوصف، وهي توضح صورة عريضة موسعة للإنسان الذي يمسه الشر فليجأ إلى خالقه متضرعا راجيا رحمته سبحانه وتعالى.

إن جمال اللفظ القرآني لا يقف عند حد فيعرب عنه بليغ واحد من البشر، ولا يستوف البحث فيه عالم لغوي، وإنما هو جمال يتجدد كل ما تأملت فيه، أو أنعمت النظر في تفاصيله، فدلالاته ترتدي أثوابا قشبة رائعة، كلما كشفت ثوبا منها بدا لك ثوب آخر، فالمعنى القرآني كالدر المكنون في أصدافه يصيب منه البليغ، ما توصلت به إليه قريحته.

المطلب الثالث:الدقة في التصوير

يتميز القرآن الكريم بالتصوير في آياته وفي صوره، وبما تضافرت عدة آيات لتصور مشهدا معينا، ولقد تحدث بعض العلماء القدماء عن هذه الظاهرة، أي ظاهرة التصوير، أمثال الزمخشري، وعبد القاهر الجرجاني، الذي ينظر إلى التصوير الفني باعتباره ظاهرة بلاغية في النص اللغوي العربي، حيث تتفاوت تلك الصور الفنية انطلاقا من تفاوت البلغاء في اختيارهم الألفاظ، والتراكيب التي يودعون فيها معانيهم إلى أرقى درجة من درجات التصوير الفني التي يتم بها الإعجاز القرآني.

تبنى **السيد قطب** تفصيل هذه القضية في (بيان التصوير الفني في القرآن الكريم)، فقال: "التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن: فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة"[1].

فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة مجسمة مرئية، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأول الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الأحداث، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنم عن الأحاسيس المضمرة، إنها الحياة هنا، وليست حكاية الحياة[2].

يريد منا **السيد قطب** أن نصل إلى تذوق القرآن الكريم، عن طريق الصور التي يرسمها في ذهن القارئ دفعة واحدة، صورا متكاملة الأجزاء، مستوفية المعاني، منظور إليها من ناحية ما يرتسم في النفوس، وفي العقول، وفي الوجدان حين ينطق بها القارئ.

ومن أمثلة ذلك: من المعاني الذهنية، التي أخرجت في صورة حسية قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ**﴾ (سورة الأعراف 40)، **قال عدنان زرزور**: والمعنى الذهني الذي تقرره الآية هو أن الكفار لن ينالوا

[1]. السيد قطب، التصوير الفني، ص36

[2]. المرجع نفسه، ص37

القبول عند الله، وأنه يستحيل عليهم دخول الجنة! ولكن هذا المعنى المجرد يعرض بهذا الأسلوب التصويري فيدعك «ترسم بخيالك» صورة لتفتح أبواب السماء، وصورة أخرى لولوج الحبل الغليظ في سمّ الخياط، ويختار من أسماء الحبل الغليظ اسم «الجمل» خاصة في هذا المقام، ويدع للحسّ أن يتأثر عن طريق الخيال بالصورتين ما شاء له التأثر، ليستقر في النهاية معنى القبول ومعنى الاستحالة في أعماق النفس"[1].

هذا الشاهد في تصوير الحالات النفسية والمعنوية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**﴾(سورة الأنعام71)،حيث "تبرز صورة هذا المخلوق التعيس الذي استهوته الشياطين في الأرض، ولفظ الاستهواء لفظ مصوّر لمدلوله- وياليته يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه، فيكون راحة ذي القصد الموحد، ولو في طريق الضلال! ولكن هناك من الجانب الآخر إخوان له يدعونه إلى الهدى، وينادونه: «ائتنا» وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء «حيران» موزع القلب، لا يدري أي الفريقين يجيب، ولا أي الطريقين يسلك، فهو قائم هناك شاخص متلفّت"[2].

فصدر الآية الكريمة مفاده النهي عن دعاء غير الله، من تلك الأصنام والأوثان ، والمخلوقات التي لا تنفع ولا تظر، والشطر الثاني في قوله سبحانه وتعالى:﴿**كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ**﴾، تشبيه للذين تمادوا في غيهم في دعوة غير الله سبحانه وتعالى، بمن استهوتهم الشياطين، فتاهوا في الظلال من

[1]. عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، الناشر: دار القلم ،دار الشاميه – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1419 هـ،1998م، ص169.

[2]. المرجع السابق، ص169.

غير أن يهتدوا إلى شيئ، وذكر النفع والضر مرتبطان بعظمة الله سبحانه وتعالى، إذ هو القدير على إجرائها على مخلوقاته، أما الذي استهوته الشياطين في الأرض فأصبح حيران في أمره، إذ أصم أذنين عن النداء الداعي إلى الهدى، في قوله سبحانه وتعالى:﴿**قُلِ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ**﴾، فنحسب الهدى إلى الله سبحانه وتعالى، دليل على أن الهدى هو طريق المستقيم الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد من البشر أن يلتزم طريقا آخر يضاهي به طريق الله سبحانه وتعالى، وجيء بضمير الفصل ﴿**هُوَ**﴾، وجاء بعده ﴿**ٱلْهُدَى**﴾ معرفا بـ(ال) للدليل على أن الهدى هو هدى الله سبحانه وتعالى لا غير.

ومنه التعبير عن عدم الهداية والانتفاع بالسماع بأن هناك حواجز مادية- مجسّمة- تفصل بينهم وبين الهدى والسماع: في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا**﴾(الكهف، 5)، ومعنى: أكنّة: أغطية. والوقر: الصمم، وأصله: الثقل"[1].

فحال الذين ذكروا بئايات الله سبحانه وتعالى فأعرضوا عنها كحال من جعلت قلوبهم في أكنة، فحيل بينهم وبين التفقه، وصمت آذانهم عنه، فلما أعرضوا عن الذكر وألحوا وشطوا في غيرهم وظلالهم ، طمس الله سبحانه وتعالى عليهم، ونسب ذلك إلى نفسه، في قوله سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا**﴾

[1]. المرجع السابق: عدنان زرزور،ص164.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ (محمد25)، وقال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾(يس8)، معنى المقمحون: المرفوعو الرأس اضطرارا"[1].

هذه أبشع صورة صور فيها القرآن الكريم الكافر والملحد يوم القيامة، جزاء تكذيبه النذر في الدنيا.

وقال علي صبح: يهذِّب الإسلام الطفل منذ مراحله المبكرة بأدب سام، يوقظ فيه كل حين الفطرة المستقيمة، والخليقة الخالصة النقية، التي تفضل بها الله عز وجل على خلقه في إبداعاته، حين يتلو أو يسمع قوله سبحانه وتعالى:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم30)، فيسلك المنهج القويم في قوله سبحانه وتعالى:﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾(الأعلى3) ، ويميز بين الطيب والخبيث، والهدي والفجور، من قوله سبحانه وتعالى:﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾(الشمس10) ، لتختار من النجدين طريق الخير لا طريق الشر"[2].

---

[1] ـ نفس المرجع، ص169.

[2] . علي علي صبح : التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث ص183.

وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿**أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ** ﴾ (البلد 10) ، فأقرت الروح البشرية بذلك إيمانًا بربها وخالقها منذ الأزل قال الله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِذَ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّٰتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ** ﴾(الأعراف 172)، لذلك حثَّ القرآن الكريم في أدبه المعجز العباد على الطريق المستقيم والهدي، والوقاية من الضلال، والعذاب قال الله سبحانه وتعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُومَرُونَ** ﴾(التحريم: 6)"[1]

التصوير الفني في القرآن الكريم أنه ينقل المشاهد إلى القارئ أو السامع مجسدة، ومفعمة بالحياة والأحاسيس ومجردة عن الزمان، والمكان تتفاعل معها النفس البشرية بكامل كيانها الوجداني، والعاطفي والعقلان، وكذلك التصوير القرآني بلغ في سموه إلى حد الإعجاز، مما تتعطل معه مقاييس البشر والمصطلحات النقدية في ميزان الأدب ليقفوا على عناصر الجمال وأسبابه ومسبباته، ويتذوقوا مواطن الحلاوة، ويشعروا بها، لأن الجلال –لا الجمال ولا الحلاوة، فالتصوير القرآني لا يحتاج إلى مقاييس الناقد الأدبي ومصطلحاته للوقوف على الإعجاز في التصوير القرآني وهذا يحتاج إلى توضيح لقضية التذوق والجمال والجلال.

[1] - المرجع السابق، ص183.

المبحث الثاني: جمالية اللفظ القرآني

- **المطلب الأول**: جمالية اللفظ القرآني من حيث تلاؤم الحروف

المطلب الثاني: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الكلمات

- **المطلب الثالث**: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الصوت

المبحث الثاني: جمالية اللفظ القرآني

من مظاهر التجلي في القرآن الكريم، ذلك الإنسجام البديع والإئتلاف العجيب في أصواته التي تتألف منها الكلمات والآيات، بحيث تبدوا تلك الأصوات منسجمة مع المعاني المعبرة عنها، ومع بعضها بعضا في السلاسل النطقية، بحيث تجد كل كلمة ترتبط بالأخرى ارتباطا وثيقا، كارتباط حلقات السلسلة ببعضها بعض، وأن أول ما يتجلى لك حين تصغي إليه يتجلّى في تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ونظاما دونه نظام.

تتألف أصوات الكلمة من صفير وجهر وهمس، مما هو مقرر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد، ومن هنا يتجلى لك جمال لغة القرآن الكريم في آيه وسوره في تلك الظاهرة العجيبة التي تأتلف أصواتها، ومخارجها ائتلاف عجيبا يخرجها عما ألفته العرب في كلامها، فيحدث في النفس جمالا بديعا.

قال محمود توفيق:"وضع كلا من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان حتى تألف من المجموع قالب لفظي مدهش وقشرة سطحية أخاذة امتزجت فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقة الحضارة من غير ميوعة، وتلاقت عندها أذواق القبائل العربية على اختلافها بكل يسر وسهولة، ولقد وصل هذا الجمال اللغوي إلى قمة الإعجاز بحيث لو داخل في القرآن شيء من كلام الناس لاعتل مذاقه في أفواه قارئيه واختل نظامه في آذان سامعيه[1].

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغوي، وذاك النظام الصوتي أنَّهما كما كانا دليل إعجاز من ناحية كانا سورا منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى،وذلك أنَّ مِنْ شأنِ الجمال اللغوي والنظام الصوتي أن يسترعي الأسماع، ويثير الانتباه، ويحرك داعية الإقبال في كل إنسان إلى هذا القرآن

[1] . محمود توفيق محمد سعد العزفُ على أنوار الذِّكر معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة،ص247.

الكريم،وبذلك يبقى أبد الدهر سائدا على ألسنة الخلق، وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم، فلا يجرؤ أحد على تغييره، وتبديله"[1]

الإعجاز القرآني ليس وقفا على معانيه وتراكيبه فقط، فجمال أصواته بلا شك تؤدي وضيفة إعجازية تضاف إلى غيرها.

المطلب الأول: جمالية اللفظ القرآني من حيث تلاؤم الحروف

من المعروف في علم الأصوات اللغوية أنه يقدم الصوت على الكلمة، وما الحروف الألف بائية إلا أصوات يصدرها جهاز النطق الإنساني، فالناس جميعا ينطقون هذه الأصوات ويصنعون بها كلماتهم، ويزينون مخاطباتهم، ويسعون قدر الإمكان إلى تحقيق العنصر الجمالي في كلامهم، حتى يلقى قبولا لدا المستمع، ومن هنا بدأ التباري في اقتناء الكلام والإرتقاء به شيئا فشيئا في مدارج الفصاحة، ولما نزل القرآن الكريم نزل بلغتهم، ولكنه في الذروة من الفصاحة، من حيث ائتلاف أصواته وانسجامها وتأثير بعضها في بعض حال النطق بها، وأما الحروف فهي تلك الصور المرسومة للأصوات.

وقال الجرجاني:"ليس اللفظ السليم من ذلك بمعوز، ولا بعزيز الوجود، ولا بالشيء لا يستطيعه إلا الشاعر المفلق والخطيب البليغ، فيستقيم قياسه على السجع والتجنيس ونحو ذلك، مما إذا رامه المتكلم صعب عليه تصحيح المعاني وتأدية الأغراض. فقولنا: "أطال الله بقاءك، وأدام عزك، وأتم نعمته عليك، وزاد في إحسانه عندك"، لفظ سليم مما يكد اللسان، وليس في حروفه استكراه، وهكذا حال كلام الناس في كتبهم ومحاوراتهم، لا تكاد تجد فيه هذا الاستكراه، لأنه إنما هو شيء يعرض للشاعر إذا تكلف وتعمل، فأما المرسل نفسه على سجيتها، فلا يعرض له ذلك"[2].

[1] ـ المرجع السابق ،ص247.

[2] . عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ص 59.

وقال: "والمتعلل بمثل ما ذكرت من أنه إنما يكون تلاؤم الحروف معجزا بعد أن يكون اللفظ دالا، لأن مراعاة التعادل إنما تصعب إذا احتيج مع ذلك إلى مراعاة المعاني، إذا تأملت يذهب إلى شيء ظريف، وهو أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وذلك محال، لأن الذي يعرفه العقلاء عكس ذلك، وهو أن يصعب مرام المعنى بسبب اللفظ، فصعوبة ما صعب من السجع، هي صعوبة عرضت في المعاني من أجل الألفاظ، وذاك أنه صعب عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافا لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع، وبعد أن تلطفت على الجملة ضربا من التلطف[1].

وكيف يتصور أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وأنت إن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، وإنما تطلب المعنى، وإذا ظفرت بالمعنى، فاللفظ معك وإزاء ناظرك؟ وإنما كان يتصور أن يصعب مرام اللفظ من أجل المعنى، أن لو كنت إذا طلبت المعنى فحصلته، احتجت إلى أن تطلب اللفظ على حدة. وذلك محال، وإذا توهم متوهم أنا نحتاج إلى أن نطلب اللفظ، وأن من شأن الطلب أن يكون هناك، فإن الذي يتوهم أنه يحتاج إلى طلبه، هو ترتيب الألفاظ في النطق لا محالة،. وإذا كان كذلك، فينبغي لنا أن نرجع إلى نفوسنا فننظر: هل يتصور أن نرتب معاني أسماء وأفعال وحروف في النفس، ثم يخفى علينا مواقعها"[2].

قال محمد سعد: لو تدبرنا ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، فيهيئ بعضها لبعضٍ ويساند بعضًا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقيّ حتّى إنَّ الحركة ربّما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب، ولا تساغُ، وربما كانت أوْكَسَ

[1]. المصدر السابق، ص59.

[2] – المصدر نفسه، ص 59.

النّصِبَيْنِ فِي حظِّ الكلامِ من الحرف والحركةِ ، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنًا عجيبًا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امْتَهَدَتْ لها طريقًا في اللسان، واكتنفتها بضروبٍ من النّغم الموسيقيّ حتّى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيءٍ، وأرفه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة[1].

وهذا منه يهدي إلى أن الكلمات لا تتسم في وجدها الانفرادي بقبح أو حسن أو ثقل أو خفة، فتلك صفات تكتسبها من وجودها الاجتماعي، فهي أشبه بنعت التقوى في الإنسان، لاسبيل إلى نعته به مفردًا عن قومه محجوزًا عن الترابط بأمور حياتهم، فإقامة الكلمة مقامها الآنس بها يحجز النفس عن أن ترى فيها ثقلا أو نفرة بل ترى ما فيها من حزونة مبعث أنس بها، وهذا لا يكون من الكلمة نفسها وإنّما مما يصنعه المتكلم بها إذ يقيم من قبلها ما يوطّئُ لها السبيل إلى مقامها الشريف، فتتناغى أصوات مبناها مع ما قبلها وما بعدها مثلما يتآخى معناها مع معنى جاراتها وأخواتها، كلامه هنا بسط لأبعاد نظرية النظم عند "عبد القاهر"، ومَدُّ لها، وإحاطة لما منه يكون البيان مبنى ومعنى، وأنت تراه يصحبك في تدبره وتذوقه البيان بكلمة (النُّذُر) في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدَ آنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ**﴾(القمر36) وأشار إلى ما تحسه من ثقل الضمة لتواليها على " النون" و" الذال " معا، مضافا إلى ذلك جسأة حرف " الذال " وصلابته وخشونته ونبوه في اللسان وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام، فكلُّ ذلك مما يكشف عنه، ويفصح عن موضعه الثقل فيه، ولكنَّه جاء في في هذه الآية على العكس من ذلك[2].

تأمل موقع القلقة في "الدال" "لقد" وفي "الطاء" من " بطشتنا"،وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء " الطاء" إلى "واو" " تماروا" مع الفصل بالمدّ، كأنّها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا جرت على اللسان؛ ليكون ثقل الضمة عليها مستخفًا بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما

[1]. محمد سعد العزفُ على أنوار الذِّكر، ص235

[2]. المرجع نفسه، ص236.

تكون الأحماض في الأطعمة. ثُمَّ ردّد نظرك في " الراء" من " تماروا" فإنَّها ما جاءت إلا مساندة لـ" راء " " النذر" حتَّى إذا انتهى إليها مثلها، فلا تَحْفُ عليه ولا تغلظ، ولا تنبو فيه. ثُمّ اعجب لهذه الغنّة التي سبقت " الطاء " في " نون " " انذرهم " وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت " الذال " في " النذر"[1] .

وينبر معك بعضًا آخر من الكلمات هي أطول الكلام عدد حروف ومقاطع ممَّا قد يَسِمُها بالاستثقال طبيعةَ وضعٍ أو تركيبٍ، ولكنَّها في نظمها القرآني خرجت مخرجًا سريًّا من نحو قول الله سبحانه وتعالى:﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلاَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلذِے إِرْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِے لاَ يُشْرِكُونَ بِے شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾(النور55) فقوله سبحانه وتعالى:{لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} كلمة واحدة [إملائيًا لا نحويًا] من عشر ة أحرف، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ومن نظم حركاتها، فإنَّها بذلك صارت في النطق كأنَّها أربع كلمات منسجمة المقاطع، ويجرى القول منه في ذلك، فينتهى بنا إلى أن «طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار من أصواتها ومخارجها،وفي التمكين بحسّ الكلمة وصفتها، ثُم الافتنان فيه بوضعها من الكلام،وباستقصاء أجزاء البيان،وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل"[2].

وقال صبحي الصالح: "ولا أحسبك إلا مستشعرا عنف لفظة الكبكبة في قوله سبحانه وتعالى: {فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ} حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوههم أو على مناخرهم، ويلقون إلقاء المهملين، فلا يقيم أحد لهم وزنا"[3] .

---

[1] . المرجع نفسه، ص 236.

[2] ـ محمد سعد، العزفُ على أنوار الذِّكر، ص237

[3] ـ صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، الناشر: دار العلم للملايين، ط: 24، 2000،ص336.

وقال محمود توفيق في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَالَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾(الزلزلة)، " تبدأ حركة النّصّ عنيفة قويّة غنه يوم القيامة حيث ترجف الأرض وتزلزل، وتنفض ما في جوفها مشهد مروع ويقف الإنسان دهشًا ضائعًا مذعورًا هنا والإنسان مشدود يكاد لا يلتقط أنفاسه خائف يترقب في لمحة سريعة يعرض مشهد القيامة من البعث حتى الحساب"[1].

قال محمود توفيق: "إيقاع النصّ يسوق هذا المعنى، ويحمله، فهو مثله لاهثٌ سريعٌ يوجف، كالأرض وكالإنسان فرقًا واضطرابًا، كلّ ما فيه متحرك بارز ماثل، الكلمات في جرسها في طباقها وتوافقها، فيما تنشره من أفياء وظلال..الزلزلة.. أثقال.. مثقال.. ذرة.. أشتاتا.. ليروا..يره تشي بالموقف وتعبر عنه، ومع ذلك فهذه الكلمات وسائر ما في المعجم من أمثالها لا تبلغ في وصف المشهد قدر ما يبلغه الخيال السمعيّ والبصريّ حين يتملى النّص، فالسورة هزة،وهزة عنيفة للقلوب الغافلة هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي"[2].

الأصوات في القرآن الكريم المعبر عنها بالحروف في حالة رسمها تمتاز بالإنسجام، والإئتلاف، وربما وجدت كلمة صعبة في النطق، إذ أخذتها عن سياقها القرآني، ككلمات قطمير، وإستبرق، بطش، ولكنها في التركيب القرآني تكتسي جمالا خاصا بسبب ما يتقدمها، وما يتلوها من أصوات.

[1]. المرجع السابق ص237.

[2] ـ محمد سعد : العزفُ على أنوار الذِّكر، ص247.

المطلب الثاني: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الكلمات

من سحر القرآن أن النغم الصاعد فيه خلال الدعاء يثير بكل لفظة صورة، وينشئ في كل لحن مرتعا للخيال فسيحا: فنتصور مثلا، ونحن نرتل دعاء زكريا شيخا جليلا مهيبا على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور، ونتمثل هذا الشيخ الجليل على وقاره متأجج العاطفة، متهدج الصوت، طويل النفس، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير.

بل إن زكريا في دعائه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفا من انقطاع عقبه، وهو قائم يصلي في المحراب لا يني ينادي اسم "ربه" نداء خفيا، ويكرر اسم "ربه" بكرة وعشيا، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصديق الصفي: قال الله سبحانه وتعالى:﴿**فَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْباً وَلَمَ اَكُنْ بِدُعَآبِكَ رَبِّ شَفِيّاً وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَالِيَ مِنْ وَّرَآءِي وَكَانَتِ إِمْرَأَتِي عَافِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنَ ـالِ يَعْفُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً** ﴾(مريم5)، وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عند الوقف ألفا لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق: فهذه الألف اللينة الرخية المنسابة تناسقت بها "شقيا-وليا-رضيا" مع عبد الله زكريا، ينادي ربه نداء خفيا"[1].

وفي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَـٰبِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ**

[1]. المرجع السابق ص338..

عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾(الأنفال،4)،**قال النيسابوري:**" أي لا يتوكلون إلا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب فالأولى الفزع من عقاب الله، والثانية الانقياد لتكاليفه، والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه. ثم لما فرغ من أعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم بأعمال الجوارح وذكر منها رأسها وسنامها وهما الصلاة والصدقة، ثم عظمهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُومِنُونَ حَقًّا ﴾ وفي أُولئِكَ وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وإيراد حَقًّا من المبالغات ما لا يخفى وحَقًّا صفة مصدر محذوف أي إيمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله، وقال الفراء: معناه أخبركم بذلك إخبارا حقا، وقيل: إنه منوط بما بعده أي حقا لهم درجات[1]".

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(التوبة112)، **قال النيسابوري:**"في الآية أنواع من التوكيدات فأولها قوله سبحانه وتعالى: (إِن ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ) وإذا كان المشتري هو الإله سبحانه وتعالى الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لك الخيرات فما ظنك به، ومنها أنه عبر عن إيصال الثواب بالبيع والشراء حتى يكون حقا مؤكدا. ومنها أنه قال سبحانه وتعالى: (**بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ**) بحرف التحقيق وبلام التمليك دون أن يقول بالجنة. ومنها قوله سبحانه وتعالى(**وَعْدا**) وإنه لا يخلف

[1] - نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ):غرائب القرآن ورغائب الفرقان، محق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط:1 – 1416 هـ، ج3ص 374.

الميعاد. ومنها قوله سبحانه وتعالى(**عَلَيْه**)، وكلمة «على» للوجوب ظاهرا ومنها قوله سبحانه وتعالى: (**حَفًّا**)وهو تأكيد التحقيق"[1].

ومنها قوله سبحانه وتعالى:﴿**فِي ٱلتَّوْرِيٰةِ وَالإنجِيلِ وَالْفُرْءَانِ**﴾، وإنه يجري مجرى الإشهاد لجميع الكتب الإلهية وجميع الأنبياء والرسل هذه المبايعة. ومنها قوله سبحانه وتعالى:﴿(**وَمَنَ آوْفِىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ**)﴾، فيه تنبيه على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة. ومنها قوله سبحانه وتعالى:(**فَاسْتَبْشِرُوا**) البشارة الخبر الصدق الأول. ومنها قوله سبحانه وتعالى:(**وَذَالِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ**) ثم وصف الله سبحانه وتعالى الفوز ب:(**ٱلْعَظِيم**)"[2] .

وحين تنظر في كتابه الله عز وجل تجد جموعًا لا مفرد لها، وتجد مفردات لا جمع لها، ليس في الوضع اللغوي وإنما في النص القرآني، بمعنى أنك تجد مثلًا كلمة الألباب فإن سألتك عن مفردها قلت لب، فإن سألتك عن وجوده في كتاب الله قلت: ليس هناك آية في كتاب الله بها لفظ لب، وإنما لم يُستخدم في القرآن إلا لفظ الألباب، فاستُخدم الجمع ولم يُستخدم المفرد، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيٰهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰماً إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرِىٰ لِأُوْلِي ٱلأَلْبَٰبِ** ﴾ (الزمر 21) وغير ذلك من الآيات العديدة، أما كلمة اللب لم ترد وإنما ورد مرادفها، مرادف اللب وهو القلب، قال الله سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّ فِي ذَالِكَ لَذِكْرِىٰ لِمَن**

[1]. المرجع السابق، ص375.

[2]. نفس المرجع: ج3ص535.

﴿كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوَ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(ق 37)، ولم يقل لمن كان له لب، فلم تُستخدم المفردة مع أن نظيرها استخدم في كتاب الله، كيف النظير؟ النظير في الوزن والنطق، فكلمة لب توازي كلمة جب في قوله سبحانه وتعالى:﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَـٰبَـٰتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ (يوسف: 10) فلما ذُكر الجب ولم يُذكر اللب مع أنهما متوازيان ومتساويان في الوزن إلا أنهما يختلفان في المخارج، ويختلفان في العلاقة بين الحرفين، ففرق بين اللام والباء بما فيها من ثقل، وبين الجيم والباء وبما فيها من صلة، كذلك أيضًا في قضية الإفراد والجموع، تجد كلمة أرجاء استخدمت ولم يستخدم الرجا المفرد لها"[1].

تجد كلمة أكواب استخدمت في قوله سبحانه وتعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾(الواقعة21)، أما كلمة كوب لم تجدها استخدمت في كتاب الله، كذلك كلمة الأصواف في قوله سبحانه وتعالى:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلأَنْعَـٰمِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنَ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثاً وَمَتَـٰعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾ (النحل80)، كلمة أصواف استخدمت أما كلمة صوف المفرد لم يستخدم، وعندما أُريد استخدم مرادفه، وهو العهن، في قوله سبحانه وتعالى:﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾(القارعة3)، وعندما تُسأل عن تفسير العهن يُقال لك هو الصوف، ولكنما لم يستخدم واستخدم مرادفه مكانه"[2].

[1] . مناهج جامعة المدينة العالمية: الإعجاز اللغوي في القرآن الكري، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ص101

[2] - نفس المرجع، ص101.

أما في قوله سبحانه وتعالى:﴿**إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرِ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلأَبْتَرُ** ﴾(الكوثر)، أي الخير الكثير وقع في مقابلة الدع والمنع من الإطعام وقوله سبحانه وتعالى:(**فَصَل**) أي دم على الصلاة وقع بإزاء قوله سبحانه وتعالى:﴿**ٱلذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾(الماعون5) فقوله سبحانه وتعالى:(**لِرَبِّك**) مكان قوله سبحانه وتعالى:﴿**ٱلذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ** ﴾(الماعون6) وقوله سبحانه وتعالى:(**وَانْحَر**) والمراد به التصدق بلحوم الأضاحي بحذاء قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَيَمْنَعُون ٱلْمَاعُونَ**﴾ ثم ختم السورة بقوله سبحانه وتعالى:(**إن شَانِئَكَ هُوَ ٱلأَبْتَرُ**) أي الذي تضاد طريقته طريقتك سيزول عنه ما يفتخر به من المال والجاه والأحساب والأنساب ويبقى لك ولمتابعيك الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى، بل يدوم لك النسب الصوري بسبب أولادك الشرفاء والنسب المعنوي بواسطة أتباعك العلماء، ثم في الآية أصناف من المبالغة منها: التصدير ب «إن» ومنها الجمع المفيد للتعظيم، ومنها لفظ الإعطاء دون الإيتاء ففي الإعطاء دليل التمليك دون الإيتاء ولهذا حين قال سبحانه وتعالى:﴿**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ** ﴾(الحجر87) كان أمته مشاركين له في فوائدها ولم يكن له منعهم منها"[1].

[1]. المرجع السابق: ج6ص 575

ومنها صيغة المضي الدالة على التحقيق في وعد الله تعالى كما هي عادة القرآن، ومنها لفظ (**ٱلْكَوْثَرَ**) وهو مبالغة في الكثرة بزيادة الواو كجدول فيشمل خيرات الدنيا والآخرة، إلا أن أكثر المفسرين خصوه فحملوه على أنه اسم نهر في الجنة"[1].

المطلب الثالث: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الصوت

امتاز العرب برهافة الحس، فهم يتأثرون أشدّ التأثّر بما يسمعون، وللكلمة قدسيّتها، وهي تفعل فعلها إلى أبعد مدى، فيحاربون ويصالحون، ويضحّون ويكرمون نتيجة سماع كلمات، وهم سيدركون القيمة الموسيقية في القرآن الكريم بسبب معايشتهم لفن الشعر والخطابة، واهتمامهم البالغ بالكلمة.

وقد قال الزرقاني:" مسحة القرآن اللفظية فإنها مسحة خلابة عجيبة تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي، ونريد بنظام القرآن الصوتي اتساق القرآن وائتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته وسكتاته اتساقا عجيبا وائتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم ومنثور وبيان ذلك أن من ألقى سمعه إلى مجموعة القرآن الصوتية وهي مرسلة على وجه السذاجة في الهواء مجردة من هيكل الحروف والكلمات كأن يكون السامع بعيدا عن القارئ المجود بحيث لا تبلغ إلى سمعه الحروف والكلمات متميزا بعضها عن بعض بل يبلغه مجرد الأصوات الساذجة المؤلفة من المدات والغنات والحركات والسكنات والاتصالات والسكتات نقول إن من ألقى سمعه إلى هذه المجموعة الصوتية الساذجة يشعر من نفسه ولو كان أعجميا لا يعرف العربية بأنه أمام لحن غريب وتوقيع عجيب يفوق في حسنه وجماله كل ما عرف من توقيع الموسيقى وترنيم الشعر لأن الموسيقى تتشابه أجراسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها

[1]. المرجع نفسه: ج6ص 575

والطبع أن يمجها ولأن الشعر تتحد فيه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالبا وإن طالت على نمط يورث سامعه السأم والملل بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل لأنه يتنقل فيه دائما بين ألحان متنوعة وأنغام متجددة على أوضاع مختلفة يهز كل وضع منها أوتار القلوب وأعصاب الأفئدة. وهذا الجمال الصوتي أو النظام التوقيعي هو أول شيء أحسته الآذان العربية أيام نزول القرآن ولم تكن عهدت مثله فيما عرفت من منثور الكلام سواء أكان مرسلا أم مسجوعا حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر"[1].

ونحو ذلك **ما ذكره الرافعي** إذ يقول:"فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جُمله، ألحاناً لغوية رائعة؛ كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمرٌ لا قِبل لهم به، وكان ذلك أبينَ في عجزهم"[2].

وقال **ابراهيم أنيس**: "فما كان عليهم- وقد أصرّوا على الإشراك- إلا الهرب من سماعه على ملأ من القوم، والتلصّص لسماعه ليلا، مما يؤكد عدم موضوعيتهم في كرههم للقرآن، وقد قال عنهم عزّ وجلّ: ﴿**وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا ٱلْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**﴾(فصلت25)، فقد طغت المكانة العشائرية، ولكنها لم تمسح في نفوسهم تذوقا سمعيا فطريّا. ويمكن أن نعزو هذه الملكة السمعية إلى ضخامة مساحة الأميّة بين العرب حينئذ، بالإضافة إلى كثرة استماعهم للشعر الذي صوّر شئون حياتهم جميعها، ولهذا كان السمع هو المعيار الأول، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أنيس:"وفي رأيي أن هذه الظاهرة الموسيقية في اللغة العربية تعزى إلى تلك

[1] - محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: 1367هـ)،مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: 3، ج2 ص 310.

[2] - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة 8 – 1425 هـ - 2005 م،ص148.

الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتسبت تلك الآذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة"[1].

وقال **أحمد ياسوف**:"ولا يعني هذا مجرد استمتاعهم بصوتيات القرآن الكريم، فقد عرفوا أيضا أنها قوالب فنيّة لمضامين فكرية جديدة، فالتعلّق لم يكن شكليا محضا، ونحن نعترف بأن كتابة الشعر كانت قليلة في الفترة الجاهلية، وهنالك أمم كثيرة بدأت نتاجها الأدبي بالأدب الشفوي، وكانت تهتم بتصوير الأساطير، ولكن لا تمتلك لغاتها هذه الموسيقية، إلا أنها غنّت نتاجها الأدبي، وكذلك كانت الالياذة والأوديسة، ونرجّح أن السبب هو طبيعة اللغة العربية التي نشأت موسيقاها وفق ذوق أوّلي، ثم صار هذا الذوق قانونا موسيقيا، ثم نزل القرآن الكريم بتشكيل فريد، وذلك بلجوئه إلى مزية خاصة، وتخيّره وتهذيبه للمفردات، وليس من الضروري أن يكون تفشّي الأمية السبب الوحيد، لأن الشعر قديم، ولكل قديم منه معايشة شفوية في زمن ما"[2].

ومن **أمثلة** ذلك: تجد في القرآن كلمات –كما يقال؛ طويلة أي عدد حروفها كثير، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فُولُوٓا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَالۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ**﴾(البقرة 136)، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ**

[1] . إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص.195

[2] ـ أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية،ص76.

﴿لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلذِے إِرْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِے لاَ يُشْرِكُونَ بِے شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَالِكَ فَاْوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾(النور 55)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّےوَءَاتَىٰنِے رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ﴾(هود 28)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿فَلَمَّا قَضىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَـٰكَهَا لِكَےْ لاَ يَكُونَ عَلَى ٱلْمُومِنِينَ حَرَجٌ فِے أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب 37)، إلى غير ذلك مما هو في عرف الكلام أو في عرف البلاغيين كلمة طويلة، أما عند النحاة –كما تعرف– فهي كلمات؛ لأنهم يقسّمون الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، فهي جمل وليست كلمة، أما أهل البلاغة ينظرون إليها لما اتصالها في النطق ككلمة واحدة، فإذا نظرت إلى هذه الألفاظ التي عدد حروفها كثير ومقاطعها قد تكون مثقلة بطبيعة الوضع أو التركيب"[1].

إذا نظرت إليها في القرآن الكريم تجدها خرجت مخرجًا آخر، فخرجت من أخصر الألفاظ حلاوة وأعذبها منطقًا وأخفها تركيبًا؛ إذ ترى القرآن قد هيئ لها أسبابًا عجيبة من تكرار الحروف وتنوع الحركات، انظر: {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} (النور: 55) كلمة من عشرة أحرف وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف، ومن نظم حركاتها؛ فإنها بذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات، إذ تنطق على أربعة مقاطع ليس/ تخ/ لفن/ نهم؛ هذا التقسيم مقاطع، هو يشير كما أشار الدكتور دراز لموضوع الأسباب والأوتاد التي يقاس بها أوزان الشعر المقطع ينتهي عند الساكن: ليس/ تخ/ لفن/ نهم، فصارت الكلمة كأربع كلمات بأربعة مقاطع، فأعطاها جمالًا وسهولة وعذوبة في

[1] . مناهج جامعة المدينة العالمية: الإعجاز اللغوي في القرآن الكري، الناشر: جامعة المدينة العالمية ص119

النطق، وكذلك قوله تعالى: {**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّه**} فإنها كلمة من تسعة أحرف وهي ثلاثة مقاطع، وقد تكررت فيها الياء والكاف، وتوسط بين الكافين هذا المد الذي هو سر الفصاحة في الكلمة كلها. وهذا مظهر من مظاهر النسق الصوتي في القرآن الكريم"[1].

[1]. المرجع السابق، ص120.

المبحث الثالث: مناسبة المفردة للبيئة والسياق

- **المطلب الأول**: الدلالة الصوتية للألفاظ الدالة على يوم القيامة
- **المطلب الثاني**: قوة الألفاظ.

المبحث الثالث: مناسبة المفردة للبيئة والسياق

تعتبر بيئة الخطاب من العوامل الحاسمة في تفهمه وتعقله، وذلك بمعرفة الظروف المحيطة به والشروط التي كانت سببا في صدوره وخروجه للمتلقي، وكذلك السياق الذي قيل فيه الخطاب، لابد من معرفة الكلام الذي قيل قبله وبعد وفيه، وهو ماعرف بالسباق واللحاق والسياق.

المطلب الأول: الدلالة الصوتية للألفاظ الدالة على يوم " القيامة"

اختار القرآن الكريم الأَلفاظ الأكثر فخامةً والأَعظم وقعاً في النفس، مما يجعُل المتلقي يستوحي من تركيبها الصوتي مدى شدتها، ويجعل العقل يستنتج أَهميتها وأحقيتها في الباب، لقد سمّى القرآنُ الكريم الشيء الواحد بأسماءٍ متعددةٍ ذاتِ صيغةٍ واحدةٍ على نسقٍ صوتي متجانسٍ، وتركيب لفظي منسجم، وبتأمّلْ هذه الأَلفاظ ((الحاقة، الطَّامة، الصّاخة، القارعة)) يُلاحظ أَنّها متقاربةُ الصدى، وهذا ما وقف عليه علماء اللغة والتفسير،

وصف **عبد الكريم الخطيب** هذه الأصوات بأنها: ((أَصواتُ صارخةُ، مدمدمةُ، تُثيرُ الهول والفزعَ. بما تبعثُ من نُذُرِ الهلاكِ، والدَّمارِ، وما تحملُ من صُورِ الانقلابات الهائلةِ المروّعة، تكادُ هذه الكلمات تطرقُ الآذان حتى تنطبعَ في كيان سامعها انطباعاً لتناغم كلماتها، وتوازنِ آياتها، وتقابل معانيها، فإذا هي في كلِّ فم، وفي كلِّ بيت غناءُ وحداءُ، إِنَّها طلقاتُ راعدةُ، مدمدمةُ، مزلزلةُ، تملأُ الآفاقُ رُعباً وفزعاً"[1].

هذا الوصف من عبد الكريم الخطيب يوحي بالمعاني التي شعر بها بناء على ما تخصصه في اللغة وتذوقه لها، ومعرفته بأساليبها، بل هذا ما يشعر به كل قارئ لها في سياقها بادئ الأمر، وإن ألفاظاً مثل (الّحاقةُ، الطامةُ، الصّاخة، القارعةُ) وما قيل في تركيب أصواتها، وإيقاعها الموسيقي يتبادرُ

[1]. اعجاز القرآن ، عبد الكريم الخطيب، الكتاب الثاني ، 51.

الى أَذهاننا أَنَّ هناك أمراً عظيماً أُعِدّت لأَجلهِ هذه التراكيب، وأَنَّ هناك علاقةُ وثيقة بين هذه الالفاظ ودلالاتها.

أما قول الله سبحانه وتعالى :﴿**ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَ مَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ**﴾ (الحاقة2)، المعنى المعجمي للفظة يدور حول معان معينة هي: ((النازلة وهي الداهيةُ العظيمة ايضاً. الحقّة الداهيةُ"[1].**وقال الراغب الأصفهاني** بأن: "الحاقةُ: إشارةٌ إِلى القيامة، لأنّه يحقُّ فيها الجزاء"[2] .

وعليه: يتبيّن أَنَّ الحاقة اسمُ من اسماء القيامة، لأَنَّه يتحقق فيها الوعدُ والوعيد، لعظَّم اللهُ شأنها، حيث إن لها من المزّية الصوتية، والجرس والإِيقاع ما لا يخفى على أي متلقٍ بغض النظر إلى مستواه، فالحاقةُ: "بلفظها، وجرسها، ومعناها، تُلقي في الحسّ معنى الجدِّ والصّرامة، والحقِّ والاستقرار. وإِيقاع اللفظ بذاتهِ أَشبه برفع الثُقلِ طويلاً ثم استقرارهِ مكيّفاً، ورفعُهُ في مدّةِ الحاء بالألف، وجددُه في تشديد القاف بعدها، واستقراره بالانتهاء بالتاء المربوطة التي تنطق هاءً ساكنة"[3].

أما التحليل الصوتي فيوقفنا على كثير من الإِشارن المستنبطة منه، والتي تجعل وصول المعنى إلى النفس أعمق وتعقله أسهل، لأن مادةُ اللفظ الأَصلية مكوّنةُ من حرفين هما: الحاء والقاف (حق)، وبإمعان النظر في هذين الحرفين يستنتج أن: ((الحاءَ من أَقصى الحلق بعد العين، ولو لا بحةُ فيها لأَشبهت العين؛ لقربِ مُخرجِها من مخرج العين"[4]، وأما القافُ فقد رآها ابنُ جني من حروف "القلقلة"[5]،وقال **ابن جني**: "لأنك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت"[1].

---

[1] . ابن منظور،لسان العرب ج10ص54.

[2] . المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني، مصطفى البابي، مصر، 1381: 125.

[3] . السيد قطب، في ظلال القرآن ،دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط 2، ص71.

[4] - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) كتاب العين، محق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج1ص57.

[5] وهي القاف، والجيم، والطاء، والدال، والباء.

حين يجتمع في الكلمة حرفان: أَحدهما من أَقصى الحروف –بعد العين– مخرجاً، وآخرُ جَمَعَ الجهرَ والشدةَ، فلا غرابةَ أن يكونَ للكلمة وقعٌ خاصٌ يتنبّأ سامعُهُ شدَّتهُ، ويزيدُ ذلك وضوحاً تشديدُ القاف وتوسط الألف بين الحاء والقاف والأَلفُ، **قال ابن جني**: "تجد الحلق والفمَ معها منفتحين، غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر"[2]، فحرفُ قَصِيٌّ وآخر مشرأبُ مشددُ وثالثُ تفتحُ الحلقَ والفمَ وتُمدّهُ الى أَن تصل الى القرار وهي التاء الساكنة التي تنطق هاءً، تتجمعّ هذه الأَحرف لتعطيك أصواتاً موافقة لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة، وهذا من أَعظم الدلالات الصوتية في الشدّةِ، والتلاؤم البنيوي والمعنوي لمثل هذه الصبغة الحافلة"[3]، هذا إِذا كانت الصيغةُ مفردةً، جاءت مرةً واحدةً فكيف بها وهي تتكرر ثلاثُ مرّات متواليات؟!

أما قول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ**﴾(عبس 33)، فإن **الصاخة** هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء. وتقول: صخ الصوت الأذن يصخها صخا[4]، وعليه: فإنه يتضحُ أَنَّ القيامةِ وصفت بالصّاخة؛ لما في صوتها من شدةٍ تقرع الأَسماع وتحيلها صماء.

أما الآلوسي فقد رأى أن الصاخة هي: الداهية العظيمة من صخ بمعنى أصاخ أي استمع والمراد بها النفخة الثانية، ووصفت بها لأن الناس يصخون لها فجعلت مستمعة مجازا في الظرف أو الإسناد، وهي التي تورث الصمم وإنها لمسمعة[5]، وهذا المعنى يتفق مع قوله سبحانه وتعالى:

---

[1] . أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ): سر صناعة الإعراب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط:1421،1هـ–2000م،ج1،ص77.

[2] ـ أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ): سر صناعة الإعراب، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، ط: 1، 1421هـ–2000م، ج1ص21.

[3] . الصوت اللغوي في القرآن 170.

[4] . ينظر ابن منظور: لسان العرب،ج3ص33.

[5] . الألوسي:روح المعاني في تفسير القرآن، ج10 ص251.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلاَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ (طه105).

من هذا القول نلاحظ أَنَّه يُعطي الصاخة دلالةً أَعمق من الإرادة الصوتية المفردة، فالمنطقُ رُبَّما قصد به الأصوات الدالةَ على الفزع والهول التي ترافقُ صيحة القيامة، يقولُ **سيد قطب**:" وأنت تعلمُ ما في هذا اللفظ (الصاخة) من جرس عنيف نافذٍ، يكاد يخرقُ صماخَ الأَذنِ، وهو يشقُّ الهواء شقاً، حتى يصلَ الى الأُذن صاخاً ملحًّا"[1].

أما **القارعةُ**: قال سبخانه وةتعالى :﴿ٱلْقَارِعَه مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾(القارعة2)، فلفظ القارعة ليوم القيامة بقوله: ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم، ولذلك قيل ليوم القيامة القارعة. ويقال: قرعتهم قوارع الدهر أي أصابتهم[2]، والقرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق، سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتشار والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف[3].

[1]. السيد قطب، في ظلال القرآن ص56.

[2]. ابن منظور: لسان العرب،ج8ص265.

[3]. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ): : تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج9ص192.

فوضعت القارعة موضعها لأنها من أسماء القيامة وسميت بها لأنها تقرع الناس بفزع والأهوال ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بهاوما حل بهم بسبب التكذيب تذكيراً لأهل مكة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم"[1].

فحين اجتمع في الكلمة حرفان طُلقان ذوا جرسٍ ضخم، أَحدُهما من أدخل الحروف في الحلق وثانيهما (القاف) انفجاريٌّ شديدُ، مضافاً اليُهما حرفُ ثالثُ يُمدُّ الصوتُ معه وهو الأَلف، جعل هذا للكلمة وقعاً خاصاً لاسيما وهي تتكرر ثلاث مرّات متتاليان وهذا ما يقتضيه المقام، فاللفظة ذاتُ وقع خاص يُشاركُها معناها هذا الوقع. وبعد هذا القرع المدوّي يذكر تعالى المصيَر الذي ينتظرُ الناسَ وذلك بقولهِ سبحانه وتعالى: ﴿**يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٣ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ**﴾ (القارعة 4)، الفَراشُ: الجرادُ الذي ينتشر ، فإذا ثار لم يتجه الى جهة واحدة فهو مبثوث، وقد انتهت الكلمتان (الفراش، والمنفوش) بحرف الشين، وانتهت كلمة المبثوث بالثاء، وهذان الحرفان من حروف التفشّي والانتشار. وكأَنَّ القارعة إذا قُرِعتْ تفشّت وانتشرت في الآفاق"[2].

أما لفظة **الآزفةُ** فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ** ﴾(غافر 18)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**أَزِفَتِ ٱلآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِن**

[1] ـ أبو البرَكات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: 710هـ): تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م، ج3ص528.

[2] . ابن الطّحان مخارج الحروف وصفاتها ، تحقيق د.محمد يعقوب تركستاني، بيروت، 1984م ص91.

دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ (النجم57)، **قال ابن فارس**: (أزف) الهمزة والزاء والفاء يدل على الدنو والمقاربة، يقال: أزف الرحيل: إذا اقترب ودنا. قال الله تعالى: {**أزفت الآزفة**}، يعني القيامة"[1]

أما ابو حيان فقد قال: "ويوم الآزفة: هو يوم القيامة، يأمر تعالى نبيه أن ينذر العالم ويحذرهم منه ومن أهواله، والآزفة صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الآزفة، أو الطامة الآزفة ونحو هذا، فإنه إذ ذاك تزيغ القلوب عن مقارها من شدة الخوف، وقال يوم الآزفة: يوم المنية وحضور الأجل"[2] . والمقصود على العموم هو: قرب الساعة ودنو القيامة، وقيل: إن يوم الآزفة هو يوم حضور الموت، والأول أولى، وقيل لها آزفة لأنها قريبة، وإن استبعد الناس أمرها، وما هو كائن فهو قريب"[3].

أما **الواقِعَةُ**، قال سبحانه وتعالى :﴿**إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَـٰذِبَةٌ** ﴾ (الواقعة2)، قال **ابن منظور**: "الواقعة اسم من أسماء يوم القيامة، ، يقال لكل آت يتوقع قد وقع الأمر كقولك قد جاء الأمر"[4]، و**قال الزمخشري**: "وقعت الواقعة كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد القيامة: وصفت بالوقوع لأنها تقع لا محالة، فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بد من وقوعها، ووقوع الأمر: نزوله، يقال: وقع ما كنت أتوقعه، أى: نزل ما كنت أترقب نزوله"[5]، **وقال السمرقندي**: "يعني: قامت القيامة، وإنما سميت القيامة الْواقِعَةُ لثبوتها، وهي النفخة الآخرة"[6].

[1] . ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج1ص64.

[2] . ينظر أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج9 ص246.

[3] . أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ): فتحُ البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م، ج12ص173.

[4] . ابن منظور: لسان العرب، ج8ص403.

[5] . الزمخشري: الكشاف، ج4ص455.

[6] . السمرقندي: بحر العلوم، ج3ص390.

أما **الراجفةُ والرادفة** في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ**﴾ (النازعات7) ، فقد **قال الرازي** بأنها: "الهدة المنكرة والصوت الهائل من قولهم: رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا، وذلك تردد أصواته المنكرة وهدهدته في السحاب، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ** ﴾(الأعراف91)، فعلى هذا الوجه الراجفة صيحة عظيمة فيها هول وشدة كالرعد، وأما الرادفة فكل شيء جاء بعد شيء آخر يقال ردفه"[1].

قال ابن منظور: "هي النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية؛ قال أبو إسحاق: الراجفة الأرض ترجف تتحرك حركة شديدة، وقال مجاهد: هي الزلزلة، أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، قال: الراجفة النفخة الأولى التي تموت لها الخلائق، والرادفة الثانية التي يحيون لها يوم القيامة. وأصل الرجف الحركة والاضطراب"[2].

قال السيد قطب: "لو تدبّرت هذه الإيضاحات لبيان معنى الراجفة أَيُّ شعورٍ ينتابك وأنت تقرأها؟ الا ترى فيها ((إشعارُ القلب البشري حقيقة الآخرة الهائلة، الفخمة، العظيمة، الكبيرة، يوقع السياق إيقاعات منوّعة على أوتار القلب، وهذا الإيقاع الموسيقي راجف ، لاهث، كأنّما تتقطعُ به الأَنفاس من الذُعرِ والارتجاف والمفاجأة، والانبهار، وهذا الجو واجفُ ، مبهور، مذعور"[3].

هذه المعاني حملها لفظ الراجفة وهي كلُّها تدلُ على التحرك الشديد، ولا ريب أَنَّ ما ينتج عن الحركة الشديدة من هولٍ واضطراب ترافقه إرتفاعُ الأَصوات نتيجة الخوف والذعر فأصوات الحركة والاضطراب اتحدت مع أَصوات العباد لتعطينا الراجفة.

[1]. الرازي: مفاتيح الغيب، ج 31ص34.

[2]. ابن منظور: لسان العرب، ج9ص113.

[3]. السيد قطب: في ظلال القرآن، ص62

أما لفظ الغاشيةُ في قوله تعالى : ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ (الغاشية 1)، **قال ابن منظور**: "الغاشية القيامة لأنها تغشى الخلق بأفزاعها، وقيل: الغاشية النار لأنها تغشى وجوه الكفار. وغشاء كل شيء: ما تغشاه كغشاء القلب والسرج والرحل والسيف ونحوها"[1].

أمّا الزمخشري فقد ذكر الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها. يعنى القيامة"[2]، وفي هذا الصدد **قال محمد متولي الشعراوي**: الغاشية هي العقاب الذي يَعُمُّ ويُغطِّي الجميع؛ أم أنهم استبطئوا الموت، واستبطئوا القيامة وعذابها؛ رغم أن الموت مُعلَّق على رقاب الجميع، ولا أحد يعلم ميعاد موته"[3].

المطلب الثاني: قوَّة الألفاظ

تميز القرآن الكريم في كثير من السياقات بقوة ألفاظه، وهذا القوة ليست اعتباطا وإنما جاءت لأغراض أرادها القرآن الكريم، ولأهداف ونتائج أراد الوصول إليها، كمل في قوله سبحانه وتعالى:﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة 19). مما لا يخفى أَنَّ الآية المباركة تصف حال المنافقين حين أُحِيطت بهم أنواع المخاوف والأَهوال، وقد اعتمدت الآية المباركة ألفاظاً تُوحي بشدة ذلك الهول. مبتدئةً بلفظة (صيِّب)، **قال ابن منظور**:"الصيب هنا المطر،

[1]. ابن منظور: لسان العرب: ج15ص126.

[2]. الزمخشري: الكشاف، ج4ص741.

[3]. الشعراوي: تفسير الشعراوي، ج12ص745.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين، وكأن المعنى: أو كأصحاب صيب؛فجعل دين الإسلام لهم مثلا فيما ينالهم فيه من الخوف والشدائد"[1].

وفي هذا النسق **يقول الزمخشري**: "وتنكير صيب لأنه أريد نوع من المطر شديد هائل. كما نكرت النار في التمثيل الأول، وقرئ: كصائب، والصيب أبلغ. والسماء: هذه للمظلة. وعن الحسن:أنها موج مكفوف،والصيب لا يكون إلا من السماء"[2]، **وقال الطاهر بن عاشور**: "قوم أصابهم صيب معه ظلمات ورعد وصواعق لا يطيقون سماع قصفها ويخشون الموت منها وبرق شديد يكاد يذهب بأبصارهم وهم في حيرة بين السير وتركه"[3].

ومن الآيات الدالة على قوة اللفظ في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى : ﴿**وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُومِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ**﴾(الأعراف134) وقال سبحانه وتعالى:﴿**فَبَدَّلَ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ**﴾(الاعراف162).

عن هته الآيات **قال ابن منظور**: "والرجز: القذر مثل الرجس. والرجز: العذاب. والرجز والرجز: عبادة الأوثان، وقيل: هو الشرك، ومعنى الرجز في القرآن هو العذابُ المقلقل لشدته، أَولُهُ قلقلةُ شديدة متتابعة[4]، اما الفخرُ الرازي فقد رأى الرجز يزاد به أَسوأ العذاب"[5].

[1] . ابن منظور: لسان العرب، ج1ص534.
[2] . ينظر: الزمخشري، الكشاف،ج1ص82.
[3] . الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1ص321.
[4] . ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج5ص352.
[5] . الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج25ص193.

وما هو قريبٌ من هذا قولهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنصَابُ وَالاَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة 90)، ومن العقوبة التي خُصصت لمن يُشرك بالله، أَو لبيان عظم المصيبة قوله سبحانه وتعالى: ﴿حُنَفَآءَ لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَنْ يُّشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخَطَّفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾(الحج31).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَدْ مَكَرَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتِيهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾(النحل 26).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلاَّ دَآبَّةُ ٱلاَرْضِ تَاكُلُ مِنسَاتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾(سبأ 14).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾(ص24)

قال ابنُ منظور: خرر: "الخرير: صوت الماء والريح والعقاب إذا حفت، خر يخر ويخر خريرا وخرخر، فهو خار؛ قال الليث: خرير العقاب حفيفه؛ قال: وقد يضاعف إذا توهم سرعة الخرير في القصب ونحوه فيحمل على الخرخرة، وأما في الماء فلا يقال إلا خرخرة. والخرارة: عين الماء الجارية، سميت خرارة لخرير مائها، وهو صوته. ويقال للماء الذي جرى جريا شديدا"[1].

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب، ج4ص234.

أما في الآية الثانية ((فخرَّ عليهم السقف من فوقهم))، **قال الزركشي**: "ولفظة (خر) لأنها لا تستعمل إلا فيما هبط أو سقط من العلو إلى سفل، وقيل: إنما أكد ليعلم أنهم كانوا حالين تحته والعرب تقول خر علينا سقف ووقع علينا حائط"[1].

أما قولُه سبحانه وتعالى : ﴿**فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ**﴾، **قال الطبري**: "فلما خر سليمان ساقطًا بانكسار منسأته تبينت الجن، وقد تابعه على ذلك **القرطبي قائلاً**: إلى أن سقط ميتا لانكسار العصا لأكل الأرض إياها"[2].

وفي قوله سبحانه وتعالى : ﴿**وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ**﴾، **قال الاصفهاني**: "استعمالُ الخر تنبيهُ على اجتماع أَمرين: السقوط أَو حصولُ الصوتِ منهم بالتسبيح"[3]. ولاشك في ان الخرَّ الذي جاء في موضع التسبيح يكون مرافقاً للخوف والرهبة لعظم المسبَّحِ له . من التبيان السابق للفظة (خرَّ) معجميّاً أَو في السياق القرآني يتضحُ أن هذا اللفظ جاء بصيغة واحدةٍ في استعمالاتٍ عِدّة تدلُّ بمجملها على معنيين : معنى السقوط ، ومعنى الهوي من الأَعلى الى ما هو أَدنى منه، والسقوطُ والهويُ مصحوبان بصوتٍ يُنبئ عنهما، وليس أَيُّ صوت إِنَّما هو صوتُ الرياح الشديدة، أَو صوتُ تهدَّم البناء على من تحته، وصوت الانكسار الذي يُعْلِمُ الناس بنبأ موت النبي سليمان على نبينا وآله السلام، من هذا يتبيّن أَنَّ اللفظة لم تدلْ على السقوط فحسب بل تعدّته إلى أمرٍ آخرَ أوضحه أَحدُ الباحثين المعاصرين بقوله: ((فلم يُرَدْ مجرّد السقوط من خرَّ، وإِنَّما أُرِيَد الصوتُ مضافاً اليه الوقوع،

[1] ـ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، ج3ص67.

[2] ـ القرطبي، تفسير القرطبي، ج14ص287.

[3] ـ المفردات في غريب القرآن: ابو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق وضبط: محمد سَيِّد كيلاني، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، 1381هـ/ 1961م، ص144.

والوجبةُ في إحداث الصوت، وكانت هذه الإضافة دلالة صوتية سواء أكانت في صوت الماء، أم بالوقوع، أم التسبيح"[1].

ونحن تلاحظ الوقعَ والنغمَ اللذين احدثهما هذا اللفظ الذي اجتمع فيه حرفان: أَحدُهما من حروف الاستعلاء وهو الخاء"[2]، "ومخرجُهُ من أَقصى الحنك يتكوّن من احتكاك الهواء في الفراغ الضيّق الذي يولّدهُ اقتراب أَقصى اللسان من أَقصى الحنك، والحرف الثاني –الراء– وُصف بأنه طرقاتُ طرف اللسانِ على اللثة"[3]، وزاد تشديُد الراء اللفظ وقعاً وجرساً. فحرفُ عالٍ ومجاورُه طرقات طرف اللسانِ على اللثة ، فميزةُ الحرفين الصوتية من العلو. والطرقات تتوافق مع الدلالة المعجمية للفظ الخر.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِذَا كُنَّا عِظَٰماً نَّخِرَةً**﴾(النازعات11).**قال الآلوسي**: "نخرة من نُخَرَ العظمُ، اي: بلى وصار اجوفاً، تمرُّ به الريحُ فيسمعُ له خرير، اي: صوت"[4]، **وأما سيد قطب فقال**:"نخرة: يصوّتُ فيها الهواء"[5]، أي : حين اصبحت جوفاء ويمرُّ الهواء خلالها وتسمعُ صوت الهواء فذلك هو الخرير.

ومما لايخفى عليك أنَّ الله سبحانه ضرب العديد من الأَمثلة في كتابه العزيز وترك لنا استنتاج العبرة والمواعظة من ذلك المثل. فلنتأمّل معاً بعض أمثلة القرآن وما جاء فيها من الفاظ توحي على معناها من تركيبها الصوتي.

[1] ـ محمد حسين علي الصغير الصوت اللغوي في القران موسوعة الدراسات القرانية، دار المؤرّخ العربي، لبنان، ط1، 1420هـ/2000م، ص186.

[2] ـ ابو الفتح عثمان بن جني النحوي: سر صناعة الاعراب : ، تحقيق: مصطفى السقا، ومحمد الزفزاف، وابراهيم مصطفى، وعبد الله امين، الطبع والنشر، شركة مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي واولاده ، مصر ، ط1، محرّم 1374 هـ/ سبتمبر 1954 م، ص318.

[3] ـ محمود السعران: علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)،دار المعارف، مصر، 1962 م، ص194.

[4] ـ الآلوسي: روح المعاني، ج30ص28.

[5] ـ سيد قطب في ظلال القرآن،ص 26/25.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلِيهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَاتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِے هُوَ وَمَنْ يَّامُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(النحل76)

أَنعم النظر في قوله سبحانه وتعالى: ((كَلٌّ)) تجد اللفظة صارخة لها وقعُ ثقيل استعملها القرآن لإضاءة المعنى لما فيها من غلظةٍ وشدة أحدثهما صوتُ الكاف. والكافَ في العربية من الحروف الشديدة الانفجارية، وهو مهموس، وصوت اللام من حروف الأَسنان واللثة، وهو مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة"[1]. فحين اجتمع في الكلمة حرفان أَحدّهما مهموس ومجاورُه مجهور هذا يعني انه اجتمع صوتان مختلفان لكلٍّ منهما طبيعةُ خاصةُ، والجمع بين هذين الصوتين يقتضي أن يُعطي غضوَ النطق كلَّ صوتٍ حَقّهُ، وفي ذلك عُسِرُ لا يخفى، ((فإذا تألفت كلمة، وقد تجاور فيها صوتان أحدُهما مجهور والآخرُ مهموس، فما يزال احُدهما يؤثّر في الآخر حتى يصيرا مجهورين معاً، او مهموسين معاً"[2].

وحينَ تنْطقُ هذه الكلمة (كَلٌّ) تكون بين حرفين: أَحدهما تُجري الهواءَ معه- وهو المهموس، وآخر تحبس الهواء معه –المجهور- ويُزيد تشديد اللام اللفظة عسراً وغلاظة ومن هنا ((تُدرك سَرَّ اجتماع الكاف المهموسة، واللام المجهورة في هذا اللفظ، وما فيهما من عُسْرٍ يدلُّ على عُسْرٍ المعنى وغلطته"[3] .

[1] ـ ابو الفتح عثمان بن جني النحوي: سر صناعة الاعراب، ص69.

[2] ـ مهدي المخزومي : في النحو العربي ، قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث، تحقيق، مصطفى البابي، مصر، ط1، 1386ه، 1966م، ص8.

[3] ـ محمد حسين علي الصغير الصوت اللغوي في القران، ص191

يقول **علي الصغير**:"لقد عَمِدَ القرآن الى هذه اللفظة دون سواها لما حملته من شدّة وثُقل نتج من اجتماع حرفيها الكاف واللام فإطباق اللسان على اللهاة مع ضمِّ الكاف الى اللام المشددة ينجم عن ذلك رنّة في النفس، ووقع على السمع ، ليوحي من وراء ذلك بأنَّ هذا العبد سؤومُ لاخيرَ معه"[1].

ومن المثل القرآني الذي يُفيد العبرة قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(الزمر28). ونحن تلاحظ الآية المباركة قرّبت لنا صورة من صور الواقع، فهل الرجل المتشاكس يتساوى مع الرجل السوي؟ وفي هذا المثل عُمِدَ الى لفظة (متشاكسون) دون غيرها؛ لما فيها من إيحاء الى معنى أَراده المثل، ودلالة صوتية ما لم تحققها مفردةً سواها. فلننعم النظر في هذه اللفظة، **أَمّا الفخر الرازي فقال**:"المتشاكسون المختلفون العسرون، وهو رجلُ شكس، ويُقال: الليلُ والنهار متشاكسان، أي: إنّهما متضادان، إذا جاء أَحدّهما ذهب الآخر، وهما اللذان لا يتفقان"[2].

هذان البيانان يوضحان ما تحمل لفظة (متشاكسون) من شدة في الخصومة والجدل، وقد اختارها القرآن الكريم؛ لما رأى فيها من دلالة على التضاد وعدم الاتفاق مطلقاً بين الخصمين و "إنَّ الدلالة الصوتية لـ "متشاكسون" أَعطت معنى النزاع المستمر لمِا جمعته من حروف التّفشّي والصفير (السين والشين) تعاقباً تتخللهما الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمّدِّ والترنّم والتأثّر بالحالة، فأعطت هذه الأَحرف مجتمعةً نغماً موسيقياً خاصّاً حمّلها أَكثر من معنى الخصومة، والنقاش، بما أكسبها أَزيراً في الأذن يبلغ به السامع أَنَّ الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة، والعنف، والفزع

[1] ـ محمد حسين علي الصغير: الصورة الفنية في المثل القراني (دراسة نقدية وبلاغية): دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، 1981م،ص240.

[2] ـ الفخر الرازي: التفسير الكبير،ج26ص277.

من جهة، كما أُحيِطَ السَّمعُ بجرس مهموس معيّن ذي نبرات تؤثّر بالحس والوجدان من جهة أَخرى"[1].

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**مَثَلُ ٱلذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾(العنكبوت41)، **قال الزمخشري** : "وقد صَحَّ أَنَّ أوهن البيوت هو بيتُ العنكبوت، كما وإنَّ أوهن البيوت إذا استقريتها بيتاً بيتاً بيتَ العنكبوت، كذا أَضعف الأَديان إذا استقريتها ديناً ديناً عبادة الاوثان"[2]، **وقال الرازي**:"إشارة الى أنَّ كل بيت فيه اِمّا فائدة الاستظلال أَو غير ذلك، وبيتُه يضعفُ عن إِفادة ذلك، لأَنّه يخربُ بأدنى شيءٍ ولا يبقى منه عينُ أو أثر"[3].

من النصّين السابقين يتضحُ لنا الضعف المتناهي في البيت الذي يتخذه من يُشرك بالله وقد وُصِفَ هذا الضعفُ بقوله سبحانه وتعالى: (أوهن) "وهذا اللفظ يُعطي معنى الضعف وقد يحقق هذا المعنى كلمة (أَوهى) لكنَّ المثلَ استعمل (أوهن) دون سواها؛ لما يُعطيه ضم حروف الحلق وأَقصى الحلق الى النون من التصاق وانطباق وغُنّة لا تتأتى بضم الأَلف المقصورة اليها، حينئذٍ تصلُ الكلمةُ الى السمع وهي تحملُ لوناً باهتاً مؤكداً بضم هذه النون الى تلك الحروف لتُحدثَ وقعاً يُشعرُ بالضعف المتناهي لا مجّرد الضعفِ وحَده"[4].

فصاحب النص أَعطى أَوهن دلالةً أَعمق من أَوهى لما رآه من أَفضليّة النون على الأَلف المقصورة. وفي موضع آخر يُلاحظ تعليلُ لأَفضلية النون على الأَلف في لفظة (أوهن) وذلك التعليل

[1] ـ محمد حسين علي الصغير الصوت اللغوي في القران، ص167.
[2] ـ الزمخشري: الكشاف، ج3ص20.
[3] ـ الرازي: التفسير الكبير، ج25ص69.
[4] ـ محمد حسين علي الصغير: الصورة الفنية في المثل القراني ،ص239.

هو أحدثت النون وهي من الصوامت الأَنفية صدى وإيقاعاً لاتُحدثه الأَلف المقصورة، وهي صوت حلقي خالص لاغنّةَ فيه ولا ضغط ولا انطباق[1]"فقد جاء المثل القرآني حاملاً الألفاظ التي تؤدي الغرض المطلوب بأكمل وجه، فكما يتلاشى الجهد الضائع الذي تُبذله العنكبوت وهي تتخذ بيتاً ليست له مقوّمات البيوت في الوقاية ولا احكامها في العمِارة. ولم يكُ حال الإٍ شراك بعبادة الله أَحسنَ حالاً من بيت العنكبوت فدعوى العبادة دعوةٌ باهتة لا تعتمد على أساس. وهذه الصيغة القياسية التي انتهجها المثل في الاستدلال بقضية صغروية، وهي اثبات أَنَّ أَوهن البيوت بيت العنكبوت والنتيجة الحاصلة أَنَّ عبادتهم واهنة"[2].

ومن مواضع الذكر الحكيم التي حَذَّر تعالى عباده فيها من النفس البشرية التي أُلهمت التقوى والفجور قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا**﴾ (الشمس8)، وفي السورة ذاتها حذَّر تعالى عباده من اقتراب المعاصي التي نُهوا عنها والتي يستحقون على مخالفتها إنزال العذاب عليهم. ومن المعاصي التي نُهوا عنها عقر الناقة، فقد جاء هذا المعنى في الذكر الحكيم معتمداً أسلوب التحذير المعروف عند النحاة، قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا**﴾ (الشمس 13)، أنعم النظر في قوله سبحانه وتعالى:(**سوّاها**) ، (**تقواها**)، (**سقياها**) نلاحظ حرفي العلّة الواو والأَلف قد تجاورا في لفظتي (**سوّاها وتقواها**) كما تلاحظ الياء والأَلف تجاورا في قوله سبحانه وتعالى: (**سقياها**) ، وكلا الحرفين المتجاورين (الواو والأَلف والياء والأَلف) من أَحرف العلّة، وقد أُطلقا في الأَمثلة دون دوّي أَو ضوضاء، ووصلا إلى الأَسماع مؤثرين تأثيراً تلقائياً في الوضوح والصفاء.

[1] ـ محمد حسين علي الصغير الصوت اللغوي في القران، ص190.

[2] . ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني ص364.

يقول محمد حسين الصغير:"نجد استطالة هذين الحرفين: (الواو والألف)، (والياء مع الألف) في كلا الموضعين لا يَصدُّهما شيءُ صوتياً، وهما يتراوحان دلالياً في ألفاظ تحتكم الشّدة واللين. فالتذكيرُ بخلق النفس الإنسانية قسماً، الى جنب عملها في الفجور، والتقوى، والتحذير من الناقة الى جانب التحذير من منع السقيا"[1].

فكلُّ هذه المعاني اجتمعت باجتماع أحرف العلّة، وتتكرر الحالةُ ذاتُها في مجاورة الأحرف المتماثلة لكن هذه المرة في الصوامت فعندما نقرأ قولَّه سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ**﴾(هود10)، وقولَه سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ**﴾(الأنبياء 46)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾(الانبياء 83).

من هذا يتبيّن أَن لفظة (مسَّ) تُستعمل لما فيه المصابُ والأّذى، ولو تأملنا سويّةً هذه اللفظة نجد أَنها جمعت حرفين مهموسين أولهما مشدد وقد أَعطى الصوتان نغماً رقيقاً وأزيراً حالماً الى جنب الغلاضة والشدة الدلالية، **قال محمد حسين الصغير**: "فهذه اللفظة تجمعُ بين جرس الصوت الهادئ وبين وقع الأَلم الشديد، فالمسَّ يُطلق عادةً ويُراد به كلُّ ما ينال الأنسان من أذىً أو مكروه فصيغة (مسَّ) كلُّها دالةُ على شدة البلاء ووقع المصاب، وفرط الأَذى، وصوتُها رفيقُ رقيق يحمل معنى غليظاً دقيقا"[2].

[1] ـ محمد حسين علي الصغير الصوت اللغوي في القران، ص183.
[2] ـ المرجع نفسه، ص184.

وإذا تأملنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ ٱلذِے يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَانتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَاوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(البقرة275) نلاحظ التوافق بين الوصف وبين لفظة المس التي أُختيرت لذلك الوصف، لقد أَوضح أَحدُ الباحثين هذا التوافق بقوله: "إن الربا إذا أَكلوه تقلُ في بطونهم، وربا في أجوافهم فَجُعِل قيامُهم مثلُ قيام من يتخبّطه الشيطان تعثراً وتخبلاً"[1].

قال الهنداوي: "فقد أَوصل بين معنى المس الذي هو الجنون وبين التعثّر والتخبط. ومن المواضع التي اعتمدت لفظة (مس) للإيحاء الى شدة العذاب ما جاء على لسان سيدنا ابراهيم الخليل -عليه السلام- حين خَوَّف أباه عذابَ الله وذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيّاً﴾(مريم 45) فقد عَمَدَ إبراهيم الخليل عليه السلام إلى (مس) دون غيرها مثل (يصيبُك، يعاقبك) أو غير ذلك، وضمَّ هذه الكلمة إلى الرحمان، وكان ابراهيم الخليل يُخّوف أياه العذابَ الأَدنى لو عامله الله برحمته، فكيف إذا عامله بشدته وجبروته، على هذا النحو جاء التخويف من القليل فضلاً عن الكثير، وفي هذا المعنى من الشدة والغلاضة مما لايخفى على لبيب متأملّ"[2].

[1] ـ ليث طالب عيسى شبر أُطروحة دكتوراه ،استنباط المعنى عند العرب حتى نهاية القرن السابع للهجرة، كلية التربية للقائد للبنات/ جامعة الكوفة، اشراف الاستاذ الدكتور سعيد عدنان ، سنة 2002: ص151.

[2] ـ عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م، ص 179.

حذَّر الله سبحانَه وتعالى من يوم القيامة في كتابه العزيز في مواضع عدة وقد كان التحذير تارةً من دنو ساعتها، والتقرير بأَنها قريبة محيطةٌ بالعباد، وأحياناً يكون التحذير من كيفيّة حلول تلك الساعة او المظاهر التي تُنبئُ عنها. هذان المعنيان يستدعيان التأمّلَ في معانيها كثيراً. وفي هذا الموضع يُقتصر الباحث على بعض آيات الذكر الحكيم التي أفصحت عن علامات القيامة.

الفصل الثالث: ثراء وأثر معاني القرآن الكريم في البيان

المبحث الأول: تعدد المعاني في اللفظ القرآني.

- **المطلب الأول**: احتمال اللفظ لأكثر من معنى
- **المطلب الثاني**: احتمال السياق لأكثر من معنى
- **المطلب الثالث**: التكرار في القرآن الكريم

المبحث الثاني: الاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية

المطلب الأول: الإيحاء الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية

- **المطلب الثاني**: أثر دلالة الصوت على المعنى في اللفظة القرآنية

المبحث الثالث: أثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معانيها

- **المطلب الأول**: أثر إختلاف معاني اللفظ بسبب الزيادة أو النقصان
- **المطلب الثاني**: أثر اختلاف المعاني بالإفراد والتثنية والجمع
- **المطلب الثالث**: أثر تعدد معاني اللفظ القرآني
- **المطلب الرابع**: أثر حروف الجر في اختلاف معاني الألفاظ

المبحث الأول: تعدد المعاني في اللفظ القرآني.

- **المطلب الأول**: احتمال اللفظ لأكثر من معنى
- **المطلب الثاني**: احتمال السياق لأكثر من معنى
- **المطلب الثالث**: التكرار في القرآن الكريم

المبحث الأول: تعدد المعاني في اللفظ القرآني.

من خصائص اللفظة القرآنية أنها غالبا ما تتسع لأكثر من معنى، فذلك الثراء يكسبها قيما إضافية بالنسبة إلى معناها الأصلي، ولا ضير في ذلك لأن هذا الثراء لا يؤدي إلى غموض المعنى، وإنما يشير إلى التفاوت بين عدة معاني فالمعنى الأولي هو الذي يقبله السياق، وتشير إليه الدلائل اللفظية والحالية من خلال ما يتقدم ويتأخر من آيات قرآنية، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾(هود1)هي محكمة في لفظها مفصلة في معناها أو أحكمت بأنها لم تنسخ بكتاب ثم فصلت بالأحكام والعقائد والمواعظ والأخبار أو نزلت شيئا فشيئا"[1].

وقال البقاعي: أن معنى (أُحۡكِمَتۡ) دلت على عدة معاني متصل بعضها ببعض، ويفضي بعضها إلى بعض، إذ الأحكام تفيد الإجمال، وتفيد التفصيل، وتفيد الدقة، ويقول البقاعي عن هذا الإحكام والتفصيل وما يورثه من الثراء، أما قوله سبحانه وتعالى: (كِتَٰبٌ) أي عظيم جامع لكل خير، ثم وصفه بقوله سبحانه وتعالى: (أُحۡكِمَتۡ)بناه للمفعول بياناً لأن إحكامه أمر قد فرغ منه على أيسر وجه عنه سبحانه وتعالى وأتقن إتقاناً لا مزيد عليه، وقوله سبحانه وتعالى:(ءَايَٰتُهُۥ)أي أتقنت إتقاناً لا نقص معه فلا ينقصها الذي أنزلها بنسخها كلها بكتاب آخر ولا غيره، ولا يستطيع غيره نقص شيء منها ولا الطعن في شيء من بلاغتها أو فصاحتها بشيء يقبل، والمراد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ

[1] محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: 905هـ)تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ط: 1، 1424 هـ - 2004 م، ج 2ص162.

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(آل عمران7)، عدم التشابه، ولما كان للتفصيل رتبة هي في غاية العظمة، أتي بأداة التراخي فقال: {ثم} أي وبعد هذه الرتبة العالية التي لم يشاركه في مجموعها كتاب جعلت له رتبة أعلى منها جداً بحيث لم يشاركه في شيء منها كتاب وذلك أنه (فُصِّلَت) أي جعلت لها – مع كونها مفصلة إلى حلال وحرام وقصص وأمثال – فواصل ونهايات تكون بها مفارقة لما بعدها وما قبلها، يفهم منها علوم جمة ومعارف مهمة وإشارات إلى أحوال عالية، وموارد عذبة صافية، ومقامات من كل علة شافية، كما تفصل القلائد بالفرائد، وهذا التفصيل لم يشاركه في شيء منه شيء من الكتب السالفة، بل هي مدمجة إدماجاً لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها"[1].

كما يلاحظ أن لفظة: (كِتَٰب)جاءت نكرة موصوفة بجملة فعلية دلت على الحكام، ثم التفصيل مما يستفاد منه أن النكرة إذا وصفت عرفت ودلت على العموم، أي أن عموم ما جاء في " كتاب" يتراوح بين الإحكام والتفصيل، فالإحكام للدقة وإتقان الصنعة التي لا تضاهيها صنعة بشر، وفي ذلك دلالة على بلاغة وعلو منزلته وبعد غوره، وأما التفصيل بعد الإجمال فدل عل مختلف القضايا والأحكام الشرعية التي يتضمنها القرآن الكريم، والتي تستقيم بها الحياة استعدادا للآخرة.

ويقول الزرقاني في كتابه: "قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى ومعنى هذا إنك في كل من جمل القرآن تجد بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن يزيد اللفظ على المعنى أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير تجده قد جلى لك المعنى في صورة كاملة لا تنقص شيئا يعتبر عنصرا

[1] - إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج9 ص225.

أصليا فيها أو حلية مكملة لها كما أنها لا تزيد شيئا يعتبر دخيلا فيها وغريبا عنها، ولا يمكن أن تظفر في غير القرآن بمثل هذا الذي تظفر به في القرآن الكريم بل كل منطيق بليغ مهما تفوق في البلاغة والبيان تجده بين هاتين الغايتين كالزوج بين ضرتين بمقدار ما يرضي إحداهما يغضب الأخرى فإن ألقى البليغ باله إلى القصد في اللفظ وتخليصه مما عسى أن يكون من الفضول فيه حمله ذلك في الغالب على أن يغض من شأن المعنى فتجيء صورته ناقصة خفية ربما يصل اللفظ معها إلى حد الإلغاز والتعمية وإذا ألقى البليغ باله إلى الوفاء بالمعنى وتجلية صورته كاملة حمله ذلك على أن يخرج عن حد القصد في اللفظ راكبا متن الإسهاب والإكثار حرصا على أن يفوته شيء من المعنى الذي يقصده ولكن ينذر حينئذ أن يسلم هذا اللفظ من داء التخمة في إسرافه وفضوله تلك التخمة التي تذهب ببهائه ورونقه وتجعل السامع يتعثر في ذيوله لا يكاد يميز بين زوائد المعنى وأصوله"[1].

يشير قول الزرقاني إلى التوافق بين اللفظ والمعنى والسياق في القرآن الكريم، وتلك ميزة لا يستطيع أن يصل إليها أي بليغ مهما أوتي من قوة بيان، ونصاعة حجة.

وما ذكره الشنقيطي في تفسيره لقوله سبحانه وتعالى:﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلأَحْزَابِ ﴾(ص10) يفهم منه أنه لو تنطع جند من الأحزاب للارتقاء في أسباب السماء، أنه يرجع مهزوما صاغرا داخرا ذليلا، ومما يدل على أن الآية الكريمة يشار فيها إلى شيء ما كان يظنه الناس وقت نزولها إبهامه جل وعلا لذلك الجند بلفظة (ما) في قوله سبحانه وتعالى: (جُندٌ مَّا)، إشارته إلى مكان ذلك الجند أو مكان انهزامه إشارة البعيد في قوله: (هُنَالِكَ)ولم يتقدم في الآية ما يظهر رجوع الإشارة إليه، إلا الارتقاء في أسباب السماوات، فالآية الكريمة يفهم منها ما ذكرنا، ومعلوم أنها لم يفسرها بذلك أحد من العلماء، بل عبارات المفسرين تدور على أن الجند المذكور الكفار الذين كذبوه – صلى الله عليه وسلم –، وأنه – صلى الله عليه وسلم – سوف يهزمهم، وأن

[1] ـ الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2ص 324.

ذلك تحقق يوم بدر أو يوم فتح مكة، ولكن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل، وانه يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس، ولا مانع من حمل الآية على ما حملها عليه المفسرون، وما ذكرنا أيضا أنه يفهم منها لما تقرر عند العلماء من أن الآية إن كانت تحتمل معاني كلها صحيحة، تعين حملها على الجميع"[1].

في هذه الآية الكريمة إشارة إلى جند الكفار الذين حاربو الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر، وأن الله سبحانه وتعالى وصفهم بالمهزومين قبل وقوع الغزوة، وقوله سبحانه وتعالى: (جُندٌ مَّا)، إيغال في الإبهام والإشارة إليه إشارة إحتقار.

المطلب الأول: احتمال اللفظ لأكثر من معنى

إن ألفاظ القرآن الكريم ـ وإن كانت من صميم اللغة العربية ـ إلا أنها جاءت في معظمها خارجة عن قوانين وأساليب النطق العربي المعتمد في الجاهلية، لأنهم ألقوا أنماطا وأساليب من الكلام يرددونها في قصائدهم، وقليل من يخرج عن هذا الإيطار، أما ألفاظ القرآن الكريم فإنها تدور في فضاء رحب، وتحمل معاني شتى، فكان هذا الأمر مكمن الإجاز لديهم، وأبرز سبب فيه، وذلك بأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التي هي ظروف المعاني والحوامل ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلا أن يأتوا بكلام مثله"[2].

ومن أسباب احتمال اللفظ لأكثر من معنى ما يلي :

[1] ـ الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج2 ص257.

[2] ـ ينظر: الزركسي، البهان في علوم القرن، ج2ص102.

1 احتمال اللفظ لأكثر من معنى بسبب رجوعه إلى أصل واحد

تميز القرآن الكريم بخاصية الإعجاز، والإيجاز يقتضي معان غير متناهية، ومباني اللغة العربية طيعة لذلك بما تزخر به من خصائص، فتجد للفظ الواحد معان كثيرة بحسب السياقات واختلاف مقتضى الحال، ومن نماذج ذلك ما ذكره **ابن قتيبة** في كتابه: "تأويل مشكل القرآن"، مايلي :

1- لفظة" **الفرح**"

من معاني **الفرح**:"المسرة"، كما في قوله الله سبحانه وتعالى:﴿**هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾(يونس 22)فالفرح المراد به في هذه الآية هو" السرور"[1].

ويطلق الفرح ويراد به الرضا لأنه لازم السرور[2]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾(المؤمنون54) أي: راضون وأرجع الطبري عن الفرح هنا إلى أصله الأول وهو المسرة ولم يقل باللازم حيث قرر أن الفرحين بما لديهم هنا هم الذين فارقوا دينهم الحق فأحدثوا البدع التي أحدثوا بما لديهم فرحون وبها مستمسكون ومسرورون ويحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم[3]، وقال سبحانه وتعالى:﴿**فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم**

---

[1] ـ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)محق: د. مجدي باسلوم،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان،ط: 1، 1426 هـ – 2005 م،ج6ص28.

[2] ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن،محق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ص267.

[3] الطبري، جامع البيان، ج18ص498

﴿بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾(غافر82)أي رضوا.

ومن معاني **الفرح** كذلك : "البطر والأشر"[1]، لأن ذلك عن إفراط في السرور وهو سرور بالمعنى السلبي للكلمة ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾(القصص 76)، حيث أنزلت هذه الآية في بيان حال قارون الذي نسب العلم له، ولم ينسبه لله سبحانه وتعالى بطرا وأشرا، فنصحه قومه بألا يفرح هذا الفرح، لأنه مما لا يحبه الله سبحانه وتعالى[2]، وقال سبحانه وتعالى:﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾(هود10)وقال سبحانه وتعالى: ﴿**ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾(غافر74) . وقد تبدل (الحاء) في هذا المعنى (هاء) فيقال: فره أي بطر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَرِهِينَ**﴾(الشعراء149) أي: أشرين بطرين"[3].

يرد **ابن قتيبة** المعاني المتعددة للفظ الواحد في القرآن الكريم إلى أن لهذا اللفظ معنى أصلي ثم تتفرع منه المعاني.

2- لفظة: **"الفتح"**

[1]. ابن قتيبة،تأويل مشكل القرآن، ص 267.

[2]. الطبري، جامع البيان،ج18ص309

[3]. المصدر نفسه، ج18ص309

للفظة "**الفتح**" في القرآن الكريم معاني عدة من بينها: "النصر"[1]، كقوله سبحانه وتعالى:﴿**ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾(النساء141)، **قال الثعلبي**: فمعنى الفتح في هذه الآية النصر"[2] ،

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿**فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ**﴾(المائدة54)، قال **الخازن**:"والمعنى فعسى الله أن يأتي بالفتح لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على أعدائه وإظهار دينه على الأديان كلها وإظهار المسلمين على أعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنّه وكرمه فأظهر دينه ونصر عبده"[3].

ومن معانيه : القضاء، "لأن القضاء فصل للأمور، وفتح لما أشكل منها"[4]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ**

[1]. ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن،ص 268.

[2]. ينظر:الثعلبي ،الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج11ص51

[3]. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ج2ص53

[4]. ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن،ص269

﴿كَبَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾(السجدة: 29)، قال **حموش** يعني:"القضاء"[1] .

2 اشتمال كثير من ألفاظ القرآن على جوامع المعاني

جوامع المعاني تفهم من دلالات الألفاظ على معاني شتى يفي كل معنى منها بالقصد من اللفظ، ولا تتعارض هذه المعاني فيما بينها، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : إنما أوتيت جوامع الكلم، والمقصود الألفاظ القليلة في تأدية المعاني الغزيرة.

ومنه **قال الزرقاني**:" قصد القرآن في اللفظ مع وفائه بالمعنى ومعنى هذا إنك في كل من جمل القرآن تجد بيانا قاصدا مقدرا على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن يزيد اللفظ على المعنى أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ومع هذا القصد اللفظي البريء من الإسراف والتقتير تجده قد جلى لك المعنى في صورة كاملة لا تنقص شيئا يعتبر عنصرا أصليا فيها أو حلية مكملة لها كما أنها لا تزيد شيئا يعتبر دخيلا فيها وغريبا عنها بل هو كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَلٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾(هود1) . ولا يمكن أن تظفر في غير القرآن بمثل هذا الذي تظفر به في القرآن[2].

وفي تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿**سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ**﴾ (آل عمران133)، قال **الطنطاوي**:"من السرعة بمعنى المبادرة إلى الشيء بدون تأخير أو تردد، والكلام على حذف مضاف: أى سارعوا وبادروا إلى ما يوصلكم إلى ما به تظفرون بمغفرة ربكم ورحمته ورضوانه وجنته، بأن تقوموا بأداء ما كلفكم

[1] . مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين – الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة – على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الناشر: (المؤلف)، ط: 1، 1428 هـ - 2007 م، ج6ص125

[2] ـ الزُّرْقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن،ج2 ص324.

به من واجبات، وتنتهوا عما نهاكم عنه من محظورات"[1]. ولذا **قال البغوي**: جامعا لهذه المعاني: " بادروا وسابقوا إلى الأعمال التي توجب المغفرة"[2].

فلفظ المغفرة في قوله سبحانه وتعالى: "**سارعوا**" فسرها العلماء بمعاني كثيرة أهمها: الإسلام، المبادرة، والتكبير، والفريضة، فإن هذه المعاني كلها جاز اجتماعها في لفظ مغفرة من غير أن يكون فيما بينها اختلاف، والتعبير بالألفاظ الجامعة قد عده **السعدي** ضمن قواعده فقال:" وأما نفس ألفاظ القرآن الحكيم فإن كثيراً منها من الألفاظ الجوامع، وهي من أعظم الأدلة على أنها تنزيل من حكيم حميد وعلى صدق من أعطي جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً"[3].

ولنضرب لهذا أمثلة ونماذج فمنها: قوله سبحانه وتعالى:﴿**مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ**﴾(فصلت 46) ، وقوله سبحانه وتعالى:﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾(يونس26)، وقوله سبحانه وتعالى:﴿**هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ**﴾ (الرحمن 60) ،وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ**﴾، (الواقعة10) ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾،(النحل: 90)"[4].

---

[1] . محمد سيد طنطاوي محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، ط: 1،ج2ص261

[2] - عبد الله بن أحمد بن علي الزيد مختصر تفسير البغوي، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط: 1، 1416هـ ،ص 147.

[3] . أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت:1376هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض،ط:1، 1420 هـ - 1999 م، ص167.

[4] . المرجع نفسه، ص166.

وقال الثعلبي في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِالْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾(فاطر32) السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا. وقال مجاهد والحسن وقتادة: فمنهم ظالم لنفسه قالوا: هم أصحاب المشأمة، ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله هم السابقون المقربون من الناس كلهم. قال قتادة: فهذا في الدنيا على ثلاث منازل وعند الموت قال الله تعالى:﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾(الواقعة)"[1].

وفي الآخرة أيضا، قال عز وجل:﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجاً ثَلَٰثَةً فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(الواقعة12) قال: السابق: المؤمن المخلص، والمقتصد: المرائي، والظالم: الكافر بنعمة الله غير الجاحد لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال:﴿جَنَّٰتُ

[1] ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،ط: 1422، هـ - 2002 م، ج8ص109.

عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنَ آسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾(فاطر33)"[1].

3- احتمال اللفظ لأكثر من معنى بسبب الإشتراك

قد أشار **ابن عاشور** إلى وجه وقوع ذلك في أسلوب القرآن الكريم فقال:" ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز وهو متنافسهم وغاية تتبارى إليها فصحاؤهم، وقد جاء القرآن بأبدعه إذ كان- مع ما فيه من الإيجاز المبين في علم المعاني- فيه إيجاز عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينافيها اللفظ، فبعض تلك الاحتمالات مما يمكن اجتماعه، وبعضها إن كان فرض واحد منه يمنع من فرض آخر فتحريك الأذهان إليه وإخطاره بها يكفي في حصول المقصد من التذكير به للامتثال أو الانتهاء"[2].

ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله سبحانه وتعالى:﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(المدثر51)، **قال ابن الأثير**:"أفرت؟ قلت: نعم، قال: فمستنفرة إذن. قال ابن عباس وأبو موسى الأشعري وقتادة وعكرمة: القسورة: الرماة. وقال ابن عباس أيضا وأبو هريرة وجمهور من اللغويين: الأسد. وقال ابن جبير: رجال القنص، وهو قريب من القول الأول، وقاله ابن عباس أيضا. وقال ابن الأعرابي: القسورة أول الليل، والمعنى: فرت من ظلمة الليل، ولا شيء أشد نفارا من حمر الوحش، ولذلك شبهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفتها"[3].

4- احتمال اللفظ لاكثر من معنى حسب تنوع وروده

[1]. المصدر السابق: ج8ص109.

[2] - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج1ص121.

[3] - ابن حيان البحر المحيط في التفسير، ج10ص 339.

وأمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنَ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلَقَّفُ مَا يَأْفِكُونَ** ﴾(الأعراف 117)، **قال الطبري**: "وتأويلها وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك، فألقاها فإذا هي تلقف وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا"[1].

المطلب الثاني: احتمال السياق لأكثر من معنى

قد يرد اللفظ في سياق ما، ويراد به غير معناه الحقيقي، إما لتبيين مجمل أو رفع لبس، أو تخصيص عام، أو تقييد مطلق، او تنوع دلالة، إلى غير ذلك مما قد يؤول إليه المعنى العام المستنبط من السياق، فانظر إلى قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: "إن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة"، فلا يراد من خلال هذا القول أي معنى من المعاني الدالة عليها ألفاظه، وإنما يريد أن يقول: إن الحياة كد واجتهاد ولا مجال فيها للتكاسل.

وقال الزركشي:" دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع، بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ**﴾(الدخان49)كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"[2].

فكذلك قوله سبحانه وتعالى في هذه الآية لا يراد به أي معنى من معاني هذه الألفاظ، وإنما المقصود عكسها تماما أي أن المراد ذق عذاب جهنم فإنك حقير، وتنتظم ألفاظ السياق في مظاهر عدة أبرزها.

1 ارتباط الكلام بعضه ببعض في السياق القرآني

[1] - الطبري ، تفسير الطبري، ج10 ص358.

[2] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2ص200.

ومن امثلة ذلك قوله سبحانه وتعالى:﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ (الروم: 30)، **قال ابن عاشور**: "جملة لا تبديل لخلق الله مبينة لمعنى فطرت الله التي فطر الناس عليها فهي جارية مجرى حال ثالثة من الدين على تقدير رابط محذوف. والتقدير: لا تبديل لخلق الله فيه، أي في هذا الدين، فمعنى لا تبديل لخلق الله أنه الدين الحنيف الذي ليس فيه تبديل لخلق الله خلاف دين أهل الشرك، قال تعالى عن الشيطان:﴿**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا**﴾(النساء119)" [1].

ففي قوله سبحانه وتعالى: فأقم وجهك وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ ، لاحق بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾، وتفسير لتلك الفطرة على أنها هي الدين نفسه، كأنه قال لا تبديل لهذا الدين، وفي ذلك تنديد بالمشركين الذين عبثوا بسنة الله سبحانه وتعالى في الأديان السابقة تبديلا وتحريفا حسب أهوائهم وعواطفهم.

وقال ابن قيم عن قوله سبحانه وتعالى:" ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم 30) وهذا يعم جميع الناس فعلم أن الله سبحانه فطر الناس كلهم على فطرته المذكورة وأيضا فإنه أضاف الفطرة إليه إضافة مدح لا إضافة ذم فعلم أنها فطرة محمودة لا مذمومة كدين الله وبيته وناقته وأيضا فإنه قال فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها وأيضا فإن هذا تفسير السلف قال ابن جرير: "يقول فسدد وجهك نحو الوجه الذي وجهك الله يا محمد بطاعته وهي الدين حنيفا" يقول مستقيما لدينه وطاعته فطرة الله يقول صنعة الله خلق الناس عليها ونصب فطرة على المصدر معنى قوله فأقم وجهك للدين حنيفا لأن المعنى فطر الله الناس على ذلك فطرة قال وبنحو الذي قلنا

[1] ـ الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، ج 21ص 94.

في ذلك قال أهل التأويل ثم روى عن ابن زيد قال: "فطرة الله التي فطر الناس عليها قال الإسلام منذ خلقهم الله من آدم جميعا يقرون بذلك"[1]

وعن مجاهد: "فطرة الله قال الدين الإسلام" ثم روى عن يزيد بن أبي مريم قال عمر لمعاذ بن جبل فقال ما قوام هذه الأمة قال معاذ ثلاث وهن المنجيات الإخلاص وهو الفطرة فطرة الله التي فطر الناس عليها والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة فقال عمر صدقت وقوله لا تبديل لخلق الله يقول لا تغيير لدين الله أي لا يصلح ذلك ولا ينبغي أن يفعل قال ابن أبي نجيح عن مجاهد: "لا تبديل لخلق الله أي لدين الله" ثم ذكر أن مجاهدا أرسل إلى عكرمة يسأله عن قوله لا تبديل لخلق الله قال: "هو الخصا" فقال مجاهد: "أخطأ لا تبديل لخلق الله إنما هو الدين" ثم قال: "لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" وروى عن عكرمة: "لا تبديل الخلق الله قال لدين الله" هو قول سعيد بن جبير والضحاك وإبراهيم النخعي وابن زيد وعن ابن عباس وعكرمة ومجاهد: "هو الخصا" ولا منافاة بين القولين كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَءَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَءَلَاٰمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ**﴾ فتغيير ما فطر الله عباده من الدين تغيير لخلقه والخصا وقطع آذان الأنعام تغيير لخلقه أيضا ولهذا شبه النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما بالآخر فأولئك يغيرون الشريعة وهؤلاء يغيرون الخلقة فذلك يغير ما خلقت عليه نفسه وروحه وهذا يغير ما خلق عليه بدنه[2].

وعلى هذا فإنك تجد في القرآن الكريم ما يذكر مجملا ثم يلحقه ما يفسره أو العكس ما يذكر مفصلا ثم تعود الإشارة إليه مرة أخرى مثلا في قوله تعالى: قل تعالوا واتل فإن الآية دلت على مطلق التحريم ثم جاء التفصيل وهو تحريم الشرك والأمر بطاعة الوالدين ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل**

[1]. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 1398هـ/1978م، ج1ص 287.

[2]. المصدر السابقج1ص 287.

﴿لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيماً﴾(الإسراء23)، ما جاء منفيا بعد قوله سبحانه وتعالى:﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰناًۖ وَلاَ تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الأنعام151)، فهو المحرم، ومن جاء مثبة فهو المأمور به وعكسه المحرم.

2 أن يحتمل السياق المعنى على وجه المشابهة

أمثلة: قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۖ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(الصف5) يقول الله سبحانه وتعالى ذكره لنبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لقومه:﴿ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ ﴾حقا ﴿أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ﴾. وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۖ ﴾ يقول: فلما عدلوا وجاروا عن قصد السبيل ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۖ ﴾ : يقول: أمال الله قلوبهم عنه. وقد: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، قال: ثنا أبو غالب، عن أبي أمامة، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۖ ﴾ قال: هم الخوارج"[1].

وقال ابن عطية:" ثم ذكر الله تعالى مقالة موسى وذلك ضرب مثل للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون ذكرهم الله تعالى بقوم آذوا نبيهم على علم منهم بنبوته وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم، أي فاحذروا

[1]. الطبري: جامع البيان، ج22ص 612.

أيها المؤمنون أن يصيركم العصيان، وقول الباطل إلى مثل حالهم، وقال أبو أمامة: هم الخوارج، وقال سعد بن أبي وقاص: هم الحرورية، المعنى: أنهم أشباههم في أنهم لما زاغوا أزاغ الله قلوبهم"[1] .

هذه الآية لما نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يخبره الله سبحانه وتعالى بأن قوم سيدنا موسى آذوه وعصوه وهم يعلمون أنه رسول الله، فمثلهم في ذلك مثل قريش مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهم يعلمون علم اليقين أنه رسول الله، ومع ذلك كذبوه وعصوه وآذوه، وفي هذه الآية تأس لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما أصاب غيره من الأنبياء، فلما تمادى الكفار من قوم سيدنا موسى في طغيانهم زادهم الله زيغا وبعدا عن الحقيقة، فحق عليهم العذاب وأهلكوا غرقا، فليس كفار قريش أشد منعة ولا أقوى صولة من فرعون وجنوده، فهلاكهم أيسر ، ومصيبتهم أهون فليسوا بمعجزي الله سبحانه وتعالى في شيء.

وقال ابن كثير في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ**﴾(الأحقاف19)﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا. وقد تورع [أمير المؤمنين] عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، عن كثير من طيبات المآكل والمشارب، وتنزه عنها، ويقول: إني أخاف أن أكون كالذين قال الله تعالى لهم وقرعهم: ﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**﴾[2]، وقال البيهقي في فضائل سيدنا عمر رضي الله عنه: " وهذا الوعيد من الله سبحانه وتعالى، وإن كان للكفار، الذين يقدمون على الطيبات المحظورة ولذلك قال سبحانه وتعالى:

---

[1] - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5ص302.

[2] - أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ات: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، محق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2 1420هـ - 1999 م، ج7ص 284.

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾(الأحقاف19) فقد يحسن مثله، على المنهمكين في الطيبات المباحة، لأن من تعودها مالت نفسه إلى الدنيا فلم يؤمن أن يرتكب في الشهوات والملاذ، وكلما أجاب نفسه إلى واحدة منها دعته إلى غيرها، فيصير إلى أن لا يمكنه عصيان نفسه في هوى قط، وينسد باب العبادة دونه، فإذا آل الأمر به إلى هذا لم يبعد أن يقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيّبَـٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ فلا ينبغي أن تعود النفس ما يميل بها إلى الشره، ثم يصعب تداركها، ولترض من أول الأمر، على السداد، فإن ذلك أهون، من أن يضرب على الفساد، ثم يجتهد في إعادتها إلى الصلاح"[1].

الإقتصاد في الطيبات من الأرزاق يعصم عن الوقوع في المحرمات منها، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة

3 أن يحتمل السياق معاني يوحي بها لفظ ما.

مثال ذلك في قوله سبحانه وتعالى:﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾(القمر13)،ذات ألواح ودسر صفة السفينة، أقيمت مقام الموصوف هنا عوضا عن أن يقال: وحملناه على الفلك لأن في هذه الصفة بيان متانة هذه السفينة وإحكام صنعها. وفي ذلك إظهار لعناية الله بنجاة نوح ومن معه فإن الله أمره بصنع السفينة وأوحى إليه كيفية صنعها ولم تكن تعرف سفينة قبلها، قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَٱوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ آنَّهُۥ لَنْ يُّومِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدَ ـامَنَ فَلاَ تَبْتَبِيسْ بِمَا

[1] - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ) : شعب الإيمان، حقق عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط: 1، 1423 هـ - 2003 م، ج7ص 462.

كَانُواْ يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(هود36)، وعادة البلغاء إذا احتاجوا لذكر صفة بشيء وكان ذكرها دالا على موصوفها أن يستغنوا عن ذكر الموصوف إيجازا كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَاعْمَلُواْ صَٰلِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(سبأ 11) ، أي دروعا سابغات، والحمل: رفع الشيء على الظهر أو الرأس لنقله، وفي قوله سبحانه وتعالى:﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ ٱلاَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل 7) وله مجازات كثيرة، والألواح: جمع لوح، وهو القطعة المسواة من الخشب، والدسر: جمع دسار، وهو المسمار، وعدي فعل (حملنا) إلى ضمير نوح دون من معه من قومه لأن هذا الحمل كان إجابة لدعوته ولنصره فهو المقصود الأول من هذا الحمل"[1] .

وفسر الرازي قوله سبحانه وتعالى: وحملناه على ذات ألواح ودسر ،أي سفينة، حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، إشارة إلى أنها كانت من ألواح مركبة موثقة بدثر، وكان انفكاكها في غاية السهولة، ولم يقع فهو بفضل الله، والدسر المسامير[2].

فلفظتا: " ألواح، ودسر" أوحتا بمتانة السفينة وقوتها مع أنها مركبة من الألواح والمسامير، وقوله سبحانه وتعالى: ان اعمل سابغات فقد ذكر سابغات وهي صفة من صفات الذروع لما كانت هذه الصفة مختصة بذلك الموصوف فقط، وأمثلة ذلك كثيرة في كلام العرب.

4 أن يكون المراد من الآية معنى من المعاني، ويأتي السياق ليوسع دلالة هذا المعنى وغرضه

[1] ـ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج28ص 173.

[2] ـ الرازي مفاتيح الغيب، ج29ص 297.

مثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(الأعراف10)،**قال الزمخشري**: ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعنى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور، ثم صورناه بعد ذلك. ألا ترى إلى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية من الساجدين، ممن سجد لآدم"[1].

وقال ابن عطية في تفسير هذه الآية: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾، هذه الآية معناها التنبيه على موضع العبرة والتعجيب من غريب الصنعة وإسداء النعمة، فبدأ بالخلق الذي هو الإيجاد بعد العدم ثم بالتصوير في هذه البنية المخصوصة للبشر، وإلا فلم يعر المخلوق قط من صورة، واضطراب الناس في ترتيب هذه الآية لأن ظاهرها يقتضي أن الخلق والتصوير لبني آدم قبل القول للملائكة أن يسجدوا، وقد صححت الشريعة أن الأمر لم يكن كذلك، فقالت فرقة: المراد بقوله: ولقد خلقناكم ثم صورناكم آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه، وذلك لما كان سبب وجود بنيه بما فعل فيه صح مع تجوز أن يقال إنه فعل في بنيه"[2].

وقال أبوحيان في تفسير هذه الآية: "لما تقدم ما يدل على تقسيم المكلفين إلى طائع وعاص فالطائع ممتثل ما أمر الله به مجتنب ما نهى عنه والعاصي بضده أخذ ينبه على أن هذا التقسيم كان في البدء الأول من أمر الله للملائكة بالسجدة فامتثل من امتثل وامتنع من امتنع، وأنه أمر تعالى آدم ونهى فحكى عنه ما يأتي خبره فنبه أولا على موضع الاعتبار وإبراز الشيء من العدم الصرف إلى الوجود والتصوير في هذه الصورة الغريبة الشكل المتمكنة من بدائع الصانع والظاهر أن الخطاب عام لجميع بني آدم..... وقيل هو من تلوين الخطاب يخاطب العين ويراد به الغير فيكون الخطاب لبني آدم والمراد سيدنا آدم عليه السلام"[3].

---

[1] - الزمخشري جار الله ، الكشاف، ج2 ص89.

[2] . ابن عطية: المحرر الوجيز، ج2ص377.

[3] . أبو حيان: البحر تامحيط، ج5ص16.

وهكذا فاللفظ القرآني يحتل المكانة المركزية في السياق، ويحمل قوة دلالية توجه المعنى إلى جهو ما، إما عن سبيل القطع أو رفع اللبس، أو الإشارة، أو غير المنطوق، أو إكمال جهة ما بأوصاف توحي بالكمال، أو الجمال الدال على قدرة الله سبحانه وتعالى، وعظيم صنعته، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد خلقناكم﴾ فيه إيحاء إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق آبائهم، وأجدادهم بدء من سيدنا آدم عليه السلام، إلى زمنهم الذي عاشوا فيه، فليس الخلق ولا التصوير مقتصر عليهم، لذلك دلة الآية على عموم قدرة الله سبحانه وتعالى، وعلى حسن صنعته، وجمال خلقته التي أودعها في الإنسان.

المطلب الثالث: التكرار في القرآن الكريم

التكرار من الظواهر اللغوية التي كثرة في القرآن الكريم، ودلت على علو بلاغته وفصاحته اللتين يتحقق بهما الإعجاز، وقد ظن أناس من القدماء والمحدثين على السواء أن تكرير بعض ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه لا فائدة منه، كما أن الكثير من المستشرقين الذين يجدون في أنفسهم على الإسلام ونبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم استغلوا هذه الظاهرة ليطعنوا في القرآن الكريم، مدعين أنه كتب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد أطلق الصحابة رضي الله عنهم العنان لأنفسهم ليسجلوا فيه ما أرادوا، في حين أننا إذا تأملنا آية من القرآن الكريم ومواطن التكرار فيه، نجد أن كل ما جاء مكررا في موضع غير الموضع الأول يدل دلالة في موقعه لا يدل عليها اللفظ الأول، من ذلك مثلا أنك تجد قصص الأنبياء قد ذكرة في مواطن شتى من القرآن الكريم في كل موطن لها مغزى ودلالة تناسب السياق، وتختلف عن ما ذكر سابقا.

قال صاحب الطراز:" التكرير فى كتاب الله تعالى ظن بعض من ضاقت حوصلته، وضعفت بصيرته عن إدراك الحقائق، والتطلّع إلى مآخذ الدقائق أنه خال عن الفائدة، وأنه لا معنى تحته إلا مجرد التكرير لا غير، وهذا خطأ وزلل، فإن كتاب الله تعالى لم يبلغ حد الإعجاز فى البلاغة والفصاحة سواه من بين سائر الكلمات، ولو كان فيه ما هو خال عن الفائدة بالتكرير لم يكن بالغا هذه الدرجة ولا كان مختصا بهذه المزية، وأيضا فإن سائر الكلمات التى هى دونه فى الرتبة قد يوجد فيه

التكرير مع اشتمالها على الفائدة فكيف هو؟! ونحن الآن نعلو ذروة لا ينال حضيضها فى بيان معانى الألفاظ المكررة، فى لفظها ومعناها فى كتاب الله تعالى، ونظهر أنها مع أن تكريرها، إنما كان لمعان جزلة، ومقاصد سنيّة بمعونة الله تعالى"[1].

وقال الرازي: " أن كل من قال شعرا فصيحا في وصف شيء فإنه إذا كرره لم يكن كلامه الثاني في وصف ذلك الشيء بمنزلة كلامه الأول. وفي القرآن التكرار الكثير ومع ذلك كل واحد منها في نهاية الفصاحة ولم يظهر التفاوت أصلا[2]".

وقال الألوسي:" وأما التكرار اللفظي والمعنوي فلا يخلو عن فائدة لا تحصل من غير تكرار كبيان اتساع العبارة وإظهار البلاغة وزيادة التأكيد والمبالغة إلى غير ذلك مما قد أمعن المفسرون في تحقيقه وبيانه[3]"، وهذا ما يستفاد من قوله سبحانه وتعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَآءَ احَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ إِرْجِعُونِ لَعَلِّيَ أَعْمَلُ صَٰلِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِنْ وَّرَآئِهِم بَرْزَخٌ اِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾(المومنون 101) فقد اسند الفعل(**إِرْجِعُون**) إلى واو الجماعة، وكأنه قال: يا رب ارجعني ارجعني ارجعي، ملحا في ذلك، ضنا منه أن يعود إلى الحياة الدنيا ليعمل صالحا.

ومن أمثلة ذلك في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾(سورة المائدة95)، التكرار في قوله

---

[1] - يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه (ت: 745هـ): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت،ط: 1، 1423 هـ،ج2ص94.

[2] . الرازي: مفاتيح الغيب، ج2ص347.

[3] - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ط: 1، 1415 هـ، ج1ص31.

سبحانه وتعالى: ﴿ٱتَّقَوا﴾ يقتضي في كل واحدة زيادة على التي قبلها، وفي ذلك مبالغة في هذه الصفات لهم، وليست الآية وقفا على من عمل الصالحات كلها، واتقى كل التقوى، بل هي لكل مؤمن، وإن كان عاصيا أحيانا إذا كان قد عمل من هذه الخصال الممدوحة ما استحق به أن يوصف بأنه مؤمن عامل للصالحات متق في غالب أمره، محسن، فليس على هذا الصنف جناح فيما طعم مما لم يحرم عليه"[1] .

ويقول ابن عاشور مبينا وجه التكرار وجمال الترتيب:" وجملة ثم اتقوا وآمنوا تأكيد لفظي لجملة إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات وقرن بحرف ثم الدال على التراخي الرتبي ليكون إيماءا إلى الازدياد في التقوى وآثار الإيمان، كالتأكيد في قوله سبحانه وتعالى:﴿**كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ** ﴾(النبأ5) ولذلك لم يكرر قوله: وعملوا الصالحات لأن عمل الصالحات مشمول للتقوى، وأما جملة ثم اتقوا وأحسنوا فتفيد تأكيدا لفظيا لجملة ثم اتقوا وتفيد الارتقاء في التقوى بدلالة حرف ثم على التراخي الرتبي. مع زيادة صفة الإحسان. وقد فسر النبيء صلى الله عليه وسلم الإحسان بقوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . وهذا يتضمن الإيمان لا محالة فلذلك استغني عن إعادة وآمنوا هنا. ويشمل فعل، وأحسنوا الإحسان إلى المسلمين، وهو زائد على التقوى، لأن منه إحسانا غير واجب وهو مما يجلب مرضاة الله، ولذلك ذيله بقوله: والله يحب المحسنين"[2].

ومن مقاصد الآية في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ** ﴾**قال ابن جرير**: يقول تعالى ذكره

[1] - الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،ج2ص420.

[2] . طاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج7ص 36.

للقوم الذين قالوا إذْ أنزل الله تحريم الخمر بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالاَنصَابُ وَالاَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة93)كيفَ بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها؟ وبنا وقد كنّا نشربها؟ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك، في الحال التي لم يكن الله تعالى حرَّمه عليهم "إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات"، يقول: إذا ما اتقى الله الأحياءُ منهم فخافوه، وراقبوه في اجتنابهم ما حرَّم عليهم منه، وصدَّقوا الله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله،"وعملوا الصالحات"، يقول: واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربُّهم "ثم اتقوا وآمنوا"، يقول: ثم خافوا الله وراقبوه باجتنابهم محارِمه بعد ذلك التكليف أيضًا، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك والإيمان به، ولم يغيِّروا ولم يبدِّلوا،"ثم اتقوا وأحسنوا"، يقول: ثم خافوا الله، فدعاهم خوفُهم الله إلى الإحسان، وذلك"الإحسان"، هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافلُ تقرَّبوا بها إلى ربّهم طلبَ رِضاه، وهربًا من عقابه، والله يحب المحسنين"، يقول: والله يحب المتقرِّبين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها، فالاتقاء الأوّل: هو الاتقاء بتلقِّي أمر الله بالقَبُول والتصديق، والدينونة به والعمَل، والاتقاء الثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير= والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان، والتقرُّب بنوافل الأعمال.فإن قال قائل: ما الدليل على أنّ"الاتقاء" الثالث، هو الاتقاء بالنوافل، دون أن يكون ذلك بالفرائضِ؟ قيل: إنه تعالى ذكره قد أخبر عن وضعه الجناح عن شاربي الخمر التي شربوها قبل تحريمه إيّاها، إذا هم اتقوا الله في شربها بعد تحريمِها، وصدّقوا الله ورسوله في تحريمها، وعملوا الصالحات من الفرائض. ولا وجه لتكرير ذلك وقد مضى ذكرُه في آيةٍ واحدة"[1].

يفهم من التكرار في الآية السابقة بالإستناد إلى ما جاء في أقوال المفسرين أن الله سبحانه وتعالى يغفر لمن اتقى وأحسن، وقد قدم التقوى على الإحسان لأن الإحسان قد يصدر من الشخص

[1]. الطبري: جامع البيان، ج8ص ،665.

من غير تقوى، لسبب من الأسباب، وأما الإحسان الذي يريده الله سبحانه وتعالى من المؤمن، هو ذلك الإحسان النابع من التقوى الذي يملأ القلب بمخافة الله سبحانه وتعالى، ويأمر الجوارح بالطاعة والإمتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، فيصدر الإحسان من الجوارح بسبب تلك التقوى، ثم تكرر ذلك على سبيل التوكيد ، والإشارة إلى أنه قد يصدر من الشخص ما يخالف التقوى من الأعمال لسبب ما، فإذا رجع إلى الله سبحانه وتعالى وأناب، قبل منه التوبة والإحسان.

المثال الثاني:قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾(الرحمان11)، **قال صاحب الطراز**:فهذا تكرير من جهة اللفظ والمعنى، ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردها فى خطاب الثقلين الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها، أو ما يئول إلى النعمة، فإنه يردفها بقوله سبحانه وتعالى:﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾، تقريرا للآلاء، وإعظاما لحالها، ومن ذلك فى سورة القمر قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَلَقَد يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ** ﴾(القمر،18) وإنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين، والاتّعاظ بما أصابهم من المثلات، وحل بهم من أنواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا، لئلا تستولى عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذهول والنسيان، وهكذا ما ورد فى سورة المرسلات وغيرها، وإنما كرر ذلك لأنه لما ذكر يوم القيامة وأنه كائن لا محالة، ثم عدد هذه الأمور كلها، وأنها كالدلالة عليه، وما من واحدة منها إلا ويعقبها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ (المرسلات19) مبالغة فى الإنكار عليهم وتأكيدا لوقوع السخط والغضب لأجل تكذيبهم، وحذارا عن الإتيان بمثل ما أتوا به من إنكار هذا اليوم العظيم، وهكذا القول فيما ورد من الآيات المكررة، فإنها لم تتكرر إلا لمقصد عظيم فى الرمز إلى ذلك المعنى الذى سيقت من أجله، فليحكّ الناظر قلبه فى إدراك تلك اللطائف، وليجعلها منه على بال وخاطر، ولا يتساهل فى إحرازها

فيلمحها بمؤخر عينه، فإنها مشتملة على أسرار ورموز، ومن أحاط بها فقد أوتى من البلاغة مفاتيح الكنوز، هذا كله فيما تكرر لفظه مرات كثيرة، من آى التنزيل"[1].

لقد اشتمل القرآن الكريم على جميع العلامات والدلائل الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى وعظمته، وأن المتأمل في تكرار تلك الآية سيكتشف أسرارها، كلما أوغل في التأمل، ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ إستفهام انكاري يفيد الأمر بالتصديق والنهي عن التكذيب، أي هل هناك من الآي ما يمكن أن تكذبه وتبطله، فإذا لم يكن الأمر كذلك ووقفت عاجزا أمام هذه الآي فما عليك إلا التصديق بها، وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾ أفاد هذا الإستفهام الأمر بالتذكر في آي الله سبحانه وتعالى الدالة على عظمته، وكلتا الآيتين جاءت بعد ذكر آية، أو موعظة، أو أمر عظيم نبه الله سبحانه وتعالى إليه العقول ودعا إلى التدبر فيه، ومما قاله الباقلاني في هذا الوجه من الكلام جاء قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ**﴾(القيامة34).وقوله سبحانه وتعالى:﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(التكاثر4)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**﴾(الإنفطار18)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾(الشرح6).على أنه يحتمل أن يكون معنى قوله سبحانه وتعالى: (إن مع العسر يسرا) إن عسرا كان معه يسرا، ثم إن مع العسر يسرا عسرا آخر غير الأول.ويحتمل قوله سبحانه وتعالى:﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾(التكاثر4) إذا حضرتم وعاينتم، الملائكة، إذا حشرتم وحوسبتم، ورأيتم أهل الجنة وأهل النار فيكون ذلك في وقتين، ومتعلقا

[1] - يحي بن حمزة: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ج2ص95.

بشيئين.ووجة آخر في حسن التكرار من الله عز وجل، وهو أن في ذلك مرة بعد، مرة من التثبيت لرسوله عليه السلام والمؤمنين، والمواعظة والتخويف لهم والرغبة في طاعة الله والانزجار عن معصيته عند تكرار الكلام، وإعادة القصص وضرب الأمثال ما ليس في المرة الواحدة ولا شبهة على أحد في تعاظم النفع بتكرير الزجر والوعظ وعظيم موقعه من النفس وتوفيقه للقلب والتثبيت على طاعة الله، والإذكار لجنته وناره، قال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان32) .فأخبر أن إنزاله أجزاء ونجوما وتكراره عليه في الأوقات المتراخية تثبيتا له وللمؤمنين لأنهم إذا سمعوا ما أخبر الله سبحانه من إهلاكه العاصين وتنجيته المؤمنين كانوا أقرب إلى طاعته وأشد انزجارا عن معصيته. ووجه آخر في حسن ذلك، وهو أن الله سبحانه أنزل المتكرر في أوقات متغايرة، وأسباب مختلفة فحسن منه تكرار القصة للزجر والموعظة"[1].

التكرار سواء كان لحرف، أو للفظة، أو لآية، في القرآن الكريم لم يأت عبثا، ولا ملإ لفراغ، وإنما جاء لبيان أمر من الأمور، أو التأكيد عليه، أو لفت الأنظار، وتنبيه العقول إليه، ولا يكون ذلك إلا في موضع دقيق عظيم، كالتخويف من عذاب الله سبحانه وتعالى، والترغيب في رحمته ومغفرته، أو التشنيع من أمر مكروه، أو الدعوة إلى أمر محبوب.

[1] - محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ): الانتصار للقرآن، تحق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت،ط: 1، 1422 هـ - 2001 م، ج2ص801.

المبحث الثاني: الاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية

المطلب الأول: الإيحاء الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية

- **المطلب الثاني**: أثر دلالة الصوت على المعنى في اللفظة القرآنية

المبحث الثاني: الاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية

أول ما يلفت الانتباه هو خلوّ القرآن الكريم من التنافر في بنية كلماته، فأصواته كلها قامت على الائتلاف، هذا من جانب، ومن جانب آخر فقد سجّلت كلمات القرآن الكريم قمة التناسق بين أصواتها والمعاني المرادة لها، وهذا هو الجديد في الصوت القرآني : أن يوظف الصوت المفرد داخل الكلمة لخدمة المعنى المقصود، وإليك هذه الأمثلة.

المطلب الأول: الإيحاء الصوتي ودلالة على معاني اللفظة القرآنية

من ذلك التشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها ليدل على التردّي الجماعي، أو المبالغة في التثاقل، أو الاستعصاء على الهدى، من ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلِانسِ فِي ٱلنَّارِۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٞ لَّعَنَتْ أُخْتَهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابٗا ضِعْفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ قَالَ لِكُلّٖ ضِعْفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ**﴾(الأعراف38)، أصل الفعل (تداركوا) وقلبت التاء دالاً وأدغمت في الدال، فلما سكنت جيء بهمزة الوصل، والتشديد يوحي هنا بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إن اشتمال التشديد على سكون فحركة يدل على أن تزاحمهم في النار جعل بعضهم يعوق بعضاً قبل أن يتردوا فيها، فكأن النقطة التي تداعوا عندها كانت كعنق زجاجة[1].

ومن هذا أيضاً قوله سبحانه تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا**

[1]. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1ص150

﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾(التوبة38)، أيضاً ما يوحيه التفخيم من الإحساس بالمبالغة في الحدث أو الصفة، من ذلك قوله سبحانه وتعالى:﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً غَيْرَ ٱلذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾(فاطر37) فكأن ارتفاع الصوت بالصراخ ومشاركتهم جميعاً فيه وتكرار ذلك منهم لا يكفي أن يعبر عنه بالفعل المجرد (يصرخون)، فجاءت تاء الافتعال لتدل على المبالغة، وقصد لها أن تجاور الصاد المطبقة فتتحول بالمجاورة إلى ا لتفخيم (تصبح طاء) ليكون في تفخيمها فضل مبالغة في الفعل.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ (النجم22). و(ضيزى) تعني : جائرة ظالمة، لكن لفظ (ضيزى) جاء هنا ليحقّق غرضين هما: رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة، والثاني: الإيحاء . بماء في الضاد من تفخيم . إلى أن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه.

ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة19). و الصَّيِّب : النزول الذي له وقع وتأثير، ويطلق على المطر والسحاب، وتنكيره لما أنه أريد به نوع شديد هائل، كما أن الصاد المستعلية(المفخمة) والياء المشددة والباء الشديدة تدل على القوة والتدفق وشدة الانسكا،. وأن تكون هناك لفظتان مترادفتان، على وزن واحد، وكلتاهما حَسَنة في الاستعمال، إلاّ أنّ إحداهما قد تصلح لموضع دون أختها من جهة السّبك فَيُفَرَّق بينهما لهذا السبب. وهذا أمر لا يُدركه، كما يقول ابن الأثير، إلا من دَقّ فهمُه، وجَلّ نظرُه"[1].

[1] . ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1ص150

ويمثل له بقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ﴾(الأحزاب4)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(آل عمران35) « فاستعمل (**الجوف**) في الأولى و(**البطن**) في الثانية، ولم يستعمل (**الجوف**) موضع (**البطن**) ولا (**البطن**) موضع (**الجوف**). واللّفظتان سَواءٌ في الدلالة، وهما ثلاثيّتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضا، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف تفعل"[1]

و يمكن أن يكون السبب في هذا الاختيار عائداً إلى الدلالة الإيحائية لكلّ من هاتين اللفظتين، وذلك لأنّ مادّةَ كلٍّ منهما تختلف بعض الاختلاف عن مادّةِ اللّفظة الأخرى. فمادّة (**الجوف**) توحي بالضمور والخلوّ والانحسار والعُمق، وخاصة بِما يرسمه (الجيم) وبعده (الواو) الساكن ثم (الفاء) من دلالة إيحائية، على عكس مادّة (**البطن**) التي توحي بالنتوء والبروز والانكشاف، وهي أنسَب للحَمل من مادّة الجوف؛ فالجنين المكنَّى عنه بقوله تعالى على لسان مريم،﴿**مَا فِي بَطْنِي** ﴾ يناسبه كثيراً النتوء والبروز والانكشاف، مثلما هي حال (**الحامل**)، ويناسبه، تبعاً لذلك، لفظ (**بطن**) دون (**جوف**)"[2].

ويدخل في هذا الباب استعمال ألفاظ وردت في القرآن مجموعةً لا غير، وعُدل عن استعمال مفردها أو ما يرادفها، ويعزو ابن الأثير ذلك إلى الذوق السليم واصفاً إياه بقوله: « وهذا موضع

[1]. المصدر نفسه، ج1ص151.

[2]. العاكوب، عيسى، جَمالية المفردة القرآنية عند ضياء الدين بن الأثير: ص10.

عجيب لا يُعلَم كُنْهُ سِرِّه، فمن ذلك لفظة (اللُّبّ) الذي هو (العقل) لا لفظة اللُّبّ الذي تحت القشر، فإنها لا تَحسُن في الاستعمال إلا مجموعةً، وكذلك وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وهي مجموعة، ولم تَرِد مفردةً كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(ص29) وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر21) وأشباه ذلك، وهذه اللّفظة الثلاثية خفيفة على النطق، ومخارجها بعيدة وليست بِمُستَثقَلَة ولا مَكروهة" [1].

ويرصد **الرافعي** هذه الملاحظة من ابن الأثير فيعرِّج عليها ببيانه البديع مُحلِّلاً ومُفَسِّراً دون الاكتفاء بالتعليل الذي قدّمه سَلَفه مِن ردِّه إلى الذوق السليم فحسب، فيقول: « ومِمّا لا يَسَعه طوق الإنسان في نظم الكلام البليغ، ثم مِمّا يدلّ على أن نظم القرآن مادّة فوق الصنعة ومن وراء الفكر، وكأنها صُبَّت على الجملة صَبّاً أنك ترى بعض الألفاظ لم يأتِ فيه إلا مجموعاً، ولم يُستعمَل منه صيغة المفرد، فإذا احتاج إلى هذه الصيغة استعمل مرادفها: كلفظة (اللُّبّ) فإنها لم ترد إلاّ مجموعةً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ وقوله: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(إبراهيم52) ونحوهما، ولم تجئ فيه مفردةً، بل جاء في مكانها (القلب)؛ ذلك لأنّ لفظ (الباء) شديد مجتمع، ولا يُفضي إلى هذه الشِّدّة إلاّ من (اللاّم) الشديدة المستَرخِية، فلمّا لم يكن ثَمَّ فصل بين الحرفين يتهيّأ معه هذا الانتقال على نسبةٍ بين الرخاوة والشدة، تحسن اللفظة مهما كانت حركة الإعراب فيها؛ نصباً أو رفعاً

[1]. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1ص177

أو جرَّاً، فأسقَطَها من نظمه بتّة، على سعة ما بين أوله وآخره، ولو حَسُنت على وجه من تلك الوجوه لجاء بها حَسَنةً رائعة، وهذا على أن فيه لفظة (الجبّ)، وهي في وزنها ونطقها، لولا حُسْن الائتلاف بين (الجيم) و (الباء) من هذه الشدة في الجيم المضمومة" [1].

ويورد **ابن الأثير** أمثلة أخرى فيقول: "وإذا تأمَّلتَ القرآن الكريم ودقّقت النظر في رموزه وأسراره وجدتَ مثل هذه اللفظة قد رُوعيَ فيها الجمع دون الإفراد كلفظة (كوب) فإنها وردت في القرآن مجموعةً ولم تَرِد مفردةً، وهي وإنْ لم تكن مستَقبَحةً في حال إفرادها فإنّ الجمع فيها أحسَن"[2]

ثم إنه يورد عكس ذلك من استعمال القرآن للفظٍ مفردٍ، والعزوف عن استعمال جمعه فيقول: وفي ضدِّ ذلك ما ورد استعماله من الألفاظ مفرَداً ولم يَرِد مجموعاً كلفظة (الأرض)، فإنها لم تَرِد في القرآن إلاّ مفردةً، فإذا ذُكرَت (السماء) مجموعةً جِيء بها مفردةً معها في كلِّ موضع من القرآن، ولَمّا أُريدَ أن يُؤتَى بها مجموعةً قال: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ٱللَّهُ ٱلذِے خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلاَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلاَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدَ آحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً** ﴾(الطلاق12)"[3].

وقد عَلّل **الرافعي** سبب عدم قوله: "(وسبع أرضين) لهذه الجسْأة التي تدخل اللّفظ ويَختلّ بها النظم اختلالاً"[4].

ونظير ذلك مِمّا ورد من الألفاظ مفرداً فكان أحسن مِمّا يرد مجموعاً لفظة (البقعة)، قال الله سبحانه وتعالى في قصة موسى : ﴿**فَلَمَّآ أَتِيهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلاَيْمَنِ فِے ٱلْبُقْعَةِ**

[1]. الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص164.
[2]. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1ص277.
[3]. المصدر نفسه، ج1ص278
[4]. الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ص164.

﴿ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾(القصص30)، و

الأحسن استعمالها مفردةً لا مجموعةً وإن استُعمِلَت مجموعةً فالأَولى أن تكون مضافةً كقولنا: بقاع الأرض أو ما جرَى مَجراها"[1] .

المطلب الثاني :أثر دلالة الصوت على المعنى في اللفظة القرآنية

الكلمة القرآنية تنتقى في أحسن ما يكون من حيث تناسق الأصوات وئتلافها ما بين الرخاوة والشدة والهمس والجهر وغير ذلك من الصفات التي تعتري الأصوات حين ترد في تراكيب لغوية، ولذا وجدنا ألفاظ القرآن الكريم اتسمت بهذا الجمال الصوتي معتمدة في ذلك على حسن التأليف ، وجمال الائتلاف، وإن حلاوة القرآن الكريم وجماله نابعة من ألفاظه من حيث هي أصوات توحي إلى السمع بتأثيرات تجعل المعنى قريبا إلى فهم المتلقي، ولو أن ألفاظ القرآن الكريم تستوي كلها في الفصاحة، إلا أن الأساس في ذلك يكمن في انتقاء الأصوات المناسبة في تأدية المعنى في كل مناحيه، سعيا وراء الدقة في التصوير مع ما يتناسب والسياق والموقف، فالانتقاء يكون دلاليا بواسطة توظيف البنية الصوتية الدالة على المعنى بإيقاعها وجرسها وإيماءاتها، نتناول فيما يأتي بعض هذه الظواهر الصوتية التي تتردد كثيرا في القرآن الكريم وهي الثائي المضعف.

ورد في القرآن الكريم الكثير من الأصول اللغوية من باب الثنائي المضعف للتعبير عن المعاني المختلفة التي يتطلبها السياق القرآني، وهي التي يتكرر فيها " فاء الكلمة وعينها"، مثل كلمة: حصحص في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فَالَتِ إِمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ** ﴾(يوسف 51)، قال **ابن فارس**: "حَصْحَصَ الشَّيْءُ: وَضَحَ،وَمِنْ هَذِهِ الْحَصْحَصَةُ: تَحْرِيكُ الشَّيْءِ حَتَّى يَسْتَمْكِنَ وَيَسْتَقِرَّ"[2]، وتأتي الحصحص بمعنى المبالغة،

[1] . المرجع السابق :ص 164

[2] - ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة،ج2ص 12.

قال **ابن منظور**: يقال: حصحص الرجل إذا بالغ في أمره، وقيل: اشتقاقه من اللغة من الحصة أي بانت حصة الحق من حصة الباطل"[1].

يرى الكوفيون يرون أن العرب يبدلون صوتا بصوت إذا توالت الأمثال في مثل: وسّس، وحثّث ولبّب، أبدل الحرف الثاني من الأحرف المتماثلة بالحرف الأول من الفعل فيصبح وسوس، وحثحث، ولبلب، وهكذا، أما البصريون يرون أنهما لغتان: حصّص لغة، وحصحص لغة أخرى وينكرون تبادل الحروف إذا تباعدت مخارجها"[2].

يبدوا أن البصريين أقرب في آرائهم وطروحاتهم إلى منطق اللغة وطبيعتها في مسألة استبدال الأصوات اللغوية بعضها ببعض، والأمثلة على ذلك كثيرة في كلام العرب وفي القرآن الكريم، إذ يجري ابدال حرف بحرف فيما تقارب مخرجهما.

من المفسرين **الزمخشري** الذي يرى : "حَصْحَصَ الْحَقُّ أى ثبت واستقرّ وقرئ حَصْحَصَ على البناء للمفعول، وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة"[3].

وقال **السمعاني** في تفسيره: وَقَوله: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ﴾ وَفِي الْقِصَّة: "أَن النسْوَة لما أخبرن بِبَرَاءَة يُوسُف عَمَّا قرن بِهِ أقبلن على امْرَأَة الْعَزِيز يقرونها. وَرُوِيَ أَنَّهَا خَافت أَن يقبلن عَلَيْهَا ويشهدن عَلَيْهَا فأقرت وَقَالَت: الْآن حصحص الْحق. مَعْنَاهُ: تبين الْحق. وَقيل: مَعْنَاهُ: الْآن ظهر الْأَمر بعد الانكتام"[4].

كبكبوا

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ج7 ص16.

[2] ــ محمود بن عبد الرحيم صافي (ت: 1376هـ)،الجدول في إعراب القرآن الكريم، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط:4، 1418 هـ،ج13ص7.

[3] ــ الكشاف : ج2ص478.

[4] – أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)،تفسير القرآن لمحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط:1، 1418هـ- 1997م،ج3ص 38.

قال **ابن سليمان الرومي**:"كبكبوا؛ وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه"[1].

لقد عبر هذا الفعل بأصواته الكاف والياء المكررتين افضل تعبير عن تدافع الكفار ورتمائهم في نار جهنم، وقد جاء مبنيا لما لا يسمى فاعله، وذلك أبلغ في العبارة وأدق في التصوير على هذا المشهد الذي صور فيه القرآن الكريم أهل النار يتدافعون للدخول فيها، وكأنما يفعلون ذلك بأنفسهم.

وقال **الشوكاني**: "وَقِيلَ مَعْنَى كُبْكِبُوا: قُلِبُوا عَلَى رؤوسهم، وَقِيلَ: أُلْقِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَقِيلَ: جُمِعُوا، مأخوذ من الكبكبة وهي الجماعة قاله الْهَرَوِيُّ"[2].

كل هذه المعاني متقاربة سواء دلت على إلقاء بعضهم على بعض، أو طرح بعضهم على بعض، أو القائهم على رؤوسهم، كل ذلك أفاد الإذلال والمهانة التي ستنالهم في جهنم.

صرصر:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾(القمر19)، ويقول سبحانه وتعالى:﴿**وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**﴾(الحاقة6)، قال **الصاحب بن عباد**: "صَر الجُنْدُبُ يَصِرُ صَرِيراً، وكذلك البابُ إذا صَوَّتَ. فإذا كانَ فيه تَخْفِيْفٌ وتَرْجِيْع في إعَادَةٍ قيل: صَرْصَرَ الأخْطَبُ يُصَرْصِرُ، ورِيْح صَرْصَرٌ: ذاتُ صِرّ، وقيل: ذاتُ صَوْتٍ. وصَرَتْ أُذُني صَرِيْراً: من الصَوْتِ. ويقولون: "

[1] - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 8/5/، 1406ط:1 ،1407هـ- 1986م،ج3ص1034

[2] – الشوكاني فتح القدير،ج4ص124.

صَرَّ عليه الغَزْوُ اسْتَه " لِلَذي يَقَعُ في أمْرٍ لا يَقْوى عليه، والصَر: البَرْدُ. والصَّرَّةُ: الشَّتْوَةُ. والصَيَاحُ الشدِيْدُ"[1].

قال **الفراهيدي**:"وريحٌ صَرْصَرٌ: ذات صِرٍّ، ويقال: ذاتُ صَوْتٍ، والصَّرْصَرُ نَعْتٌ لها من البَرْدِ. والصِّرُّ: البَرْد الذي يضربُ كلَّ شيءٍ ويَحُسُّه"[2].

قال **الزمخشري**: "الصرصر: العاصفة التي تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل: الباردة التي تحرق بشدة بردها، تكرير لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض"[3].

قال **الطبري**:" إنا بعثنا على عاد إذ تمادوا في طغيانهم وكفرهم بالله ريحا صرصرا، وهي الشديدة العصوف في برد، التي لصوتها صرير، وهي مأخوذة من شدة صوت هبوبها إذا سمع فيها كهيئة قول القائل: صرّ، فقيل منه: صرصر"[4].

وقال **الطاهر ابن عاشور** في قوله سبحانه وتعالى:﴿**رِيحاً صَرْصَراً**﴾: "الصرصر: الريح العاصفة التي يكون لها صرصرة، أي دوي في هبوبها من شدة سرعة تنقلها"[5]

وفي تفسير **الرازي** قال: وَفِي الصَّرْصَرِ قَوْلَانِ أحدهما: أنها العاصفة التي تصرصر أن تُصَوِّتُ فِي هُبُوبِهَا، وَفِي عِلَّةِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ وُجُوهٌ قِيلَ إِنَّ الرِّيَاحَ عِنْدَ اشْتِدَادِ هُبُوبِهَا يُسْمَعُ مِنْهَا صَوْتٌ يُشْبِهُ صَوْتَ الصَّرْصَرِ فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الرِّيَاحُ بِهَذَا الِاسْمِ وَقِيلَ هُوَ مِنْ صَرِيرِ الْبَابِ، وَقِيلَ مِنَ الصَّرَّةِ وَالصَّيْحَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ**

---

[1] – إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: 385هـ)، المحيط في اللغة، ص 150

[2] – أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، ج7 ص82.

[3] . الزمخشري، الكشاف، ج4ص193

[4] – الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، ج22،ص585.

[5] – المرجع السابق، ج24 ص255.

عَقِيمٌ﴾(الذَّارِيَاتِ29) وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا الْبَارِدَةُ الَّتِي تُحْرِقُ بِبَرْدِهَا كَمَا تُحْرِقُ النَّارُ بِحَرِّهَا، وَأَصْلُهَا مِنَ الصَّرِّ وهو البرد قال تعالى:﴿**مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾(آل عمران117)"[1]

ففي لفظة "صرصر"، أي صيغة "فعلل" تكرار لصوت الصاد والراء، وفي الصاد صفير، وفي الراء تكرار إنفجاري، وذلك يوحي بقوة الريح وضراوتها.

أما لفظ عسعس:في قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ** ﴾(التكوير17)، قال **الزجاج** يقال:" عَسْعَسَ الليل إِذَا أَقْبَلَ، وعَسْعَسَ إذا أَدْبَرَ، والمِعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره"[2].

وقال **ابن منظور**: "عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر،والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أوله وإدباره في آخرة؛ وقال ابن الأعرابي: العسعسة ظلمة الليل كله، ويقال إدباره وإقباله. وعسعس فلان الأمر إذا لبسه وعماه، وأصله من عسعسة الليل. وعسعست السحابة: دنت من الأرض ليلا؛ لا يقال ذلك إلا بالليل إذا كان في ظلمة وبرق"[3].

قال **أحمد ياسوف**: "وقد وردت هذه المادة في موضع واحد من القرآن الكريم وصفا لليل. قال الله

---

[1] ـالرازي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج27ص552.

[2] – إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت،ط:1، 1408 هـ - 1988 م، ج5ص292.

[3] . لسان العرب ج6 ص 139.

سبحانه وتعالى: :﴿**وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**﴾، فالهمس يتجسّد في تكرير السين، وهو يناسب الليل، فكأن (**عسعس**) ترسم الأجواء الليلية الهادئة"[1]،

قال **أحمد الراغب**: "الليلة التي يطبق فيها الصمت المخيف على كل شيئ حتى لكأنك تسمع لهذا الصمت صوتا غريبا أجش، والعسعس في كلام العرب الذين يعسون ليلا أو يحرصون، قال ولفظ عَسْعَسَ بجرسه المؤلّف من ثلاث مقاطع يوحي بهذه الحركة الهادئة البطيئة لدخول الليل، ويرسم الظلال الكونية المتدرجة المصاحبة لدخوله"[2].

كل لفظ من هذا النوع فيه تكرير للصوت فإن الدلالة فيه تتكرر أيضا للزيادة في المعنى وإظهاره.

رفرف:من قوله سبحانه وتعالى:﴿**مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾(الرحمن76) "رَفْرَف الأيكة –بالفتح: ما تهدَّل من غصونها. والرَفْرَف: الشجر الناعم المسترسل، وكِسْر الخِباء أو نحوه: خِرْقَة تخاط في أسفل السرادق والفسطاط ونحوه. وشجر رَفِيف: إذا تندَّى. وشجر رَفَّافُ الوَرَق وقد رَفَّ، وهو أن يهتز نضارة أو خضرة وتلألؤًا تلالأ وأشرق ماؤه. ويقال للشيء إذا كثُر ماؤُه من النَعْمة والغَضَاضة حتى كانَ يهتز: رَفَّ رفيفًا. ويقال هو يَرِفُّ رَفِيفًا: يَقْطُر نَدَاه. وكل مُسْترَقٍّ من الرمل رَفٌّ"[3] .

قد جاء في الآية السابقة قوله سبحانه وتعالى: :﴿**مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**﴾، صفة لمحذوف دل عليه الكلام السابق وهو ثياب خضر ونحوها، وكل ما فيه

---

[1] – أحمد ياسوف: جماليات المفردة القرآنية،ج1ص88.

[2] – عبد السلام أحمد الراغب، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط:1، 1422 هـ - 2001 م،ج1ص215.

[3] – محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: 1، 2010 م،ج2ص826.

اهتزاز ونضارة ونعمة، وحذف الموصوف هنا أبلغ من التصريح به لدلالة على كل معاني النعمة والتمتع والتفيؤ في ضلال الجنة.

زحزح: في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ**﴾(آل عمران185)، قال **ابن فارس**:"(زَحَّ) الزَّاءُ وَالْحَاءُ يَدُلُّ عَلَى الْبُعْدِ. يُقَالُ زُحْزِحَ عَنْ كَذَا، أَيْ بُوعِدَ"[1].

قال **ابن منظور**:" زحزح أي نحي وبعد. وزح الشيء يزحه زحا: جذبه في عجلة. وزحه يزحه زحا، وزحزحه فتزحزح: دفعه ونحاه عن موضعه فتنحى وباعده منه، ويقال: هو بزحزح عن ذلك أي ببعد منه. الأزهري: قال بعضهم هذا مكرر من باب المعتل، وأصله من زاح يزيح إذا تأخر"[2].

وردت هذه المادة في موضعين من القرآن الكريم؛ إذ جاءت في الموضع الأول بصيغة الفعل الماضي المبني لما لم يسم فاعله في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ**﴾، ففي الزحزحة تكرير للزح الذي يعني الجذب بعجلة، فمن تخلص من العذاب ووصل إلى الثواب فقد فاز بالمقصد الأقصى والغاية التي لا مطلوب بعدها وجاءت في الموضع الثاني بصيغة اسم الفاعل الزحزحة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ**

[1] – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، ج3 ص7.

[2] لسان العرب ج2 ص 468

حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلذِينَ أَشْرَكُوٓاْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(البقرة96) ، قد أفادت الزحزحة هنا تكرار الفعل زح.

توقفنا في هذا المبحث عند بعض الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم، ذلك الاستعمال البليغ الذي يطفح بالفصاحة، ويشد إليه انتباه السامع لما به من مظاهر الاعجاز، وميزات التكبيت، الذي لا يدع للسامع شكا بأن هذا القرآن الكريم معجز في لفظه، ومعناه وفي سائر أوضاعه.

المبحث الثالث: أثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معانيها

- **المطلب الأول**: أثر إختلاف معاني اللفظ بسبب الزيادة أو النقصان
- **المطلب الثاني**: أثر اختلاف المعاني بالإفراد والتثنية والجمع
- **المطلب الثالث**: أثر تعدد معاني اللفظ القرآني
- **المطلب الرابع**: أثر حروف الجر في اختلاف معاني الألفاظ

المبحث الثالث: أثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معاني اللفظة القرآنية

انتقيت ألفاظ القرآن الكريم بعناية فائقة، واستعملت أساليبه استعمالا راقيا ينبؤ عن دقة المعنى وبديع الحكمة، ويرى **السيوطي** أن طريقة القرآن الكريم في اختياره للألفاظ التي تتصرف على عدة وجوه من أعظم مظاهر الإعجاز فيقول: "وهذا الوجه من أعظم إعجازه، حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهاً، وأكثر وأقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر." [1]

وتلقف **الرافعي** هذا المعنى من السيوطي وعليه مبينا تلك الدرجة الرفيعة التي يتميز بها القرآن الكريم فقال: " وإنك لتحار إذا تأملت تركيب القرآن الكريم ونظمَ كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرف فيها ، وتقعد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك، وأجمع لما في نفسك، وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز، وما عسى أن تقول في كلام ترى للفظ من الألفاظ فيه معنى، ثم ترى كأن لهذا المعنى في التركيب معنى آخر، هو الذي يفيض على النفس ويتصل بها، فكأنه كلام مداخل، وكأن اللغة فيه لغتان، ثم ما أنت قائل في كلام جاء من الإبداع في التأليف ومن وجوه التفنن في تلوين المعاني بعيث نفى العربَ جميعا عن لغتهم، وهي في أرقى ما اتفق لهم من الصور اللغوية، واستبد بها دونهم، واستغرق كل ما جاء به من محاسن البيان، حتى لم يدع لمن يقابل بينه وبين كلامهم إلا حكما واحدا تنتهي إليه المقالة من أي جهاتها سلك، وهو أن العرب أوجدوا اللغةَ مفرداتٍ فانية، وأوجدها القرآن الكريم تراكيبَ خالدة".[2]

لقد استطاع **الرافعي** من خلال هذا القول أن يبين بأن القرآن الكريم في تنوع تراكيبه واختلاف أوجه آدائه أخذ بتلابيب اللغة العربية فصاغ منها بيانا لم يقدر الفصحاء من العرب على

[1]- السيوطي: معترك الأقران، ج1 ص 387.

[2]. الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 170.

مجاراته أو الاتيان بمثله إلا أن يقف أمامه عاجزين مبهورين بآداء ألفاظه وكلماته وأصواته، ومن هنا فإن القرآن الكريم قد فتق طاقات اللغة العربية وصنع منها لغة غير اللغة التي ألفوها.

وفيما يأتي سنعرض بعض أوجه بناء الكلمات من حيث الزيادة أو النقصان في عدد حروفها، أو من حيث الحذف والذكر، أو من حيث التعريف والتنكير، وأثر تعدد أوجه المعاني للفظة الواحدة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: أثر إختلاف معاني اللفظ بسبب الزيادة أو النقصان

من روائع البيان القرآني المعجز أنه يحذف حرفا من بعض ألفاظه في موضع، ويذكره في موضع آخر. وحذف هذا الحرف ليس حذفا " اعتباطيا"، كما أن ذكره ليس مصادفة عشوائية، إنما يكون حذفه لحكمة تتفق مع السياق، وذكره في الموضع الآخر لحكمة مقصودة تتفق مع السياق أيضا، فالسباق حَكَم في الزيادة أو النقصان وهذه بعض الأمثلة نعلل فيها حكمة الزيادة أو النقصان في أصوات الكلمة الواحدة.

الفرق بين " استطاعوا " وَ " اسطاعوا " قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا**﴾(الكهف93)، قال **السامرائي**: "زيادة التاء في فعل استطاع تجعل الفعل مناسباً للحث وزيادة المبنى في اللغة تفيد زيادة المعنى، والصعود على السدّ أهون من إحداث نقب فيه لأن السدّ قد صنعه ذو القرنين من زبر الحديد والنحاس المذاب لذا استخدم اسطاعوا مع الصعود على السد واستطاعوا مع النقب. فحذف مع الحدث الخفيف أي الصعود على السد ولم يحذف مع الحدث الشاق الطويل بل أعطاه أطول صيغة له، وكذلك فإن الصعود على السدّ يتطلّب زمناً أقصر من إحداث النقب فيه فحذف من الفعل وقصّر منه ليجانس النطق الزمني الذي يتطلبه كل حدث"[1].

[1]. فاضل السامرائي: لمسات بيانية، ج1،ص65

أما عدم الحذف في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾(الكهف77) وحذف التاء في الآية:﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً** ﴾ (الكهف81) لأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل أما في الآية الثانية فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها الخضر بكلمة وفارق موسى عليه السلام فاقتضى الحذف من الفعل"[1].

وقال **السامرائي** أيضا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً**﴾ (الكهف93) هذه من الحذف للتقليل من الفعل كما ذكرنا سابقاً. استطاعوا تحتاج إلى جهد لنقب السدّ أما اسطاعوا فهي للصعود على ظهره وبالتأكيد أن إحداث نقب في السد المصنوع من الحديد والنحاس أشدّ من الصعود على ظهره ويستغرق وقتاً أطول فحذف من الفعل الذي مدته أقل وذكر في الحدث الممتد"[2].

إن هذا التعليل يعتمد فيه على أصوات الكلمة، فلفظ استطاعوا باستطالة زمن النطق فيه دل على الثقل، والجهد المبذول، ولفظ اسطاعوا بحذف تائه ونطق السين فيه مفخمة لتأثير صوة الطاء فيها، وجاء النطق به خفيفا ليدل على خفة الحركة.

وأما "تنزل " وتتنزل "في قوله سبحانه وتعالى:﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ**﴾(سورة القدر4) وقوله سبحانه وتعالى :﴿**هَلْ انَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ**

[1] -.المرجع نفسه، ج1ص65

[2] – المرجع السابق: ص 462.

﴿ٱلشَّيَٰطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾(الشعراء223)، فقال في هذه الآيات (تَنَزَّلُ)، في حين قال سبحانه وتعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(فصلت30)، فقال سبحانه وتعالى في آيتي القدر والشعراء:(تَنَزَّلُ) بحذف إحدى التائين، وقال في سورت فصلت(تَتَنَزَّلُ) من دون حذف، وذلك والله أعلم أن التنزل في آية (فصلت) أكثر مما في الآيتين الآخرين، ذلك أن المقصود بها أن الملائكة تنزل على المومنين عند الموت لتبشرهم بالجنة"[1].

وقال **صاحب المناهج**: "هذا يحدث على مدار السنة في كل لحظة، ففي كل لحظة يموت مؤمن مستقيم فتتنزل عليه الملائكة لتبشره بالجنة، فأعطى الفعل كل صيغته ولم يحذف منه شيئا، وأما آية الشعراء، فإن التنزل فيها أقل لأن الشياطين لا تتنزل على كل الكفرة، وإنما تنزل على الكهنة أو على قسم منهم، وهم الموصوفون بقوله سبحانه وتعالى :(تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ)(الشعراء) ولا شك أن هؤلاء ليسوا كثيرا في الناس وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم، بل هم قلة فاقتطع من الحدث، فقال الله سبحانه وتعالى: (تَنَزَّلُ) بحذف إحدى التائين، وكذلك ما في آية سورة القدر، فإن تنزل الملائكة إنما هو في ليلة واحدة في العام، وهي ليلة القدر فهو أقل من التنزل الذي يحدث باستمرار على من يحضره الموت، فاقتطع من الحدث"[2].

[1] – الفتح القدير ج4 ص 501.

[2] ـ مناهج جامعة المدينة العالمية، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، الناشر: جامعة المدينة العالمية، ج1ص390

نلاحظ أن الفعل" نزل" قد ورد في الآيات السابقة مزيدا في سيغة المضارعة " تتنزل" بتائين إحداهما تاء المضارعة، والثانية التاء المزيدة فدلت الصيغة الكاملة "تتنزل" على تكرار النزول وكثرته ودلت الصيغة الثانية التي حذفت منها التاء" تنزل" على قلة النزول، فأنت ترى انه اقتطع من الفعل إحدى التائين في آيتي الشعراء وآية القدر، لأن التنزل أقل، ولم يحذف من آية فصلت،لأنه أكثر والله أعلم"[1].

وأما قوله سبحانه وتعالى في كلمة: "تفرقوا"و" تتفرقوا" : نهى الله سبحانه وتعالى عن التفرق والاختلاف في أكثر من آية، وقد وردت آيتان تنهيان عن التفرق في تعبيرهما بذكر التائين أحيانا وحذف إحداهما حينا أخرى.

قال سبحانه وتعالى في سورة الشورى:﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً وَالذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنَ آقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ يُّنِيبُ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ** ﴾(الشورى 14)، وقال سبحانه وتعالى:﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْۚ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰناً وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾

قال **السامرائي**: "في الآية الأولى الوصية خالدة من زمن سيدنا نوح – عليه السلام – إلى خاتم الأنبياء – صلى الله عليه وسلم – فجاء الفعل (تتفرقوا) أما في الآية الثانية فهي خاصة

[1]. المرجع نفسه، ج1ص390

بالمسلمين لذا جاء الفعل (تفرّقوا) . والأمة المحمدية هي جزء من الأمم المذكورة في الآية الأولى. وكذلك فالحدث ممتد في الأولى (تتفرقوا) والحدث محدد في الثانية (تفرقوا) . فالأولى وصية خالدة على زمن الأزمان (ولا تتفرقوا فيه) لأن هذا هو المأتى الذي يدخل إليه أعداء الإسلام فيتفرقون به لذا جاءت الوصية خالدة مستمرة، وصّى تعالى الأمم مرة ووصّى الأمة الإسلامية مرتين. والآية الأولى أشد تحذيراً للأمة الإسلامية (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك) . شرعه لنا في الوصية العامة لنوح وخصّ بالذي أوحينا إليك ثم خصّ الأمة الإسلامية في الآية الثانية. والحذف له سببان هنا الأول لأن الأمة المحمدية أصغر. ونهانا عن التفرّق مهما كان قليلاً وأراد ربنا تعالى أن نلتزم بهذا الأمر (لا تفرقوا)"[1].

هكذا كان السياق القرآنيُ المعجزُ هو الحكمُ في اختيار حروف اللفظ القرآني، فيختار الحروف التي تتوافق معه، وتتناسق مع المعنى والصياغة، فقد تقلُ حروف اللفظ، وقد تزيد، وحذف الحرف وذكره مقصود مراد، يتم بأعلى درجات الدقة والتوازن.

المطلب الثاني: أثر اختلاف المعاني بالإفراد والتثنية والجمع

إن تقسيم اللفظ إلى الإفراد والتثنية والجمع له أثر في تصرف المعنى المبنيِ على اللفظ هذا في لغة العرب وأما في القرآن الكريم قد يستعمل المفرد في موطن ويستعمل المثنى في موطن آخر يبدوا شبيها بالأول، وقد يستعمل جمعا في موطن ويستعمل جمعا آخر للمفردة نفسها في موطن آخر، وقد يستعمل المفرد في موطن هو من مواطن الجمع، وما إلى ذلك من المواطن التي تستدعي التأمل والنظر، ومن أمثلة ذلك.

المثال الأول: استعمال (طفل) و(أطفال) فالقرآن الكريم يستعمل الطفل والأطفال للجمع، قال الله سبحانه وتعالى:﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم**

[1] – فاضل السامرائي: أسرار البيان في التعبير القرآني ص7 .

مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلاَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمّىً ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّنْ يُتَوَفّىٰ وَمِنكُم مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلاَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (الحج5)،وقال سبحانه وتعالى:﴿هُو ٱلذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخاً وَمِنكُم مَّنْ يُتَوَفّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(غافر67)،وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ ٱبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوَ ءَابَآئِهِنَّ أَوَ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَ أَبْنَآئِهِنَّ أَوَ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلاِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(النور 31)، في حين قال سبحانه وتعالى :﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلاَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(النور59)، قال ابن

منظور: "والعرب تقول: جارية طفلة وطفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وغلمان طفل. ويقال: طفل وطفلة وطفلان وأطفال وطفلتان وطفلات في القياس. والطفل: المولود" [1].

قال **السامرائي**: "فاستعمل (الطفل)للجمع معروف عند العرب وبه جرت ألسنتهم، أما سبب تخصيص كل موطن بالاستعمال الذي ورد فيه فهذا يظهر من السياق في القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿**ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾،وقال سبحانه وتعالى في سورة غافر:﴿ **ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾،وقال سبحانه وتعالى في سورة النور:﴿**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ** ﴾، فقال في آية الحج قوله سبحانه وتعالى:﴿ **ثُم نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾ وقال سبحانه وتعالى في آية غافر ﴿ **ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا** ﴾،في حين قال في آية سورة النور﴿**وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ**﴾ذلك أن آيتي الحج وغافر تتكلمان على خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم من علقة، فبنى الكلام على خلق الجنس وليس على خلق الإفراد، فلم يقل خلقناكم من نطف ثم من علقات، أو ثم من مضغات، بل بناه على المفرد الذي يفيد الجنس، والنطفة والعلقة والمضغة تخرج طفلا لا أطفالا، فناسب ذلك التعبير بالجنس فقال سبحانه وتعالى: ﴿**ثم نخرجكم طفلا**﴾في آية الحج، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**ثم يخرجكم طفلا**﴾في آية غافر فكلتاهما متشابهة، ومما زاد ذلك حسنا أن كلمة(طفل) تستعمل في كلام العرب للمفرد والجمع، فكانت أنسب في كل ناحية" [2].

[1]- لسان العرب ج11ص403.

[2] . السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرني،ص90

وأما آية سورة النور فمبنية على الجمع لا على الإفراد ولا على الجنس، وهي مبنية لعلاقات الإفراد في المجتمع فقال سبحانه وتعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلذِينَ مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُكُمْ وَالذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَـلَـٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَـلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلاَ عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلاَيَـٰتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(النور56)، الذين لم يبلغوا الحلم هم الأطفال وليس طفلا واحدا، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى:﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلاَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ بصيغة الجمع فناسب ذلك ما قبله ولا يناسبه الإفراد، لأن الكلام على الجمع، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن آية سورة النور في قوله سبحانه وتعالى :﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلاَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ في الكلام على العلاقات الاجتماعية وهذا يتطلب مجتمعا لا فردا فناسب الجمع أيضا، وأن كلمة" طفل" قد تكون للمفرد وهي في المفرد أشهر منها في الجمع، وأن السياق في آية سورة النور ليس فيها احتمال إفراد فناسب التعبير موطنه من كل ناحية، وأما قوله سبحانه وتعالى:﴿وَقُل لِّلْمُومِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَآ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوَ ءَابَآئِهِنَّ أَوَ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوَ أَبْنَآئِهِنَّ أَوَ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوِ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتَ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ

﴿ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي ٱلإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً آيُّهَ ٱلْمُومِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(النور31) ، أن كلمة طفل في الآية أشمل وأعم من جميع المذكورين، ذلك أن البعل مختص بالمرأة فهو يخص واحدا بعينه والآباء كذلك، وكذلك أبو البعل وأبناء البعل وأبناء المرأة وكذلك الباقي، فإنه إما مختص بأقرباء المرأة أو ملك يمينها، أما الطفل فهو عام غير مختص بقرابة، بل يشمل جميع الأطفال فناسب استعمال الجنس لأنه يراد به العموم، وأن المذكورون في الآية أشخاص متعددو الإحساس والمواقف بالنسبة إلى الجس والزينة، فكل واحد له إحساس خاص به، وأما الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء فموقفهم واحد متجانس وهو عدم التمييز، فكأنهم شخص واحد لا تمايز بينهم فأفردهم وجعلهم كأنهم شخص واحد، فكأن الإفراد ههنا أنسب"[1].

يفيد لفظ " طفل" بصيغة الافراد في الآية الكريمة التخصيص، وذلك ان الله سبحانه وتعالى يلفت انتباهنا إلى عظيم قدرته، وعجيب صنعته التي تتجلى أكثر فاكثر في مخلوقاته، وبالخصوص الانسان ذالك الذي يقول فيه سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء70) فذكره مفردا فيه إشارة إلى هذه الصنعة العظيمة، وهذا الخلق العظيم، فكأن الله سبحانه وتعالى اعتنى بصنعة عباده اعتناءا فائقا، وهذا ما تشير إليه آيات أخرى في قوله سبحانه وتعالى:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾(الحجر29).

[1] ـ ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني،ص 90 91 92

المثال الثاني: استعمال لفظة "نهر، وأنهار" في القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى في سورة القمر:﴿**إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ** ﴾(القمر 54)، قال **أبو حيان**:"فكلمة (نَهَر) لها دلالات مختلفة منها السَّعة، والسَّعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السعادة السعة فيه، ونَهَر: سَعة في الأرزاق والمنازل"[1].

وقال **الألوسي**: "وعن ابن عباس تفسيره بالسعة، والمراد بالسعة سعة المنازل على ما هو الظاهر، وقيل: سعة الرزق والمعيشة، وقيل: ما يعمهما[2]".

وأما قوله عز وجل:﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ** ﴾ فقد يجوز أن يعني به السعة والضياء، وأن يعني به النهر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع.. وقيل في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ** ﴾ أي: في ضياء وسعة، لأن الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ[3]".

قال **السامرائي**: "هذه المعاني كلها مُرادةٌ مطلوبة، فإنَّ المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة. فانظر كيف جمعت هذه الكلمة هذه المعاني كلها، إضافة إلى ما تقتضيه موسيقى فواصل الآيات بخلاف ما لو قال (أنهار) ، فإنها لا تعني إلا شيئاً واحداً. ولما كان المذكورون هم من خواص المؤمنين، وهم المتقون وليسوا عموم المؤمنين أعلى أجرَهم ودرجتهم، فقال: (ونهر) ولم يقل: (وأنهار) . ولما أعلى أجرهم ودرجتهم وبالغ في إنعامهم وإكرامهم، تحتمل كل هذه المعاني وهي كلها مرادة. ومن الملاحظ في القرآن كلّه أنه حيثما جمع الجنّات جمع الأنهار إلا في هذه الآية، فقد ورد في القرآن قوله

[1]- أبو حيان، البحر المحيط، ج10 ص 49

[2]- ينظر روح المعاني، ج14 ص 94

[3]- ينظر لسان العرب، ج5 ص 237

سبحانه وتعالى:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ نُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(النساء13)وجود كلمة تجري هنا تدل على أن المعنى المطلوب هو مجرى الماء"[1].

جاءت كلمة (نهر) بدون قرينة في قوله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾

قد اجتمعت اللفظتين، النهر، والأنهار، من أصل لغوي " نهر" دل على السعة والضياء والاتساع فوصف المتقين بأنهم في جنات ونهر دل على كونهم في رغد من العيش وراحة في البال وطمأنينة في النفوس لهم ما يشتهون من الثمرات في وضعية صرمدية دائمة لا يغيب نعيمها ولا يبرح ولا يشبه شيئا من نعيم الدنيا وهذا ما عبر عليه القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى:﴿ (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ)﴾،فقد عطف الجزء على الكل، فالنهر من مشتملات الجنة وصفاتها، وخص بالذكر بعد العموم لكونه من أروع الصفات وأفضها.

المطلب الثالث: أثر تعدد معاني اللفظة

يحمل اللفظ الواحد في القرآن الكريم على معان مختلفة تكون سببا في اختلاف العلماء في حمل اللفظ على أحد المعاني المراد، ومن نماذج ذلك في القرآن الكريم لفظتا " السبيل والإستغفار و السوء": فلفظة "السوء"،وردت في القرآن الكريم على أحد عشر وجها:"الشدة، والعقر،

[1]- فاضل السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل : ص 170.

والزنى،والبرص،والعذاب،والشرك،والشتم، وبئس، والذنب، والقتل،والضر"، والاستغفار جاءت على ثلاثة أوجه: معنى الشرك، والصلاة، والآستغفار"[1] ، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم:

المثال الأول: لفظة الاستغفار

الوجه الأول: الاستغفار من الشرك: قوله سبحانه وتعالى في سورة هود:﴿ **وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ** ﴾(هود90)، يطلب إليهم أن يستغفروا ربهم، بأن يطلبوا مغفرته عما ارتكبوا ويرتكبون من الشرك"[2].

الوجه الثاني: الاستغفار يعني الصلاة، قوله سبحانه وتعالى: ﴿**ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ**﴾(آل عمران 17)، يعني:"المصلين"[3] ، ومثله قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾(الذاريات18)، يعني:" يصلون"[4] .

الوجه الثالث: الاستغفار بعينه: في سورة يوسف لامرأة العزيز، في قوله سبحانه وتعالى:**(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَاۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ)**(يوسف29) أي: "استغفري زوجك وسيدك"[1].

---

[1] – أبي عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت 487): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي النشر مكتبة الفارابي ط1997، ص390.

[2] – محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ): زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي، ج7 ص 3743.

[3] – أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ) التَّفْسِيرُ البَسِيْط، الناشر: عمادة البحث العلمي،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط:1، 1430 هـ، ج5 ص 107.

[4] – أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ): تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ،الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط:1، 1410 هـ - 1989 م، ج 1 ص 619.

المثال الثاني: لفظة السوء

الوجه الأول: السوء يعني الشدة، "والسوء: مصدر السيئ: يقال أعوذ باللّه من سوء الخلق وسوء الفعل، يراد قبحهما. ومنه سوء العذاب- والعذاب كله سيئ-: أشدّه وأفظعه، كأنه قبحه بالإضافة لسائره"[2].

وقوله سبحانه وتعالى:﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ** ﴾(البقرة49)يعني شدة العذاب، وفي سورة الرعد قوله سبحانه وتعالى﴿ **لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَالذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لاَفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوِيٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ**﴾(الرعد18)يعني شدة الحساب ،وكقوله سبحانه وتعالى في السورة نفسها: ﴿**وَالذِين يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ** ﴾(الرعد21). فهي كذلك شدة العذاب[3]

الوجه الثاني: السوء العقر، قوله سبحانه وتعالى:﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ**

[1]- المحرر الوجيز، ج3، ص239.

[2]- الكشاف، ج1 ص 279.

[3]. الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن،ج4ص124.

ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾(الأعراف73) وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ لا تصيبوها بعقر.[1]

قد استفيد هذا المعنى وهو العقر من قوله سبحانه وتعالى: فعقروها حيث عبر عن العقر بالسوء، فأخذ معناه، ويحتمل أن يكون معنى السوء هنا العذاب الذي ترتب عن العقر،

الوجه الثالث : السوء يعني الزنى قوله سبحانه وتعالى في سورة يوسف ﴿**قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾(يوسف 51)،يعني من زنا. فالسوء هنا أفاد معنى الزنا وهو من باب تخصيص العموم فالسوء عام وتخصيصه في سياق الآية أفاد الزنا، وهذا مافيه دلالة واضحة على تنوع استعمال الألفاظ في أساليب القرآن الكريم، وتعميلها من المعاني ما يقتضيه السياق، وقوله سبحانه وتعالى في سورة مريم:﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ (مريم28)،أي زنا"[2].

وكذلك لفظ السوء هنا دل على الزنا بدلالة نفي البغاء عن الأم.

الوجه الرابع: السوء البرص، قوله سبحانه وتعالى في سورة القصص في قصة سيدنا موسى:﴿**ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ**

---

[1]- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: 150هـ): تفسير مقاتل بن سليمان: المحقق عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ط1 - 1423 هـ ج2ص46.

[2]- الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن،ج5 ص214.

جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهَبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ فَٰسِقِينَ﴾ (القصص 32) والسوء ها هنا بمعنى "البرص"[1]

الوجه الخامس:السوء، يعني العذاب ،قوله سبحانه وتعالى:﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر61)،يعني العذاب،وكقوله سبحانه وتعالى في سورة الرعد:﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنَ ٱمْرِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِنْ وَالٍ﴾(الرعد 11)،يعني عذابا"[2].

نلاحظ أن السوء في الآيات السابقة أفاد العذاب في قوله سبحانه وتعالى:**لاَ يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ** أي لا يصيبهم العذاب وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءاً**﴾أي إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن ينزل بقوم في الدنيا عذابا جزاءا بما اقترفت أيديهم فلا شيء يرد عنهم ذلك العذاب، ولا ملجأ يقيهم منه.

الوجه السادس:السوء يعني الشرك، يعني شركا وإنما قالوا: ذلك من شدة الخوف،كقوله سبحانه وتعالى في سورة النجم:﴿وَلِلهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلاَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾(سورة النجم 31)،يعني أشركوا،

[1]- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط1، 1415 هـ ج3ص203.

[2]. القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج10ص98

ونظيره في سورة النحل قوله سبحانه وتعالى:﴿(ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوۤءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوۤاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)﴾(النحل 119)،يعني الشرك"[1].

جاء لفظ السوء بمعنى الشرك فقد عبر عنه بالسوء في مقابلة الإيمان الذي عبر عنه بالإحسان ومثله في سورة النحل في قوله سبحانه وتعالى:﴿ **عَمِلُواْ ٱلسُّوۤءَ بِجَهَـٰلَةٍ**﴾، أي أشركوا دون قصد ومن غير نية مبيتة فالله سبحانه وتعالى يغفر لهم، وقد جاء السوء في مقابلة الإصلاح لأن الإصلاح من خصائص الإيمان فلا إصلاح بدون إيمان ولا إيمان بدون إصلاح.

الوجه السابع:السوء يعني الذنب من المومنين، قوله سبحانه وتعالى في سورة النساء:﴿**إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوۤءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً**﴾[النساء17]،أي الذنب،وكقوله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام:﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوۤءاً بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام 54)،يعني الذنب"[2].

[1] . المصدر السابق ج3 ص 74

[2]- تفسير مقاتل بن سليمان ا ج2 ص492.

الوجه الثامن:السوء يعني بئس أي جهنم وبئس المهاد،قوله سبحانه وتعالى في سورة الرعد:﴿**(وَالذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ)**﴾(الرعد25)،يعني بئس الدار،وكقوله سبحانه وتعالى في سورة غافر:﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ**﴾(غافر52)،بئس الدار" [1].

فالسوء في سورة الرعد وفي سورة غافر يعني سوء العاقبة، وقد عبر عنه القرن الكريم في سورة بيس الميهاد.

الوجه التاسع:السوء يعني الشتم قوله سبحانه وتعالى في سورة الممتحنة:﴿**إِن يَّثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ**﴾ (الممتحنة2)، أَي: أَيْديهم بِالسَّيْفِ، وألسنتهم بالشتم، فقد عبر القرآن الكريم عن الشتم بالسوء، ولما كان السوء مطلقا دالا على عمل أو فعل قبيح قيد بقرينة " ألسنتكم" لتخصيصه بكونه أفاد الشتم باللسان هو الغالب في معظم الحالات قبل الوصول إلى استعمال اليد في القتل حذف ما يعبر عن القتل، لذلك قد السمعاني المعنى بقوله: يبسطون أيديهم بالسيف، وألسنتهم بالشتم، وهذا من عجائب الصنعة في القرآن الكريم، وبالخصوص في مجال الحذف، فالمحذوف يقدر حسبما يقتضيه السياق ويستسيقه الذوق وتجري على سننه بلاغة اللغة العربية. ،وكقوله تعالى في

[1] – جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط 5، 1424هـ/2003م ج3ص26.

سورة النساء:﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوۤءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً﴾(النساء148)،يعني الشتم"[1]،

والشتم عادة ما يكون بالقول، والسوء يكون بالقول والفعل بل وبالإمائة واللمحة والإشارة فهو أعم من الشتم، فكل هذه المعاني محتملة في لفظ السوء هنا والأقرب إلى معنى الشتم كما سبق لأن الدليل يقوم به فيعاقب الشرع عليه.

الوجه العاشر:السوء يعني القتل والهزيمة لَمْ يُصِبْهُمْ قَتْلٌ وَلَا جِرَاحٌ، قوله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب:﴿قُلْ مَن ذَا ٱلذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنَ آرَادَ بِكُمْ سُوۤءاً آوَ آرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴾(الأحزاب17)،يعني بالسوء القتل والهزيمة"[2].

الملاحظ في هذه الآية والله أعلم أن لفظ السوء هنا دالا على كل ماهو سيء من أبسط المساوي إلى أعظمها، والله تبارك وتعالى قادر على أن يقدر على عبده سوءا من أنواع هذه المساوئ كيف ما أراد سبحانه وتعالى، وأعلاها القتل أو الهزيمة أو الشماتة او في معنى ذلك حسب ما أشار إليه الرازي، وكذلك في هذه الآية أن جواب الشرط قد تقدم على الشرط في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُل مَن ذَا ٱلذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ،وقد جاء أسلوبا استفهاميا متضمنا معنى الإنكار بالنفي أي: لا أحد في استطاعته أن يعصمكم من الله سبحانه وتعالى، كما نلاحظ أيضا أن لفظ العصمة هنا متجهة إلى نفي السوء فكيف يكون متجها أيضا إلى نفي الرحمة، وإنما قابل السوء بالرحمة وسلط عليهما العصمة معا والتقدير والله أعلم: قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد

[1]- السمعاني، تفسير القرآن، ج5 ص414.

[2]- الرازي، مفاتيح الغيب، ج9ص434.

بكم سوءا أو من ذا الذي يحرمكم من الله إن أراد بكم رحمة، ولكن هذا حذف من الآية لدلالة السياق عليه، لأن العصمة غالبا ما تكون من السوء ولا تكون من الرحمة لقوله سبحانه وتعالى على لسان ابن سيدنا نوح: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ (هود43)، وقوله سبحانه وتعالى على لسان أبيه سيدنا نوح:﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۖ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾(هود43)، وقوله سبحانه وتعال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(المائدة69).

الحادي عشر: السوء يعني الضر : قوله سبحانه وتعالى، في سورة النمل:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل 62)، يكشف الضر"[1]، فقد سمى القرآن الكريم في هذه الآية الضر سوءا، ودل على ذلك لفظ يكشف الذي ورد في آيات أخرى دالا على ما يصيب الانسان من سوء

نستخلص مما سبق أن طبيعة الأسلوب القرآني تحميل اللفظ معان عدة تستفاد من السياق الذي يجيء فيه اللفظ من غير ركاكة ولا إسفاف وإنما في تعبير راق يطفح بمميزات البلاغة العربية من إيجاز وحذف وإبدال كلمة بأخرى من غير أن يشعر القارئ بالملل أو السأم، وعلى هذا النمط جاءت كلمة سوء لتعبر عن تلك المعاني التي سبقت الإشارة إليها، فحين تقرأ الآية الكريمة ينصرف ذهنك مباشرة إلى المعنى المراد من غير أن تلتفت أحيانا إلى المعنى الأصلي للكلمة، وذلك لاكتناف السياق بقرائن لفظية أو معنوية تنبؤك مباشرة بالمعنى المقصود.

[1]. تفسير الطبري ج10 ص616.

المطلب الرابع: أثر حروف الجر في اختلاف معاني الألفاظ

سميت حروف الجر لأنَّها تجر معنى الفعل قبلها إلى الاسم بعدها، أو لأنَّها تجر ما بعدها من الأسماء؛ أي: تخفِضهُ، وتسمى "حروف الخفض" أيضاً، وتسمى "حروف الإضافة" لأنَّها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، نحو: "مَرَرْتُ بِزَيْدٍ" أو في تأويل الاسم في قوله سبحانه وتعالى:﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾(التوبة 118) أي بِرُحْبِها"[1]، وأن حروف الجر عشرون حرفاً جاءت على التوالي، قال ابن مالك"[2]:

هاكَ حُروف الجّر وهي مِنْ إلَى حتَى خَلَا حَاشَا عَدَا في عنْ عَلَى

مذْ مُنذُ رُبَّ اللاَّم واو وتَا والكافُ والبَا ولَعَلَ وَمَتَى.

خلا وحاشا وعدا أدوات استثناء يجوز كونهما حروف، فيكون المستثنى بعدها مجرورا بها، ويجوز اعتبارها أفعالا فيكون ما بعدها منصوبا على الاستثناء، وإذا دخلت عليها "ما" تعين كونها أفعالا فيكون ما بعدها منصوبا إلا " حاشا" فلا تدخل عليها "ما"، وأما " مذ"، و"منذ" فيجوز أن يكون ما بعدها مرفوعا على الابتداء، أما "رب" فغالبا ما تحذف وتنوب عنها الواو المسمات واو"رب"، كما في قول عنتر بن شداد:

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا متسلم

والتقدير: ورب مدجج.

[1]- شمس الدين أحمد بن سليمان: أسرار النحو، ،تحقيق: احمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2002، ص 270.

[2]- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم، ص255.

واللام الجارة تكون مكسورة إلا في الاستغاثة فتكون مفتوحة وما بعدها مجرورا مثل: يا للرجال لهول المصائب، و"الواو" و" الباء"، و" التاء" لا تجر إلا في القسم، و"لعل" الشائع في لغة قريش أنها للترجي والنصب، ووردة جارة في بعض لهجات العرب.

قال **الزركشي** :" الكلام على المفردات من الأدوات والبحث عن معاني الحروف مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها ولهذا توزع الكلام على حسب مواقعها وترجح استعمالها في بعض المجال على بعض بحسب مقتضى الحال"[1]

المثال الأول :قال الله تعالى :﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران 52)،قال **الزمخشري**: "و﴿إلى الله﴾ من صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة،كأنه قيل:من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله،ينصرونني كما ينصرني،أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء،أي من أنصاري،ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ أى أنصار دينه ورسوله"[2]،

وتتضمن هذه الآية تحبيب الإيمان إلى نفوسهم ودعوته إلى أن يضيفوا أنفسهم إلى الله سبحانه وتعالى فيحصل لهم الشرف، فيكونون هم كأنهم قادوا سيدنا عيسى عليه السلام إلى الإيمان، ولذلك كانت الإستجابة سريعة من حواريه بدليل قوله سبحانه وتعالى على لسانهم: " نحن أنصار الله" ، بتقديم ضمير الجماعة المنفصل في ابتداء الكلام لإفادة تخصيصهم بالإيمان دون غيرهم، ثم استمروا في تفصيل مقتضيات هذه النصرة وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإسلام الوجوه، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾،وإشهاد سيدنا عيسى على ذلك.

[1]. الزركشي،ج4ص175.

[2]- الكشاف ج1 ص 366.

أما **الرازي** فقد فصل تفصيلا آخر في هذه الآية ،فقال :المسألة الثانية:قوله﴿إلى الله﴾فيه وجوه:

الأول: التقدير من أنصاري حال ذهابي إلى الله أو حال التجائي إلى الله .

الثاني: التقدير من أنصاري إلى أن أبين أمر الله تعالى ،وإلى أن أظهر دينه،ويكون إلى هاهنا غاية كأنه أراد من يثبت على نصرتي إلى أن تتم دعوتي،ويظهر أمر الله تعالى[1].

الثالث: قال الأكثرون من أهل اللغة،"إلى"،هاهنا بمعنى "مع"،قال تعالى :﴿**وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا**﴾ (سورة النساء 2)،أي معها.قال الزجاج:كلمة (إلى) ليست بمعنى "مع"،فإنك لو قلت ذهب زيد إلى عمر لم يجز أن تقول:ذهب زيد مع عمرو لأن (إلى) تفيد الغاية و(مع) تفيد ضم الشيء إلى الشيء،بل المراد من قولنا أن (إلى) هاهنا بمعنى (مع) هو أنه يفيد فائدتها من حيث أن المراد من يضيف نصرته إلى نصرة الله إياه وكذلك المراد من قوله تعالى : ﴿**وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا**﴾ (سورة النساء 2)،أي لا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أولادكم. وكذلك قوله عليه السّلام: «الذَّوْدُ إِلَى الذَّوْدِ إِبِلٌ»وكما قال الله سبحانه وتعالى:﴿**فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران 51)، معناه: الذّود مضموما إلى الذود إبل والرّابع: أن يكون المعنى من أنصاري فيما يكون قربة إلى اللّه ووسيلة إليه،وفي الحديث أنّه صلّى اللّه

[1]. الرازي، مفاتيح الغيب، ج8 ص232

عليه وسلّم كان يقول إذا ضحّى «اللَّهُمَّ مِنْكَ وَإِلَيْكَ» أي تقرّبا إليك، ويقول الرجل لغيره عند دعائه إياته (إِلَيَّ) أي انضمّ إليَّ، فكذا هاهنا المعنى من أنصاري فيما يكون قربة إلى اللّه تعالى.

الخامس:أن يكون (إِلَى) بمعنى اللَّام كأنّه قال: من أنصارِي للَّهِ نظيره قوله سبحانه وتعالى:﴿ **قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّنْ يَّهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَّهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُّتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيٓ إِلاَّ أَنْ يُّهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (يونس35)، والسّادس: تقدير الْآية:من أَنْصَارِي في سبيل الله. و (إِلَى) بمعنى (فِي) جائز، وهذا قول الحسن"[1].

يستفاد مما سبق أن بعض حروف الجر ينوب عن بعض أثناء الكلام، ومما سبق الكلام من أجمله وحتماله للمعنى.

أما **البيضاوي** فقد قال في قول سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ (آل عمران 51)ملتجئا إلى الله تعالى أو ذاهبا أو ضاما إليه،ويجوز أن يتعلق الجار بـ ﴿أنصاري﴾ مضمنا معنى الإضافة،أي من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى في نصرهم،وقيل:"إلى"،هاهنا بمعنى "مع" أو "في" أو"اللام"[2].

قال **الرماني**:"جاء في معاني الحروف أيضا أن "مِنْ" لها أربعة معان: الغاية والتجنيس وللتبعيض

[1]- المصدر السابق، ج8 ص232.

[2]- تفسير البيضاوي ج1 ص 349.

وللزائدة"[1].

وقد رجح **الشعراوي** مجي "مِنْ" للجنس في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **جَعَلَ لَكُم مِّنَ آنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ آزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُومِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴾(النحل 72) ،وقوله سبحانه وتعالى:﴿**لَقَد جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنَ آنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُومِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ (التوبة 128) ؛ أي مِنْ جنسكم، والمسألة تحتمل معنيين: من اتسع ظنه إلى أنَّ الله خلق حواء من ضلع آدم؛ أي: منه، مِنْ بعضه فلا مانع، ومَنْ قال: خلق الله حواء كما خلق آدم خلقاً مستقلاً، ثم زَاوج بينهما بالزواج فلا مانع، فالأول على معنى البعضية،والثاني على معنى مِنْ جنسكم؛ أي: من نفس واحدة، كما قال في آية أخرى:﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَآ** ﴾(الزمر6)، يعني: أخذ قطعة من الزوج، وخلق منها الزوجة، كما خلق سبحانه حواء من آدم عليهما السلام. أي: من جنسها"[2].

أما **ابن عاشور** فذكر أنَّ المقصود "مِنْ" التبعيضية، ومعنى التبعيض أنَّ "حواء خلقت من جزء من آدم"[3].

وسواء جاءت "مِنْ" للتبعيض أو للجنس، فإنَّ المعنى واحد، فقد خلق الله جميع الأنام من شخص واحد، معرفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أنَّ جميعهم

[1]- ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 249.

[2]- ينظر: تفسير الشعراوي، ج13ص874.

[3]- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج4، ص215.

بنو رجل واحد وأم واحدة، وأنَّ بعضهم من بعض، في الألفة والمودة والتراضي.

قلما نجد لحروف الجر ضوابط تحكمها وتحتكم بها في تحديد المعنى، فالمعتمد فيها على الذوق اللغوي، والخلفية البلاغية، فالمعنى الذي تراه يتناسب مع حرف من حروف الجر قد يراه غيرك خلاف لما تراه، لأن تصويب المعاني من خلال النصوص يتحكم فيه السياق من جهة والمناسبة من جهة أخرى، والمراد الشرعي من جهة ثالثة.

حروف الجر قلما تجد لها ضابطا يحتكم عنده المختلفون في تحديد المعنى،فهي تعتمد اعتمادا كبيرا على الذوق اللغوي والخلفية البلاغية،فالمعنى الذي تراه يتآلف مع حرف من حروف الجر،يراه غيرك خلافا لما تراه.

خاتمـــــــــة:

اجتهدت الدراسة قدر المستطاع في توجيه التحليل إلى ما يعينها في استخلاص نتائج موضوعية ترتبط بأساسيات البحث، ذلك أن تركيز الدراسة على جوانب ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم تدفعه إلى تحديد نتائج متعددة الاعتبارات تبعا لتعدد جوانب الارتباط بين الأصلين، إذ يمكن تسجيل أهم هذه الاعتبارات مع نتائجها على النحو التالي:

أولا: نتائج باعتبار المصطلح:

1- قد يوجد الترادف في بعض كلمات اللغة العربية، لكنها كلمات قليلة جدا وليست كثيرة، أما ألفاظ القرآن الكريم فليس بينهما ترادف هذا ما قاله المحققون من علماء البلاغة، والبيان، والتفسير قديما وحديثا.

2- من الآليات المعتمدة في الاختيار اللفظي للقرآن الكريم الترادف الذي أطلقه ابن جني، فالمتبصر يرى أنه كان دقيقا في اختيار مصطلح "تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني" ليعبر به على هذه الظاهرة ولم يذكر الترادف كما فعل السابقون وهو بذلك يضع أصبعه على أهم خاصة من خواص اللغة العربية التي تعبر عن عبقريتها في وضع الألفاظ ودلالاتها على المعاني المشتركة بين كل مجموعة من الألفاظ مع خصوصية كل لفظ بمعنى يتعلق به أساسا.

3- ألفاظ الأضداد ظاهرة جلية في العربية لا ينكرها أحد، وحتى أنه من الناحية العقلية المحضة فإن الأضداد جعلت لتفي بقصد المتكلم في طريقة تصويره للمعاني، وقد تتدخل الطبيعة والعادات والتقاليد في وجود الأضداد في اللغة، وهي دليل على غنى اللغة العربية، كما أنها تفتح آفاقاً متعددة في فهم النص القرآني.

ثانيا: نتائج باعتبار الألفاظ:

1- إن جمال اللفظ القرآني لا يقف عند حد فيعرب عنه البليغ المتكلم، ولا يستوف البحث فيه العالم اللغوي المتبحر، وإنما هو جمال يتجدد كل ما تأملت فيه، أو أنعمت النظر في تفاصيله، فالمعنى القرآني كالدر المكنون في أصدافه يصيب منه البليغ، ما توصلت به إليه قريحته.

2- إن للقرآن الكريم منهجا خاصًّا، وطريقة معينة في اختيار الألفاظ وتحميلها المعاني والدلالات لذلك ترى ألفاظ في كلام العرب دلت على نفس المعنى، ولا يستعمل القرآن الكريم إحداهما في موضع الأخرى، بل لكل منهما موضعا خاصا تصلح فيه إحداهما من دون الأخرى، والمعروف عند البلغاء أن الألفاظ إذا تكررت سئمت منها الأذواق، وفقدت رونقها وبهائها، حيث أنك تجد اللفظة الواحدة في القرآن الكريم قد تتكرر في تراكيب قريبة من بعضها، فلا يزيدها ذلك التكرار إلا جمالا، فيزداد العقل تعلقا بها.

3- اختيار اللفظة القرآنية في الجملة لها دلالة خاصة فالتعبير بالجملة الاسمية ليس كالتعبير بالجملة الفعلية والتعبير بالفعل في المضارع ليس كالتعبير بالفعل الماضي، وهما يختلفان عن التعبير بفعل الأمر، فدلالات الأفعال بين الماضي، والحال والاستقبال، تختلف من حيث معانيها في الجمل، ومعرفة الفروق والمناسبات بينها باب من أبواب البلاغة.

4- السياق القرآنيُ المعجزُ هو الحكَمُ في اختيار حروف اللفظ القرآني، فيختار الحروف التي تتوافق معه، وتتآلف مع المعنى والصياغة، فقد تقلُ حروف اللفظ، وقد تزيد، وحذف الحرف وذكره مقصود مراد، يتم بأعلى درجات الدقة والتوازن.

5- الأصوات في القرآن الكريم المعبر عنها بالحروف في حالة رسمها تمتاز بالانسجام، والائتلاف، وربّما وجدت كلمة صعبة في النطق، إذ أخذتها عن سياقها القرآني،

ككلمات قطمير، وإستبرق، بطش، ولكنها في التركيب القرآني تكتسي جمالاً خاصا بسبب ما يتقدمها، وما يتلوها من أصوات.

6- إن اختلاف اللفظ بين الإفراد والتثنية والجمع له أثر في تصريف المعنى، لذلك تجد في كلام العرب، وفي القرآن الكريم استعمال اللفظ بصيغة الإفراد في موطن، وبصيغة التثنية في موطن آخر، يبدوا شبيها بالأول، وقد يستعمل اللفظ نفسه مرة بالجمع، ومرة بالإفراد، إلى غير ذلك من المواطن التي تدعو إلى التأمل والنظر.

7- اللفظ القرآني يحتل المكانة المركزية في السّياق، ويحمل قوة دلالية توجه المعنى إلى جهة ما، إما عن سبيل القطع أو رفع اللبس، أو الإشارة، أو غير المنطوق، أو إكمال جهة ما بأوصاف توحي بالكمال، أو الجمال الدال على قدرة الله سبحانه وتعالى، وعظيم صنعته.

8- قد تحتمل اللفظة القرآنية الواحدة معان مختلفة يحددها، والمحدد للمعنى المراد هو السياق والقرائن مثلا فلفظة " السوء" وجدناها تحتمل إحدى عشر معنى.

9- إن تحميل اللفظ معان عدة تستفاد من السياق الذي يجيء فيه اللفظ من غير ركاكة ولا إسفاف وإنما في تعبير راق يطفح بمميزات البلاغة العربية من إيجاز وحذف وإبدال كلمة بأخرى من غير أن يشعر القارئ بالملل أو السأم.

ثالثا: نتائج باعتبار المعنى:

1- يتعامل القرآن الكريم مع الكلمات من حيث الاختيار أولاً ثم من حيث فنيات التوظيف لهذه الكلمات بما تتضمنه من أصوات يقوم بتوزيعها في نسيج الكلمة ثم العبارة ، ممّا يحقق التأثير المطلوب من هذا التوظيف والاختيار.

2- تتفاوت الحروف العربية قوة وضعفا من حيث المخارج والصفات، وهذا التفاوت يؤدي إلى تفاوت في المعنى، وقد وظف القرآن الكريم ألفاظه توظيفا نلتمس فيه هذا الائتلاف

بين الحروف ومعانيها، فإن كان المعنى يتضمن قوة جاء معه الحرف الأقوى، وإن كان يحتمل ليونة وسهولة جاء معه ما يناسبه.

3- من القواعد التي اصطلح عليها العلماء أن الزيادة في المبنى تدلّ على الزيادة في المعنى، وذلك لما بين اللفظ والمعنى من التناسب، وقد تأكّدت هذه القاعدة في القرآن الكريم.

4- تجد في القرآن الكريم ما يذكر مجملا ثم يلحقه ما يفسره أو العكس ما يذكر مفصلا ثم تعود الإشارة إليه مرة أخرى، قد يرد اللفظ في سياق ما، ويراد به غير معناه الحقيقي، إما لتبيين مجمل أو رفع لبس، أو تخصيص عام، أو تقييد مطلق، او تنوع دلالة، إلى غير ذلك مما قد يؤول إليه المعنى العام المستنبط من السياق.

رابعا: نتائج باعتبار الأسلوب:

1- التكرار سواء كان حرفيّاً، أو لفظيّاً، أو لآية بأكملها في القرآن الكريم لم يأت عبثا، ولا ملئاً للفراغ، وإنما جاء لبيان أمر من الأمور، أو التأكيد عليه، أو لفت الأنظار، وتنبيه العقول إليه، ولا يكون ذلك إلا في موضع دقيق عظيم، كالتخويف من عذاب الله سبحانه وتعالى، والترغيب في رحمته ومغفرته، أو التشنيع من أمر مكروه، أو الدعوة إلى أمر محبوب.

2- أسلوب القرآن لا يخضع لمقاييس العرب وأقيستهم القولية، أو قواعدهم النحوية والصرفية، إذ لا يليق أن نُخضع ما كان مصدره إلهيا إلى ما كان أصله اجتهادا بشريا، بل يجب أن نُخضع القاعدة البشرية إلى أساليب القرآن ونظمه.

هذا ما تمكنت الدراسة من تحريره وتوثيقه مع التأكيد أنّ الدراسة تلتزم التوقف عند ما عجزت عن إثباته أو الوصول إليه، فكما أنّ عجائب القرآن الكريم لا تنهي فكذلك اجتهادات العقول حياله لا تصل إلى المنتهى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1. **ابن الأثير**: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: 637هـ): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، عام النشر:1420هـ.
2. **الأندلسي**، ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (ت: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، محق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1 - 1422 هـ.
3. **الأصفهاني**:الراغب الأصفهاني:مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، دار القلم، دمشق سوريا
4. **الأصمعي**: عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216هـ): ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه،تحقيق:ماجد حسن الذهبي،دار الفكر،1986
5. .**الألوسي**: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: 1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ط: 1، 1415 هـ.
6. **الأصبهاني**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: 420هـ)، درة التنزيل وغرة التأويل، تح: محمد مصطفى آيدين، الناشر: جامعة أم القرى، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.

7. **ابن الأثير**: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: البحر المحيط في التفسير،محق: صدقي محمد جميل،الناشر: دار الفكر – بيروت،ط: 1420 هـ.

8. **ابن الأنباري**: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري: الأضداد، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان: 1407 هـ – 1987 م.

9. **الإيجي**: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ (ت: 905هـ)تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن،دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت،ط: 1، 1424 هـ - 2004 م

10. **الأصفهاني الراغب**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت،ط: 1 – 1412 هـ.

11. **الباقلاني**: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: 403هـ): الانتصار للقرآن، تحق: د. محمد عصام القضاة، الناشر: دار الفتح – عَمَّان، دار ابن حزم – بيروت،ط: 1، 1422 هـ - 2001 م..

12. **البغوي**: عبد الله بن أحمد بن علي الزيد مختصر تفسير البغوي، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، ط: 1، 1416هـ .

13. **البقاعي**: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

14. **البيهقي**:أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ) : شعب الإيمان، حقق عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط: 1، 1423 هـ - 2003 م.

15. **الثعالبي**: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: 875هـ) : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، محق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط: 1 - 1418 هـ.

16. **الثعلبي**، أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق :الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:1 1422، هـ - 2002 م.

17. **الجوزية، ابن القيم** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام،محق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار العروبة – الكويت، ط: 2، 1407 – 1987.

18. **الجوزية** ابن القيم: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن القيم (ت751): بدائع الفوائد، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

19. **الجرجاني**:أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل،: أسرار البلاغة فى علم البيان، محق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط:1، 1422 هـ - 2001 م.

20. **الجواليقي**: موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقى (ت: 540هـ): شرح أدب الكاتب لابن قتيبة، قدم له: مصطفى صادق الرافعي الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

21. **الجاحظ**: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: 255هـ)، البيان والتبيين الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر: 1423 هـ.

22. **الجرجاوي**:خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري،: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، الناشر:دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان،ط:1 ،1421هـ- 2000م.

23. **الجوزية ابن القيم**: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ): شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: 1398هـ/1978م.

24. **الحموي**: أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: 733هـ): كشف المعانى فى المتشابه من المثانى، تحق: الدكتور عبد الجواد خلف، الناشر: دار الوفاء . المنصورة،ط: 1، 1410 هـ / 1990 م

25. **الخازن:** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل ، تحقيق محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط1، 1415 هـ.

26. **ابن درستويه:** ابن درستويه :تصحيح الفصيح، ، تحقيق محمد بدوي المختون ومراجعة رمضان عبد التواب المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة،1998

27. .**الدينوري،** ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: 276هـ)، تأويل مشكل القرآن، محق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

28. **الدامغاني:** أبي عبد الله الحسين بن محمد (ت 487): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ومعانيها، تحقيق فاطمة يوسف الخيمي النشر مكتبة الفارابي ط1997.

29. **الرماني،** أبي الحسن علي بن عيسى، الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق:فتح الله المصري، دار الوفاء للطباعة والنشر،1992م

30. **الرازي:** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت:327هـ): تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، محق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط:3 - 1419 هـ.

31. **الرازي:**أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون،ط1، 1418هـ-1997م،

32. **الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط: 3 - 1420هـ.

33. **الزبيدي:** كاصد الزبيدي ، فقه اللغة العربية ، منشورات جامعة الموصل ،1987.

34. **الزجاج:** الزجاج إعراب القرآن الكريم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، القسم الثاني.

35. **الزركشي:** أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن،محق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط: 1، 1376 هـ - 1957 م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

36. **أبو زهرة:** محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ): زهرة التفاسير، دار النشر: دار الفكر العربي

37. **الزجاج:**إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت،ط:1، 1408 هـ - 1988 م،

38. **الزمخشري:** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،ط: 3 - 1407 هـ.

39. **السمعاني:** أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني (ت: 489هـ): تفسير القرآن ،المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ط: 1، 1418هـ-1997م.

40. **السيوطي**: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ) : معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان ط:1. 1408 هـ - 1988

41. **السيوطي**: الإتقان في علوم القرآن،محق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: 1394هـ/ 1974م

42. **السعدي**: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت:1376هـ)، القواعد الحسان لتفسير القرآن، ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض،ط:1، 1420 هـ - 1999.

43. **السمعاني**: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: 489هـ)،تفسير القرآن لمحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، ط:1، 1418هـ- 1997م.

44. **الشوكاني**: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني :فتح القدير (ت: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط:1 - 1414 هـ.

45. **الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.

46. **الطنطاوي**: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط:1.

47. **الطبري** :محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ): تفسير الطبري تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،ط: 1، 1422 هـ - 2001 م.

48. **الطبري**: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1420 هـ - 2000 م.

49. **ابن عباد**:إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (ت: 385هـ)، المحيط في اللغة،

50. **العسكري**: **أبو هلال** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (المتوفى: نحو 395هـ) الصناعتين،المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية بيروت، عام النشر: 1419 هـ.

51. **الفراهيدي**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)، كتاب العين، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار مكتبة الهلال

52. **القيرواني**، ابن رشيق: أبو على الحسن بن رشيق الأزدي (ت: 463 هـ): الكتاب: العمدة في محاسن الشعر وآدابه،محق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،ط: 5، 1401 هـ - 1981 م

53. **القرطبي**: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط2، 1384هـ - 1964 م

54. **ابن كثير**: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ات: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، محق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2 1420هـ - 1999م.

55. **مقاتل بن سلمان**: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى: تفسير مقاتل بن سليمان: المحقق عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ط1 - 1423 هـ.

56. **ابن منظور**: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ) لسان العرب ،الناشر: دار صادر – بيروت ط:3 - 1414 هـ.

57. **المؤيد بالله**: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: 745هـ):الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت،ط: 1، 1423 هـ.

58. المزهر في علوم اللغة وأنواعها،شرح وتعليق،محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم،وعلي محمد البجاوي ،المكتبة العصرية ،بيروت،1992م.

59. **المخزومي**: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي: تفسير مجاهد، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ،الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط:1، 1410 هـ - 1989 م.

60. **النيسابوري**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي: التَّفْسِيرُ البَسِيْط، الناشر: عمادة البحث العلمي،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط:1، 1430 هـ.

61. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، محق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلميه – بيروت، ط:1 – 1416 هـ.

62. **الهروي**: أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت 401 هـ)، الغريبين في القرآن والحديث، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1419 هـ – 1999 م

قائمة المراجع

63. **أنيس ابراهيم**: في اللهجات العربية، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية 2003م.

64. دلالة الألفاظ، ط 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

65. **الأنطاكي**، محمد: الوجيز في فقه اللغة، ،مكتبة الشهباء،حلب سوريا،ط2 1969.

66. **البوطي**، محمد سعيد رمضان ، الحب في القرآن الكريم ودوره في حياة الإنسان، دار الفكر، دمشق، ط4، 1432،2009هـ.

67. **بشر كمال**: دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

68. **توفيق: محمود**، سعد العزفُ على أنوار الذِّكرمعا لم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة.

69. **الجرمي**، إبراهيم محمد : معجم علوم القرآن، الناشر: دار القلم – دمشق، ط: 1، 1422 هـ – 2001 م

70. **الجزائري،** أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية ، ط 5، 1424هـ/2003م

71. **الخالدي،**صلاح عبد الفتاح: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ،عمان، دار عمار، ط3، 1429هـ، 2008م

72. **درويش مصطفى،** محيي الدين بن أحمد (ت: 1403هـ)، إعراب القرآن وبيانه، الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط :4، 1415 هـ.

73. **الرفاعي،** أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي : أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني،وكالة المطبوعات – الكويت،ط:1، 1980 م.

74. **الراغب أحمد،** عبد السلام ، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، ط:1، 1422 هـ - 2001 م

75. **عبد الرحيم محمود،** صافي: الجدول في إعراب القرآن الكريم، (ت: 1376هـ)،الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط:4، 1418 هـ7.

76. **الرومي سليمان،** فهد بن عبد الرحمن ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، الناشر: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 8/5/، 1406ط:1 ،1407هـ- 1986م.

77. **الرافعي،** مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (ت: 1356هـ)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت،الطبعة 8 - 1425 هـ - 2005 .

78. **الزرقاني،** محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)،مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 3.

79. **زرزور،** عدنان محمد ، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، الناشر: دار القلم ،دار الشاميه – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، 1419 هـ،1998م.

80. **ابن سليمان،** شمس الدين أحمد: أسرار النحو، ،تحقيق: احمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2002.

81. **السامرائي،** إبراهيم:التطور اللغوي التاريخي،الناشر دار الأندلس 1981م.

82. أسرار البيان في التعبير القرآني .

83. **السيد،** جعفر باقر الحسيني : المشترك اللفظي أهميته في مجال التعبير اللغوي والأدبي والبلاغي وأثره في الدراسات القرآنية

84. **السيد قطب، في ظلال القرآن**

85. **الشعراوي،** محمد متولي : تفسير الشعراوي ، مراجعة :أحمد عمر هاشم ،مطابع أخبار اليوم، القاهرة مصر 1992.

86. **الشنقيطي،** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت : 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ - 1995 م.

87. **الصالح صبحي،** إبراهيم (ت: 1407هـ) : دراسات في فقه اللغة ، الناشر: دار العلم للملايين، ط:1، 1379هـ - 1960م.

88. . مباحث في علوم القرآن، الناشر: دار العلم للملايين، ط: 24، 2000.

89. **صبح علي**، التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث.

90. **ظاظا** حسن، كلام العرب، ،دار القلم ،دمشق ،الدار الشامية ،بيروت،ط2، 1990.

91. **عتيق عبد العزيز**، (ت: 1396 ه):علم المعاني، الناشر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، 1430 ه - 2009 م.

92. **ابن عاشور**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت : 1393ه): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس 1984.

93. **فاروق النبهان**، محمد: المدخل إلى علوم القرآن الكريم، دار عالم القرآن – حلب،ط:1، 1426ه2005 م.

94. **الكفوي**، أيوب بن موسى الحسيني القريمي ، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094ه): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، محق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

95. **مختار أحمد**، عمر علم الدلالة مكتبة العروبة للنشر والتوزيع ،الكويت،ط1 1982

96. **محمود عبد الحليم**،(ت: 1430ه)مناهج المفسرين، الناشر: دار الكتاب المصرى - القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت: 1421 ه - 2000 م.

97. **مجموعة** من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط:1، (1393 هـ = 1973 م).

98. **مناهج**، جامعة المدينة العالمية : الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

99. **محمد حسن**، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: 1، 2010 م.

100. **هنداوي** عبد الحميد أحمد يوسف ، الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001م.

101. **الوافي**: علي عبد الواحد: فقه اللغة، ط/ 4، لجنة البيان العربي، القاهرة.

102. **ياسوف أحمد**، جماليات المفردة القرآنية، الناشر: دار المكتبى – دمشق، ط:2، 1419 هـ - 1999م،.

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــة	رقمها	السورة	الصفحة
﴿ٱلذِينَ يُومِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُفِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	02	البقرة	
﴿وَالذِينَ يُومِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾	03	البقرة	
﴿أَو كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	19	البقرة	
﴿وَإِذ نَجَّيْنَٰكُم مِّنَ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾	49	البقرة	
﴿وَإِذِ إِسْتَسْفِىٰ مُوسِىٰ لِفَوْمِهِۦ﴾	60	البقرة	
﴿وَإِذَا لَفُواْ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ فَالُوٓاْ﴾	76	البقرة	
﴿وَلَن يَّتَمَنَّوْهُ أَبَداَۢ بِمَا فَدَّمَتَ اَيْدِيهِمْ﴾	96	البقرة	
﴿فَالَ يَٰفَوْمِ أَرَآيْتُمُۥ﴾	136	البقرة	
﴿يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾	165	البقرة	
﴿وَأَنفِقُوا فِے سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	194	البقرة	
زُيِّن لِلذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيا ﴾	210	البقرة	
وَلاَ تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةَ لِّأَيْمَٰنِكُمُۥ ﴾	222	البقرة	
ٱلذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِالَيْلِ وَالنَّهارِ سِرّاً ﴾	274	البقرة	

﴿ٱلذِينَ يَاكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾	275	البقرة	
﴿هُو ٱلذِےٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾	07	آل عمران	
﴿ٱلصَّٰبِرِين وَالصَّٰدِقِينَ وَالْقَٰنِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ﴾	17	آل عمران	
﴿إِذْ قَالَتِ إِمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّے نَذَرْتُ﴾	35	آل عمران	
﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾	37	آل عمران	
﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾	52	آل عمران	
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّے مُتَوَفِّيكَ﴾	55	آل عمران	
﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً﴾	103	آل عمران	
﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾	113	آل عمران	
﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِے هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيا﴾	117	آل عمران	
﴿سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾	133	آل عمران	
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾	185	آل عمران	
﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ﴾	02	النساء	
﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾	12	النساء	
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾	13	النساء	
﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾	17	النساء	

﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ﴾	31	النساء	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	43	النساء	
وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾	71	النساء	
﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾	82	النساء	
﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾	83	النساء	
﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾	119	النساء	
﴿ٱلذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾	141	النساء	
﴿إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ﴾	148	النساء	
﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾	153	النساء	
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ﴾	13	المائدة	
﴿فَتَرَى ٱلذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾	54	المائدة	
﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾	62	المائدة	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾	90	المائدة	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ﴾	93	المائدة	
﴿لَيْسَ عَلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ﴾	95	المائدة	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾	108	المائدة	

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلذِينَ يُومِنُونَ﴾	54	الأنعام	
﴿قُلَ آنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	71	الأنعام	
﴿وَلَقَد خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾	10	الأعراف	
﴿قَالَ آدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ﴾	38	الأعراف	
﴿إِنَّ ٱلذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾	40	الأعراف	
وَنَادِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنّارِ﴾	44	الأعراف	
وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً﴾	73	الأعراف	
رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾	89	الأعراف	
﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾	91	الأعراف	
وَنَزَع يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾	108	الأعراف	
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسىٰٓ أَنَ ٱلْقِ عَصَاكَ﴾	117	الأعراف	
وَقَالُوا مَهْمَا تَاتِنَا بِهِۦ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا﴾	132	الأعراف	
﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾	134	الأعراف	
﴿فَبَدَّلَ ٱلذِينَ ظَلَمُواْ﴾	162	الأعراف	

﴿وَإِذَ اَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾	172	الأعراف	
﴿إِنَّمَا ٱلْمُومِنُونَ ٱلذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾	4	الأنفال	
﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ إِثْنَا عَشَرَ شَهْراً ﴾	36	التوبة	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	38	التوبة	
﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً ﴾	85	التوبة	
﴿وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْۚ ﴾	86	التوبة	
﴿خُذْ مِنَ اَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾	104	التوبة	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ ﴾	112	التوبة	
﴿هُوَ ٱلذِے يُسَيِّرُكُمْ فِے ٱلْبَرِّ وَالْبَحْرِۖ ﴾	22	يونس	
﴿لِّلذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾	26	يونس	
(قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ ﴾	35	يونس	
﴿أَلَـٓرۚ كِتَـٰبٌ احْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ﴾	01	هود	
﴿وَلَئِنَ اَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾	10	هود	
﴿وَٱوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ ﴾	37	هود	
﴿قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوَٰتُكَ﴾	87	هود	
(وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾	90	هود	

﴿فَالَ فَآبِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَفْتُلُواْ يُوسُفَ﴾	10	يوسف	
﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ فَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾	18	يوسف	
(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ﴾	29	يوسف	
(فَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾	51	يوسف	
(وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ﴾	65	يوسف	
﴿وَسْـَٔلِ ٱلْفَرْيَةَ ٱلتِى كُنَّا فِيهَا ﴾	82	يوسف	
وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَفَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾	84	يوسف	
فَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾	85	يوسف	
(لَهُۥ مُعَقِّبَـٰتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ ﴾	11	الرعد	
وَالذِيس يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُّوصَلَ﴾	21	الرعد	
وَالذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ ﴾	25	الرعد	
وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	15	إبراهيم	
﴿وَلَفَدَ ـاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾	87	الحجر	
(أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾	01	النحل	
﴿وَتَحْمِلُ أَثْفَالَكُمْ ﴾	07	النحل	
﴿فَدْ مَكَرَ ٱلذِينَ مِس فَبْلِهِمْ ﴾	26	النحل	

﴿ٱلذِينَ تَتَوَفَّيٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ ﴾	28	النحل	
﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	63	النحل	
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجاً ﴾	72	النحل	
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ ﴾	76	النحل	
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَناً ﴾	80	النحل	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلإِحْسَٰنِ ﴾	90	النحل	
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ﴾	119	النحل	54
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾	23	الإسراء	
﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾	62	الإسراء	
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾	70	الإسراء	
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾	88	الإسراء	
﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ سَبِيلاً﴾	110	الإسراء	
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾	2	الكهف	
﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ ﴾	18	الكهف	
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾			
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾	59	الكهف	

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾	64	الكهف	
﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً ﴾	77	الكهف	
﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ ﴾	79	الكهف	
﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾	97	الكهف	
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي ﴾	05	مريم	
﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾	28	مريم	
﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيَ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾	45	مريم	
﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	56	طه	
﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾	71	طه	
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾	105	طه	
﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾	128	طه	
﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾	90	الأنبياء	
﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾	46	الأنبياء	
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾	83	الأنبياء	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾	05	الحج	
﴿حُنَفَآءَ لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ﴾	31	الحج	
﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾	38	الحج	

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	63	الحج	
﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًاۖ﴾	54	المؤمنون	
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ احَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾	101	المؤمنون	
﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾	116	المؤمنون	
وَقُل لِّلْمُومِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنَ ابْصَٰرِهِنَّ﴾	31	النور	
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾	55	النور	
(وَإِذَا بَلَغَ ٱلاَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾	59	النور	
﴿وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ﴾	32	الفرقان	
﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ اِلَى ٱلاَرْضِ كَمَ﴾	06	الشعراء	
﴿فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُۥنَ﴾	94	الشعراء	
﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾	149	الشعراء	
هَلْ انَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾	221	الشعراء	
تَنَزَّل عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ اَثِيمٍ﴾	222	الشعراء	
يُلْفُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾	223	الشعراء	
﴿إِنَّ ٱلذِينَ لاَ يُومِنُونَ بِالاَخِرَةِ﴾	04	النمل	
﴿فَالَتْ يَٰأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىَ﴾	29	النمل	

﴿قَالَ ٱلذِے عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	40	النمل	
أَمَّنْ يُّجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	62	النمل	
﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنَ اَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعىٰ ﴾	18	القصص	
اَسْلُكْ يَدَكَ فِے جَيْبِكَ ﴾	32	القصص	
﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِں قَوْمِ مُوسىٰ فَبَغىٰ عَلَيْهِمْ﴾	76	القصص	
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ﴾	29	الروم	
﴿وَلَوَ اَنَّمَا فِے ٱلاَرْضِ مِں شَجَرَةٍ اَقْلَٰمٌ ﴾	26	لقمان	
﴿وَيَقُولُونَ مَتىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ ﴾	29	السجدة	
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّں قَلْبَيْنِ فِے جَوْفِهِۦ ﴾	04	الأحزاب	
(قُلْ مَں ذَا ٱلذِے يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	17	الأحزاب	
﴿فَلَمَّا قَضىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً ﴾	37	الأحزاب	
﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِےِّ ﴾	56	الأحزاب	
﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾	11	سبأ	
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾	14	سبأ	
﴿قُلْ مَنْ يَّرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ﴾	24	سبأ	

﴿قُل يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾	26	سبأ	
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾	32	فاطر	
﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾	33	فاطر	
﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلذِے أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾	35	فاطر	
﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾	37	فاطر	
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِے أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾	08	يس	
﴿وَجَآءَ مِنَ اَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾	20	يس	
﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾	38	يس	
﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلاَحْزَابِ﴾	10	ص	
﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾	24	ص	
﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِے ٱلاَرْضِ﴾	26	ص	
﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	06	الزمر	
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾	21	الزمر	
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾	28	الزمر	
﴿وَيُنَجِّے ٱللَّهُ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ﴾	61	الزمر	
﴿وَنُفِخَ فِے ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾	68	الزمر	

﴿وَسِيقَ ٱلذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً﴾	70	الزمر	
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلآزِفَةِ﴾	18	غافر	
يَوْمَ لاَ يَنفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ﴾	52	غافر	
(هُوَ ٱلذِے خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾	67	غافر	
﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾	74	غافر	
﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾	82	غافر	
﴿وَقَالَ ٱلذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ ﴾	25	فصلت	
إِنَّ ٱلذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾	30	فصلت	
﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحاً فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾	46	فصلت	
﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَٰنِ عَرِيضٍ﴾	50	فصلت	
(شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً ﴾	13	الشورى	
وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾	14	الشورى	
﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾	49	الدخان	
﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾	19	الأحقاف	
﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾	21	محمد	
﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ	25	محمد	

﴿أَفْبَالُهَآ﴾			
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾	01	الفتح	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم﴾	13	الحجرات	
﴿إِن فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾	38	ق	
(وَبِالأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾	18	الذاريات	
(فَأَقْبَلَتِ إِمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾	29	الذاريات	
يَوْم يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً﴾	13	الطور	
هَـٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	14	الطور	
﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾	11	النجم	
﴿تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾	22	النجم	
:(وَلِلهِ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ﴾	31	النجم	
﴿أَزِفَتِ ٱلآزِفَةُ﴾	57	النجم	
﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾	13	القمر	
﴿وَلَقَد يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾	17	القمر	
إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾	19	القمر	
(كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا﴾	42	القمر	

﴿وَلَقَدۡ ءَانذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ﴾	36	القمر	
﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾	54	القمر	
﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾	02	الرحمن	
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾	04	الرحمن	
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	11	الرحمن	
﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾	21	الرحمن	
﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾	60	الرحمن	
﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾	66	الرحمن	
﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾	76	الرحمن	
﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾	01	الواقعة	
﴿لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾	02	الواقعة	
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾	10	الواقعة	
﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾	12	الواقعة	
﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾	21	الواقعة	
﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾	90	الواقعة	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ﴾	11	المجادلة	

(إِن يَّثْفَقُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾	02	الممتحنة	
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ﴾	05	الصف	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾		الجمعة	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾	06	التحريم	
(هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴾	11	القلم	
﴿ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴾	16	القلم	
﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾	02	الحاقة	
وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾	06	الحاقة	
﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾	51	المدثر	
﴿أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰٓ ﴾	34	القيامة	
عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾	06	الإنسان	
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾	19	المرسلات	
﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُون﴾	04	النبأ	
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾	07	النازعات	
﴿إِذَا كُنَّا عِظَٰماً نَّخِرَةً ﴾	11	النازعات	
:﴿وَأَغْطَسَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَيٰهَا﴾	29	النازعات	

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾	31	عبس	
﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾	33	عبس	
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾	15	التكوير	
﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾	16	التكوير	
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾	17	التكوير	
﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾	18	الإنفطار	
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	03	الأعلى	
﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ﴾	15	الفجر	
﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾	10	البلد	
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	08	الشمس	
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾	10	الشمس	
﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾	13	الشمس	
﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾	05	الشرح	
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾	04	القدر	
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾	01	الزلزلة	
﴿ٱلْقَارِعَه مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾	01	القارعة	

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾	03	القارعة	
﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾	04	القارعة	
﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	04	التكاثر	
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾	05	الماعون	
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	01	الكوثر	

الموضـــــــــــــــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	أ – ج
المدخل:	01
مفهوم الإختيار اللفظي	02
تعريف الاختيار	02
لغة	02
تعريف الاختيار اصطلاحا:	03
تعريف اللفظ لغة:	04
تعريف اللفظ: اصطلاحا	05
موقعية اللفظ والمعنى	06
اللفظ والمعنى عند اللغويين	08
اللفظ والمعنى عند البلاغيين	15
مفهوم الفصاحة:	15
تنافر الحروف	16
مخالفة القواعد العربية	17
الغرابة:	17
الكراهة في السمع	17
تنافر الكلمات مُجتمعة	18
ضعف التأليف	19
التعقيد	19
أحدهما: التعقيد اللفظي	20
ثانيهما: التعقيد المعنوي	20
كثرة التكرار	20
تتابعُ الإضَافات	21

العلاقة بين البلاغة والفصاحة:	21
الفصل الأول: الثراء اللغوي والعناية بالألفاظ في التراث العربي	26
المبحث الأول: إثراء القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي والغربي	28
المطلب الأول: إثراء القرآن الكريم للغة العربية في مصنفات المتقدمين	28
أفضلية اللغة العربية في القرآن الكريم:	28
جهود العلماء في المحافظة على اللغة العربية:	30
المطلب الثاني: إثراء القرآن الكريم للغة العربية عند المتأخرين	32
أ- الاستعمال القرآني	33
ب ـ تنمية الذوق وجمالية التصوير	34
ج ـ دقته في التعبير	35
المبحث الثاني: اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى	43
المطلب الأول: الترادف	43
الترادف لغة	43
الترادف اصطلاحا	44
المطلب الثاني: الاشتراك اللفظي	49
المطلب الثالث: التضاد	57
المبحث الثاني: عوامل التوسع اللغوي	63
المطلب الأول: الحقيقة والمجاز	63
المطلب الثاني: التقديم والتأخير	71
المطلب الثالث: الإثبات والحذف في القرآن الكريم	77
أن يكون الحذف لأجل كثرة الإستعمال	79
العموم	80
ـ التشويق مع الإيجاز	81
تجنب الإطالة بسبب المحذوف	82

الفصل الثاني: خصائص اللفظة القرآنية وحسن اختيارها	86
المبحث الأول: خصائص الكلمة القرآنية	88
المطلب الأول-الدقة في الاختيار	88
المطلب الثاني: الدقة في المعنى وجمال اللفظ	92
المطلب الثالث:الدقة في التصوير	98
المبحث الثاني: جمالية اللفظ القرآني	105
المطلب الأول: جمالية اللفظ القرآني من حيث تلاؤم الحروف	106
المطلب الثاني: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الكلمات	111
المطلب الثالث: جمالية اختيار اللفظة القرآنية من حيث تلاؤم الصوت	116
المبحث الثالث: مناسبة المفردة للبيئة والسياق	122
المطلب الأول: الدلالة الصوتية للألفاظ الدالة على يوم " القيامة"	122
المطلب الثاني: قوَّة الألفاظ	129
الفصل الثالث: ثراء وأثر معاني القرآن الكريم في البيان	141
المبحث الأول:تعدد المعاني في اللفظ القرآني	143
المطلب الأول: احتمال اللفظ لأكثر من معنى	146
احتمتا اللفظ لأكثر من معنى بسبب رجوعه إلى أصل واحد	147
اشتمال كثير من ألفاظ القرآن على جوامع المعاني	150
احتمال اللفظ لأكثر من معنى بسبب الإشتراك	153
احتمال اللفظ لاكثر من معنى حسب تنوع وروده	153
المطلب الثاني: احتمال السياق لأكثر من معنى	154
ارتباط الكلام بعضه ببعض في السياق القرآني	154
أن يحتمل السياق المعنى على وجه المشابهة	157
أن يحتمل السياق معاني يوحي بها لفظ ما.	159

أن يكون المراد من الآية معنى من المعاني، ويأتي السياق ليوسع دلالة هذا المعنى وغرضه	160
المطلب الثالث: التكرار في القرآن الكريم	162
المبحث الثاني: الاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية	170
المطلب الأول: الإيحاء الصوتي ودلالة على معاني اللفظة القرآنية	170
المطلب الثاني: أثر دلالة الصوت على المعنى في اللفظة القرآنية	175
المبحث الثالث: أثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معاني اللفظة القرآنية	184
المطلب الأول: أثر إختلاف معاني اللفظ بسبب الزيادة أو النقصان	185
المطلب الثاني: أثر اختلاف المعاني بالإفراد والتثنية والجمع	189
المطلب الثالث: أثر تعدد معاني اللفظة	195
المطلب الرابع: أثر حروف الجر في اختلاف معاني الألفاظ	204
خاتمة	212
المصادر والمراجع	218
فهرس الآيات القرآنية	233
فهرس الموضوعات	251

ملخص

اعتنى القرآن الكريم باللغة العربية فنزل بها ،وحفظها موحدا لهجاتها، مطورا لها و مثريا لألفاظها موسعا لدلالاتها ومعانيها، وقد سلكت الدراسة خطة شملت مقدمة وثلاثة فصول، وخاتمة فتحدثت المقدمة عن أهمية الموضوع ومصادره والدراسات السابقة ، وتناول الفصل الأول الحديث عن الثراء اللغوي والعناية بالألفاظ في التراث العربي،وشمل مبحثين أولهما عن تطوير القرآن الكريم للغة العربية في نظر أعلام الفكر العربي المتقدمين والمتأخرين ،وتحدث المبحث الثاني عن اللفظة اللغوية وعلاقتها بالمعنى أما الفصل الثاني فتطرق لخصائص اللفظة القرآنية وحسن اختيارها،وضم مبحثين أولهما عن خصائص الكلمة القرآنية والثاني عن جمالية اللفظ القرآني، بينما كان الحديث في الفصل الثالث عن ثراء وأثر معاني القرآن الكريم واحتوى على ثلاثة مباحث أولهما تطرق لتعدد المعاني في اللفظ القرآني، أما الثاني فللاختيار الصوتي ودلالته على معاني اللفظة القرآنية، أما الثالث فتعرض لأثر اختيار اللفظة القرآنية ودلالتها على معاني اللفظة القرآنية وختمت الدراسة بخاتمة تناولت أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم؛ اللفظ؛ المعنى؛ الأثر؛ السياق؛ المجاز؛ التأخير و التقديم؛ ثراء المعاني؛ الدلالة الصوتية؛ التصوير.

نوقشت 21 جوان 2020